الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : التاريخ و علم الآثار

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

تخصص : تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

بعنوان

دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 هـ/ 13و14 م

إعداد الطالب :
رشيد خـــالدي

تحت إشـــــراف :
أ د : لخضر عبدلي

أعضاء لجنة المناقشة

أ د ميمونة بودواية	رئيسا	جامعة تلمسان
أ د لخضر عبدلي	مشرفا مقررا	جامعة تلمسان
د محمد مكيوي	مناقشا	جامعة تلمسان
د محمد بوشقيفة	مناقشا	جامعة تلمسان

السنة الجامعية : 1431 – 1432 / 2010 – 2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : التاريخ و علم الآثار

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

تخصص : تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

بعنوان

دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 هـ/ 13و14 م

إعداد الطالب :

رشيد خـــالدي

تحت إشـــــراف :

أ د : لخضر عبدلي

أعضاء لجنة المناقشة

أ د مبنوت بودواية	رئيسا	جامعة تلمسان
أ د لخضر عبدلي	مشرفا مقررا	جامعة تلمسان
د محمد مكيوي	مناقشا	جامعة تلمسان
د محمد بوشقيف	مناقشا	جامعة تلمسان

السنة الجامعية : 1431 – 1432 / 2010 – 2011

شكر

أتقدم بهذا البحث المتواضع إلى شعبة التاريخ في كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان ، و أرجو أن أكون قد ساهمت في إبراز جوانب معينة تهم البحث العلمي.

و لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المحترم و القدير الأستاذ الدكتور عبدلي لخضر نضير مجهوداته الكبيرة و إرشاداته القيمة ، و الذي قدم لي النصح و المساعدة لإتمام هذه المذكرة .

كما لا يفوتني أن أشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة المحترمين الذين وافقوا على مناقشة هذا العمل ، كما أتقدم بالشكر إلى كل الأفراد العاملين بثانوية علي عين السبع في باب العسة على مآزرتهم و تشجيعهم لي خاصة الأستاذ صوفي سعيد و بوغزال عبد العزيز .

الإهداء

- إلى الوالدين الكريمين

- إلى كل طالب علم و معرفة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد:

أدى انهيار دولة الموحدين في منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي إلى تفكك الوحدة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي ، وذلك على إثر قيام الدول الإسلامية الثلاثة، بنو حفص في المغرب الأدنى وبنو زيان في المغرب الأوسط والمرينيون في المغرب الأقصى ، وقد اشتد التنافس بين هذه الدول الثلاث للإستئثار بتركة الموحدين ، ورغم بعض الانتصارات التي حققها المرينيون في بلاد المغرب والأندلس ، إلا أنه يلاحظ أن المرينيين لم يستطيعوا أن يظهروا بتلك المكانة والقوة التي كانت عليها دولة الموحدين، وعليه استمرت الحروب والنزاعات المستمرة في بلاد المغرب طيلة القرنين 7 و8هـ/13 و14م وكانت دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة تبدو الحلقة الأضعف ، إلا أن ذلك لم يمنعها من الصمود والحفاظ على كيانها طيلة هذه الفترة.

وفي خضم الصراع المرير والحروب العديدة بين هذه الدول الثلاثة ، كانت العلاقات الثقافية والفكرية تأخذ منحى مغايرا تماما لما كانت تشهده الأوضاع السياسية من حروب ونزاعات طويلة، ولم تتأثر بشكل واضح خلال القرنين 7 و8هـ /13 و14م ، حيث شهدت العلاقات الثقافية والعلمية بين المغرب الأوسط و المغرب الأقصى ازدهارا كما كان الحال مع المرابطين و الموحدين ، ويظهر بوضوح هذا الأمر من خلال دور ومساهمة علماء المغرب الأوسط في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين ، الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين .

يندرج هذا الموضوع في إطار البحث في التاريخ الثقافي لبلاد المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين ، و ذلك من خلال التعرف على مختلف جوانب ومعطيات الحياة الثقافية و العلمية فيه و الذي سيكون أثره واضحا عند التطرق إلى دور علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي و العلمي الذي عرفته بلاد المغرب الأقصى خلال هذه الفترة ، و هنا لا بد من الإشارة إلى أن الرحلة العلمية كانت هي الرافد و الجسر الذي مكن هؤلاء العلماء من التنقل من مكان إلى آخر ، و هو الأمر الذي سينعكس بالإيجاب على تطور الحياة الثقافية والعلمية و ازدهارها.

إن الإشكالية المطروحة تحاول قدر الإمكان معرفة و رصد مساهمة علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي و العلمي الذي شهدته بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/ 13و14م ، و في محاولة منا لمعرفة حجم هذه المساهمة التي قدمها علماء المغرب الأوسط ، فإننا حاولنا اقتفاء أثر و نشاط هؤلاء العلماء في ميدان التدريس و الإقراء و التأليف و الوظائف الأخرى التي لها علاقة بالحركة الثقافية مثل القضاء و الإفتاء دون أن نغفل نشاط علماء المغرب الأوسط في المجالس السلطانية التي كان يشرف عليها أمراء بني مرين ، و هذا

الأمر كذلك ، هو الذي سيكشف لنا عن مدى أهمية المستوى الحضاري الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط و معرفة هذا المستوى سيقودنا بلا شك إلى التعرف على حجم و مقدار الإنتاج الثقافي والعلمي لهذه المرحلة و بناءا على هذه المعطيات ستتكون لنا صورة واضحة و جلية عن موضوع الدراسة. وعلى هذا الأساس يمكن حصر أهمية موضوع الدراسة فيما يلي:

- رصد مرحلة هامة من تاريخ بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 7 و8هـ/13 و14م ، من خلال الكشف عن الجوانب المتعلقة بالحياة الثقافية والعلمية ، وقياس درجة التطور الحاصل في المنطقة.
- تبيان العلاقات والصلات الثقافية والفكرية بين حاضرتي بلاد المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وهما مدينتي تلمسان و فاس ، وهي العلاقات التي ساهم في توطيدها عدد كبير من علماء المغربين خاصة علماء المغرب الأوسط.
- الوقوف على التراث والجهد الذي ساهم به علماء المغرب الأوسط من خلال الازدهار الذي شهدته بلاد المغرب الأقصى خلال هذه الفترة ، والذي كان له الأثر الواضح في تلك السمعة والمكانة المتميزة التي حظي بها علماء المغرب الأوسط في مدن المغرب الأقصى.

أما عن أسباب ودواعي اختياري لهذا الموضوع فهي كالآتي:

- المساهمة في إثراء النقاش العلمي فيما يخص موضوع الدراسة.
- التعرف على الظروف التي أحاطت بانتقال علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى والدور الذي قام به هؤلاء العلماء في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين 13 و 14 م.
- الوقوف على التطورات السياسية التي عرفتها المنطقة خاصة تلك التي كانت لها صلة وعلاقة بالحياة الثقافية والعلمية.

أما عن أهداف هذه الدراسة ، فهي ترمي إلى تحقيق التالي :

- إبراز مساهمة ودور علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي والعلمي الذي شهدته بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و8هـ/13 و14م ، والكشف عن الجوانب المتعلقة بالحالة الثقافية العامة التي كانت عليها بلاد المغرب.
- دراسة سبل التبادل العلمي بين تلمسان وفاس باعتبارهما مراكز الثقافة الرئيسة في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط ، إلى جانب القيروان .
- الوقوف على القضايا التي شغلت علماء المغرب الأوسط خلال ارتحالهم إلى المغرب الأقصى.

أما حدود هذه الدراسة فهي تتضمن الآتي :

أولا الحدود الموضوعية: وهي البحث في دور ومساهمة علماء المغرب الأوسط في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و8هـ/13 و14م حسب الأهداف السابقة وخطة الدراسة الآتي ذكرها.

ثانيا الإطار الزماني: تغطي هذه الدراسة بلاد المغرب الأوسط والأقصى خلال الفترة الزمنية الممتدة من القرن السابع الهجري إلى القرن الثامن الهجري (13 و14م).

ثالثا الإطار المكاني : ويشمل بلاد المغرب الأوسط والأقصى.

وأنا أعد هذه الدراسة فقد واجهتني بعض الصعوبات، لعل من أبرزها:

- طبيعة الرسالة ، حيث اقتصرت هذه الرسالة على قرنين من الزمن فقط، في حين استمر النشاط العلمي لعلماء المغرب الأوسط بعد هذه الفترة.
- إغفال بعض المؤلفات المصنفات التي وضعت خلال هذه الفترة نشاط علماء المغرب الأوسط في المغرب الأقصى ، حيث نعتت مثلا هذه المؤلفات علماء المغرب الأوسط الذين زاروا فاس ومدن المغرب الأقصى الأخرى بالمدرس والمحقق غير أنها لم تتوسع في إبراز نشاطهم بما يتماشى والوظيفة التي أصبحت رسمية في هذه الفترة باستثناء الفقهاء والقضاة..
- تشابه وتطابق المعلومات التي أرخت لجهود علماء المغرب الأوسط في المغرب الأقصى مما يجعل الاستفادة قليلة خاصة كتب الطبقات والتراجم.

لقد استفدت من المنهج التاريخي في جميع المسائل التي تطلبت ذلك ، فكان المنهج التوفيقي الذي يجمع بين مناهج البحث العلمي المتبعة في الدراسات العلمية والأكاديمية المعاصرة ، هو المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث ، كما لم أغفل المنهج التحليلي فيما بدا لي في تحليل ما وجدته محتاجا لذلك.

وقد سلكت في كتابة هذه الدراسة المنهج التالي:

- اعتمدت على المصادر خاصة القريبة من الفترة المدروسة في التأريخ للتطورات السياسية و الثقافية ما استطعت ، فإن لم أجد لجأت إلى المصادر المتأخرة نسبيا عنها.
- عرفت بالعديد من الأعلام والأماكن بإيجاز ، فيما رأيت فيه فائدة في فهم مسألة أو في معرفة تسلسلها التاريخي ، وذلك بالرجوع إلى كتب الطبقات والتراجم المشهورة ، وكتب الجغرافيا والرحلات واعتمدت في ترتيب الأعلام على سنة الوفاة.

ثمة مادة علمية في الكثير من المصادر خاصة كتب الطبقات والتراجم ، بالإضافة إلى بعض المراجع الحديثة المتخصصة التي تناولت بعض ما جاء في هذه الدراسة ، وأورد هنا عرض وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها لإنجاز هذه الدراسة ، وهي :

أولا المصادر:

-كتب التراجم : تبحث هذه الكتب في حياة مشاهير الرجال وأعمالهم ، كالعلماء والسياسيين والأدباء وغيرهم ، وبالنظر إلى أن موضوع هذه الدراسة يبحث في دور علماء المغرب الأوسط ونشاطهم العلمي في المغرب الأقصى ، فمن الطبيعي أن يكون هذا النوع من الكتب والمؤلفات من المصنفات الأكثر اعتمادا والتي كان منها:

1. كتاب "جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء مدينة فاس" للمؤرخ أحمد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي ، المعروف بابن القاضي (ت 1025هـ/ 1616م) وهو كتاب تراجم للعلماء الذين نزلوا مدينة فاس واستقروا فيها من بلاد المغرب الإسلامي وحتى من الأندلس، بالإضافة إلى العلماء الذين أنجبتهم مدينة فاس في مختلف العصور ، حيث يتضمن القسم الأول من هذا الكتاب التعريف بمدينة فاس منذ عهد الأدارسة ، وتاريخ بناء جامع القرويين من خلال ذكر خطباء منبره ويترجم هذا القسم لثلاثمائة وتسع وسبعين شخصية سياسية وعلمية وأدبية مشهورة أما القسم الثاني من هذا الكتاب فيترجم لستمائة وست وأربعين شخصية سياسية وثقافية أيضا، وهو كتاب مهم جدا لأنه يؤرخ لدور عدد كبير من علماء المغرب الأوسط الذين زاروا مدينة فاس خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين (13 و 14 م) .
2. كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1627م) وهو كتاب يترجم لفئة من الناس تجمعها صفة الاهتمام بالدراسات الدينية والعربية ، وتتميز تراجم هذا الكتاب بدقة الوصف وإمتاعه مع قدرة فائقة على إيراد التفاصيل في تراجم من عاصرهم المؤلف، وتضمن هذا الكتاب ترجمة لثمانمائة واثنتين من علماء وفقهاء المذهب المالكي خاصة أولئك الذين برزوا في بلاد المغرب الإسلامي مع ذكر بعض علماء بلاد المشرق ، وقد أورد هذا المؤلف ترجمة مستفيضة لعلماء المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة.
3. كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم التلمساني وهو كتاب يترجم لعدد هام من العلماء الذين أنجبتهم مدينة تلمسان وكذلك العلماء الذين استقروا فيها والذين قدموا إليها من بجاية وفاس وبلاد الأندلس ، وهو كتاب يترجم لعدد هام من علماء المغرب الأوسط والذين كان لهم نشاط ملحوظ في الحياة الثقافية والفكرية في بلاد المغرب الإسلامي، خاصة أولئك العلماء الذين رحلوا إلى مدينة فاس.

- كتب التاريخ العام : وهي الكتب والمؤلفات التي أرخت لبلاد المغرب الإسلامي لفترة زمنية طويلة شملت الحياة السياسية والثقافية ، ونظرا لطابعها الموسوعي فقد كانت استفادتنا منها استفادة نوعية لأنها تناولت بالدراسة والتحليل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي من زوايا مختلفة، مما ساهم بلا شك في إثراء النقاش الفكري

والحياة الثقافية ، بالإضافة إلى أن هذه الكتب تضع الحياة الثقافية والعلمية في إطارها السياسي ومن بين هذه الكتب :

1. كتاب "تاريخ ابن خلدون" المسمى ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وهو من تأليف عبد الرحمن بن خلدون، وقد اعتمدت فيه على الجزء السابع منه ، وهو الجزء الذي يكاد يكون متخصصا في تاريخ بلاد المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين 7 و8هـ/13 و14هـ. ومن خلال الأخبار والأحداث التي عرج عليها بن خلدون فيما يخص تاريخ وخبر قبيلة زناتة والدول التي شكلتها هذه الأخيرة في هذه المنطقة ، وبالرغم من أن بن خلدون توسع كثيرا في المسائل والأخبار السياسية ، فإن القسم الأخير من الجزء السابع والذي تضمن التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب ، فإنه تضمن تراجم عديدة لعلماء المغرب الأوسط والذين كان لهم نشاط واضح في بلاد المغرب الأقصى خاصة خلال القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي.

2. كتاب "أزهار الرياض في أخبار عياض" وكتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" وصاحب مؤلف هاذين الكتابين هو أحمد بن محمد المقري التلمساني (1041هـ/1631م) فكتاب أزهار الرياض هو من خير ما ألف في أدب المغاربة وقد تضمن إلى جانب الكتاب الثاني نغم الطيب المجلد الخامس ترجمة لعدد من علماء المغرب الأوسط وأهم المصنفات العلمية والأدبية التي وضعها هؤلاء العلماء بالإضافة إلى نشاطهم العلمي والأدبي في المغرب الأقصى ، كما تضمنا هاذين الكتابين مقاطع شعرية ونصوص نثرية لعدد من علماء تلمسان.

ثانيا المراجع:

1. كتاب "الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى" تأليف أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، حيث تضمن الجزء الثالث منه تاريخ الدولة المرينية وإن ركز المؤلف على الأحداث السياسية التي عايشها كل سلطان مريني ، فإنه قد أشار إلى ذكر المؤسسات والمراكز الثقافية التي أنشأها هؤلاء السلاطين والتنويه بحرصهم الشديد وعنايتهم بالعلم وأهله.

2. كتاب " تلمسان في العهد الزياني " للمؤلف عبد العزيز فيلالي ، و هو كتاب يقع في جزأين يتناول بالدراسة و التحليل تاريخ مدينة تلمسان في العهد الزياني ، و هو مؤلف في غاية الأهمية ذلك أنه يرصد تاريخ هذه المدينة من جوانب مختلفة سياسية و اقتصادية و ثقافية و اجتماعية و عمرانية ، و هو بذلك يعتبر مرجعا مهما لهذه الفترة .

3. كتاب "المغرب عبر التاريخ" الجزء الثاني، تأليف إبراهيم حركات والذي يتناول بالدراسة تاريخ المغرب الأقصى من بداية الدولة المرينية إلى نهاية الدولة السعدية ، وهو كتاب يتعرض لأحداث المغرب وتطوراته في

الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية ، وهذا المؤلف يقدم معلومات قيمة عن المؤسسات والمراكز الثقافية في المغرب الأقصى على عهد المرينيين.

4. مجلة دعوة الحق، وهي مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وبشؤون الثقافة والفكر تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالمملكة المغربية ، وقد أفادتني هذه المجلة كثيرا في التأريخ للحركة الفكرية في عهد المرينيين لأن الكثير من مقالاتها تعتبر متخصصة في هذا الشأن ويساهم في كتابة هذه المقالات وتحريرها مجموعة من الكتاب المشهورين والمتخصصين في تاريخ العصر الوسيط في بلاد المغرب الإسلامي مثل محمد المنوني وعبد الله كنون ، وإبراهيم حركات ، و عبد العزيز بن عبد الله وآخرين .

بالنسبة لخطة البحث، فقد كتبت هذا الموضوع تحت عنوان : دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و8هـ/13 و14م وتشمل الخطة:

– مقدمة

– فصل تمهيدي : وقد تضمن هذا الفصل الإشارة بالدراسة والتحليل لأهم التطورات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب خلال الفترة المدروسة مع التركيز على طبيعة العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي من نهاية الموحدين إلى أواخر القرن الثامن الهجري.

– الفصل الأول ، الذي تناول الحياة الثقافية والعلمية في المغربين الأوسط والأقصى مع التركيز على المؤسسات الثقافية من مدارس ومساجد وطريقة التعليم التي كانت سائدة في ذلك الوقت بالإضافة إلى طريقة التعليم المتبعة و أصناف العلوم التي كانت تدرس و أبرز العلماء .

الفصل الثاني ، و قد حاولنا في هذا الفصل تتبع مسيرة هؤلاء العلماء في المغرب الأقصى و الوظائف التي حصلوا عليها في إطار الرحلة في طلب العلم ، و ذلك من خلال رصد أبرز الشخصيات العلمية التي سيكون لها دور و مساهمة في النشاط و الحركة الفكرية و العلمية في المغرب الأقصى خلال الفترة المدروسة .

– الفصل الثالث، وحاولت في هذا الفصل تتبع النشاط العلمي والأدبي لعلماء المغرب الأوسط الذين زاروا أو استقروا في فاس ومدن المغرب الأقصى الأخرى وكان لهم نشاط بارز في إثراء النقاش الفكري وحلقات الذكر وتكوين عدد لا بأس به من الطلبة وشيوخ العلم، بالإضافة إلى المؤلفات والمصنفات التي وضعها علماء المغرب الأوسط في هذه الفترة وهي المؤلفات التي ظلت لعقود طويلة مرجعا لطلاب العلم ليس في المغرب الأقصى فحسب وإنما في جميع بلاد المغرب الإسلامي.

– خاتمة

وبعد، فهذا جهد علمي متواضع في موضوع فيه قدر من الصعوبة، لكن مع مرور الوقت استطعت التغلب على بعض منها بفضل الله سبحانه وتعالى.

وأولا وأخيرا فإني أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإتمام وانجاز هذه الدراسة والتي حاولت فيها قدر المستطاع التقيد بتقنيات ومنهجية البحث الأكاديمي العلمي.

كما أخص بالشكر والتقدير : الأستاذ المشرف على هذه المذكرة وهو الأستاذ الدكتور **لخضر عبدلي** الذي لم يبخل علي بأي نصح أو توجيه.

والله و لي التوفيق

تلمسان ، في 20 سبتمبر 2011 .

فصل تمهيدي

تمكنت دولة الموحدين (524-668هـ/1129-1269م) من فرض سيطرتها على كامل بلاد المغرب الإسلامي بما في ذلك الجزء الجنوبي من الأندلس ، والفضل في ذلك يرجع إلى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي (524-558هـ/ 1130-1163م) الذي تمكن من مد نفوذ دولة الموحدين من مدينة برقة* شرقا إلى مدينة طنجة غربا وعليه أصبحت بلاد المغرب الإسلامي تحت سيطرة دولة واحدة هي دولة الموحدين[1]. وقد بلغت هذه الدولة أوجها في عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (580- 595هـ/1184-1198م) الذي ألحق بالنصارى هزيمة ساحقة في معركة الأرك**سنة 591هـ/1195م بالأندلس ، من جهة أخرى شهدت الدولة الموحدية في عهد هذا الخليفة تنظيما إداريا محكما حيث ساد الأمن والسلام في أرجاء الدولة الموحدية[2].

الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7و8 هـ/13و14 م :

يتفق معظم المؤرخين على أن هزيمة الموحدين في معركة العقاب*** بالأندلس سنة 609هـ/1212م كانت بداية لانهيار دولة الموحدين وتصدع كيان هذه الدولة حيث تمكن النصارى في الأندلس من الاستيلاء على بعض الإمارات والحصون الإسلامية[3].

أما في بلاد المغرب الإسلامي فلم تكن الوضعية بالحسنة ، وشهدت بلاد المغرب بعد سنة 609هـ/1212م بداية ظهور اضطرابات وفتن داخلية مست مركز وحاضرة الخلافة الموحدية مدينة مراكش وفي مناطق مختلفة من جهات المغرب الإسلامي ، فبعد معركة العقاب بايع أشياخ الموحدين

---

*- برقة : مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية و افريقية بينها و بين البحر ستة أميال و هي مرج أفيح و تربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص سنة إحدى و عشرين ، و برقة أول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان ، أنظر : محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت، مكتبة لبنان 1984 ، ص 91 .

[1]- عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963،ص 300 .

**- الأرك : حصن منيع بمقربة من قلعة رياح أول حصون أذفونش بالأندلس ، وهناك كانت وقيعة الأرك على صاحب قشتالة وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، أنظر : الروض المعطار ، ص27.

[2]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته ، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي ، المجلد الثاني ، ط1، لبنان 1992 ، ص122 .

***- العقاب : بكسر العين بالأندلس بين جيان وقلعة رياح ،كانت في هدا الموضع وقيعة عظيمة وهزيمة على المسلمين في منتصف صفر من سنة تسع وستمائة ، أنظر : الروض المعطار ، ص 416 .

[3]- ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1972 ص 240 .

يوسف المنتصر بالله ابن محمد الناصر (611-620هـ/1214-1223م) وبما أنه كان صغير السن استبد أعمامه وبالتعاون مع كبار مشيخة الموحدين بالسلطة فازدادت الأوضاع سوءا واعترى الدولة مظاهر الضعف والنقص وزادت في الأدبار[1] وشهدت دولة الموحدين في عهده قيام فتنة داخلية في بلاد كزولة* التي ظهر فيها زعيم إسمه عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس الذي انتحل الإمامة وادعى أنه القحطاني الذي سيملأ الأرض عدلا ، إلا أن الخليفة الموحدي المستنصر تمكن من القضاء عليه وإخماد هذه الفتنة إلا أن ذلك لم يكن إلا بداية لظهور مجموعة من الفتن والثورات الداخلية التي أرهقت كاهل الدولة الموحدية وبددت جهودها في جهات مختلفة ومتعددة مما زاد في إضعافها وتقلص نفوذها[2].

بعد وفاة الخليفة المستنصر، تولى الخلافة الموحدية عبد الواحد المخلوع (620-621هـ/1123-1224م) والذي لم تدم فترة حكمه طويلا، وعليه بايع أشياخ الموحدين أبو محمد عبد الله العادل (621-624هـ/1223-1227م) والذي في عهده نقضت إفريقية بيعتها له، أما في الأندلس فقد رفض والي الموحدين على قرطبة محمد بن إدريس البياسي الاعتراف ببيعة الخليفة العادل وذهب به الأمر إلى أن يعقد تحالفا مع الفونصو ملك النصارى[3]، ولم تهدأ هذه الفتن الداخلية في عهد الخليفة المأمون (626-629هـ/1228-1232م) ومن بعده الرشيد (630-640هـ/1232-1242م) مما أعطى فرصة للنصارى في الأندلس لاسترجاع بعض المدن الإسلامية وخرجت بذلك الأندلس جماعة من طاعة الموحدين عدا الجزيرة الخضراء** واشبيلية[4].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص 242 .

*- كزولة : موطن هذه القبيلة بالسوس و ما يلي من بلاد الصحراء وجبال درن و كانوا يقيمون إلى جانب الملثمين من صناهجة ، وكزولة تضم بطونا كثيرة معظمهم بالسوس وكان لهم مع المعقل حروب قبل أن يدخلوا السوس ، أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون ، ديوان العبر والمبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاذة ، مرابعة الدكتور سهيل زكار ، الجزء السادس ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ص ص 270-271 .

[2]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج6 ، ص 336 .

[3]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه ، ص 246.

**- الجزيرة الخضراء : بينها و بين قلشانة أربعة و ستون ميلا ، و هي على ربوة مشرفة على البحر ، سورها متصل به و بشرقيها خندق و غربية أشجار تين و هي منيعة حصينة ، و هي أول مدينة استولى عليها العرب سنة 710 م ، ثم أخذها الفونسو الحادي عشر سنة 1342 ، الروض المعطار : ص 223

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ، ص417.

خلال هذه الفترة اشتدت ضربات قبائل بني مرين الذين تمكنوا من هزيمة الموحدين سنة 637هـ/1239م[1] ، وبدأ بنو مرين يشكلون الخطر الأكبر لدولة الموحدين المتهالكة ، وكانت هناك وقائع عديدة بين الطرفين انتهت في مجملها لصالح المرينيين ، وفي الوقت نفسه أصبحت إفريقية وبلاد المغرب الأوسط خارجة تماما عن نفوذ الدولة الموحدية، وفي سنة 668هـ/1269م تقدم المرينيون نحو مدينة مراكش حاضرة الخلافة الموحدية، وبعد معركة فاصلة تمكن قائد المرينيين يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) من القضاء على دولة الموحدين وقتل آخر خلفائها أبو دبوس (665-668هـ/1266-1269م)[2].

إن انهيار دولة الموحدين لم يكن لأسباب وظروف سياسية فحسب ، بل كانت هناك صعوبات اقتصادية عرفتها هذه الدولة نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية وانتشار الغلاء وتحول الطرق التجارية[3].

تأسيس دولة بني عبد الواد:

في الوقت الذي ضعفت فيه دولة الموحدين وتقلص نفوذها بشكل كبير في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، عرفت بلاد المغرب الأوسط تحرك القبائل البربرية التي كانت تطمع في الاستيلاء على تركة الموحدين وعليه أصبحت تلمسان مطلب هذه القبائل لأنها كانت تمثل سلطة الموحدين في المغرب الأوسط ، وكان من بين هذه القبائل بنو عبد الواد.

إن قبائل بني عبد الواد هم في الأصل قبائل رحل كانت تجوب الصحراء من مدينة سجلماسة* إلى منطقة الزاب** من إفريقية و لم يزالوا على ذلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط فكانوا سباقين الى طاعتهم و صاروا من أخلص قبائل زناتة ولاءا لهم[4] ، و عليه دخل بنو

---

[1] – ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج6 ، ص345 .

[2] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 353 .

[3] – Atallah Dhina: Les Etats de l'occident Musulmans aux XIII^e , XIV^e et XV^e siècles, Institutions Gouvernementales et Administratives. Office des publications-Alger , P 32 .

*–سجلماسة : مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب ، وهي على طرف الصحراء ، بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين ، قليلة المياه ، يسكنها قوم من مسوفة رحالون ، وبنيت هده المدينة سنة 140هـ/757م ومؤسسها هو مدرار بن عبد الله ، أنظر : الروض المعطار، ص305 .

**– الزاب : من عمل إفريقية وهو مدن كثيرة ويضم المسيلة (بلاد الحضنة) ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة ، وبين الزاب والقيروان عشر مراحل ، أنظر: الروض المعطار ص281 .

[4] – لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، و هران 2007 ، ص 37.

عبد الواد في خدمة الدولة الموحدية مما دفع بالخلفاء الموحدين إلى منحهم أراضي فأقطعوهم عامة بلاد بني ومانو* وسكنت قبائل بني عبد الواد بالقرب من مدينة تلمسان و التي كان يسير شؤونها أحد عمال الموحدين و هو أبو سعيد عثمان[1] ، هذا الأخير قام بحبس كبار زعماء بني عبد الواد الذين سيطلق سراحهم فيما بعد على إثر إستبداد قبيلة مسوفة بتلمسان والتي أحيت مراسم الدولة المرابطية فيها، وبما أن زعيم المرابطين في تلمسان وهو إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي الذي كان يرى في بني عبد الواد المنافسين له في تلمسان فإنه عقد العزم على حربهم واستئصال شأوتهم إلا أن بني عبد الواد وزعيمهم جابر بن يوسف تمكنوا من هزيمته ودخول مدينة تلمسان سنة 627هـ/1230م[2]، و عند دخول جابر بن يوسف مدينة تلمسان أعلن بيعته للخليفة الموحدي المأمون (626-629هـ/1228-1232م) فكان ذلك إيذانا بتأسيس الدولة العبد الوادية خاصة بعد أن دخل في طاعته الكثير من القبائل التي كانت تجوب سهول تلمسان وضواحيها[3].

و بعد وفاة جابر بن يوسف سنة 629هـ/1231م قام بالأمر من بعده ابنه الحسن الذي حكم لمدة ستة أشهر، ثم تنازل عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف حوالي سنة 630هـ/1232م والذي بقي في السلطة مدة سنة كاملة ، ثم تولى أمر بني عبد الواد خليفته أبا عزة زيدان بن زيان الذي دخل في حروب مع بني مطهر وبني راشد** لإخضاعهم إلا أنه قتل على أيديهم سنة 633هـ/1235م[4] ثم آلت إمارة بني عبد الواد إلى يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1283م) وكان أول عمل قام به هو نقض دعوة بني عبد المؤمن واستقل بتلمسان مع الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية[5].

---

*- بني ومانو : إحدى بطون قبيلة زناتة . ومواطنها ببلاد المغرب الأوسط ، في الجهة الشرقية من وادي مينا وسرات وما إليها من أسافل شلف ، أنظر : العبر، الجزء السابع ، ص74.

1- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص 98-99 ، و أيضا : لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص 37 .

2- أبوزكرياء يحي ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، المجلد الأول ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر 1903 ، ص106.

3- نفسه ، ص 107.

**- بنو راشد : كان موطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد ، وعندما اضمحل أمر بني يلومي زحف بنو راشد إلى سهول مديونة وبني ورنيد وكانت بين الطرفين معارك عديدة ، ثم أصبحو حلفاء لبني عبد الواد ، أنظر : العبر ، ج7 ، ص 203 .

4- يحي بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص107 .

5- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982 ، ص13 .

العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط ودول المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8 هـ :

شهدت بلاد المغرب الإسلامي منذ مطلع القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي تداعي دولة الموحدين، مما أدى إلى انقسام بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة دول إسلامية، حيث أعلن الأمير أبو زكريا قيام دولة بني حفص سنة 632هـ/1236م في إفريقية ، وفي سنة 633هـ/1235م أعلن يغمراسن بن زيان قيام دولة بني عبد الواد في تلمسان ، وفي سنة 668هـ/1269م سقطت حاضرة الموحدين مدينة مراكش في يد قبائل بني مرين[1].

إن هذه الدول الإسلامية الثلاثة لم تتبنى أية إيديولوجية للحكم كما كان الحال على عهد دولتي المرابطين والموحدين ، بل عملت هذه الدول على الالتزام بالمذهب المالكي ، وكانت كل دولة من هذه الدول ترغب في استعادة مجد الدولة الموحدية، لذلك دخلت هذه الدول في حروب كثيرة وطويلة لتحقيق هذه الغاية[2].

أ- العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 هـ:

إن العلاقة بين بني عبد الواد في المغرب الأوسط وبين بني مرين في المغرب الأقصى كان يطبعها الصراع في كثير من الأوقات حتى قبل أن يؤسس كلا منها دولته في منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، حيث تذكر المصادر التاريخية إلى أن الحرب كانت سجالا بين بني عبد الواد وبني مرين[3] خاصة في الفترة التي شهدت انهيار دولة الموحدين وتقلص نفوذها في بلاد المغرب، وأمام تزايد نفوذ بني مرين في جهات المغرب الأقصى ، استنجد الخليفة الموحدي أبو حفص عمر المرتضى (646هـ665هـ/1248-1266م) بيغمراسن بن زيان ودارت المعركة بين المرينيين والزيانيين في وادي إيسلي بناحية وجدة* وانتهت لصالح المرينيين[4].

بعد أن قضى بنومرين على دولة الموحدين سنة 668هـ/1269م ووطدوا نفوذهم في بلاد المغرب الأقصى تجدد القتال بين بني عبد الواد وبني مرين، حيث قام المرينيون بإرسال حملات عسكرية متتالية

---

[1]- عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002 ، ص 14 .

[2] - Dhina (A) : op cit, p 143 .

[3]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 104

*- وجدة : مدينة بالمغرب ، بينها و بين تلمسان ثلاث مراحل ، و هي مدينة كبيرة مشهورة قديمة كثيرة البساتين و النبات ، و على وجدة طريق المار و الصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب و على سجلماسة ، أنظر : الروض المعطار ، ص ص 207 ، 208 .

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 112 .

في سنوات 689هـ/1290 م ، وسنة 695هـ/ 1296 م ، و سنة 696هـ/ 1297 م و سنة697هـ/ 1298 م غير أنهم لم يتمكنوا من اقتحام مدينة تلمسان نظرا إلى حصانتها واستبسال أهلها في الدفاع عنها ، الأمر الذي دفع بالسلطان المريني أبو يعقوب يوسف (685-706هـ/1286م-1306م) إلى تجهيز حملة عسكرية كبيرة سنة 698هـ/1299م حيث ضرب حصارا طويلا على المدينة ونظرا لطول مدة الحصار قام السلطان المريني أبو يعقوب يوسف ببناء مدينة مقابلة لتلمسان سماها المنصورة تيمنا بتحقيق الإنتصار[1].

استمر الحصار المريني لمدينة تلمسان ثمانية سنين وثلاثة أشهر أي من سنة 698هـ/1299م إلى سنة 706هـ/1306م عاشت خلاله المدينة ومن اعتصم فيها ظروفا صعبة وقاسية حيث توفي خلق كثير من سكانها قدر عددهم بمائة و عشرين ألف نسمة ، وانتشرت الأوبئة والأمراض، وكان من جملة من هلك أثناء هذا الحصار السلطان الزياني أبو سعيد عثمان الأول (681هـ-703هـ/1283م-1303م) فبايع أهل تلمسان ابنه أبو زيان محمد الأول (703-707هـ/1303م-1308م) وخلال الحصار قتل أبو يعقوب يوسف المريني سنة 706هـ/1307م وتخلصت تلمسان بذلك من محنة صعبة وطويلة[2] ، حيث تذكر المصادر التاريخية أنه خلال الحصار المريني على تلمسان غلت الأسعار وهلك الناس جوعا ونفذت المؤونة فاضطر سكان تلمسان إلى أكل الجيف والقطوط والفئران[3].

بعد انتهاء الحصار المريني على تلمسان بدأ السلطان الزياني أبو زيان محمد الأول (703-707هـ/1303م-1308م) في تنظيم الدولة من جديد واستعادة هيبتها وكان أول عمل قام به هو التحرك لإخضاع المناطق والجهات التي وقفت إلى جانب المرينيين أثناء الحصار على تلمسان ، حيث

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 127 ، و أيضا : محمد بن عبد الله التنسي ، نظم الدور والعقيان في بيان شرف بني زيان ، حققه وعلق عليه محمود بوعياد المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985، ص130 ، أنضر أيضا : يحي بوعزيز ، ماضي تلمسان و أمجادها الحضارية ، من كتاب مآثر تلمسان ماضيا و حاضرا ، جمع و تعليق ، محمد بوزواوي ، القافلة للنشر و التوزيع ، الجزائر 2011 ، ص 15 .

[2]- عبدلي ، المرجع السابق ، ص 112 ، أنظر كذلك : مكيوي محمد ، الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633 – 1236هـ/ 737– 1337م) رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان 2000 – 2001 ، ص ص 83 – 84 .

[3]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 122، و أيضا : العبر ، ج7 ، ص 128 .

تمكن من إخضاع مغراوة* ومناطق السرسو وبني توجين** وبعد الانتهاء من ذلك عاد إلى تلمسان سنة707هـ/1308م وهي السنة التي توفي فيها وخلفه في الحكم أبو حمو موسى الأول.

يعتبر السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول(707-718هـ/1308-1318م) المؤسس الحقيقي للدولة العبد الوادية في المغرب الأوسط حيث استهل فترة حكمه بعقد صلح مع بني مرين حتى يتمكن من استعادة مجد الدولة الزيانية في أحواز مدينة تلمسان حيث فرض سلطانه على مغراوة وبنو توجين وعين بعض عملائه على هذه المناطق ثم قفل راجعا إلى مدينة تلمسان، و كان حلمه انتزاع عمالة الزاب من الحفصيين فأرسل إليها الجيوش فاستولت على البوادي و حاصرت المدن حتى فتحها واحدة تلو الأخرى ، و اعتز بذلك جانب أبي حمو و بعد صيته و اتسعت آماله[1] ، وقد شهدت تلمسان في عهده استقرارا في نظام الحكم[2] ، بعد وفاة أبي حمو موسى الأول بايع سكان تلمسان ابنه أبا تاشفين عبد الرحمان الأول(718-737هـ/1318-1337م)الذي بدأ عهده بإخضاع منطقة وانشريس*** التي كان يتحصن فيها محمد بن يوسف حيث تمكن من هزيمته ودخول وانشريس[3] ، ثم تطلع هذا الأمير العبد الوادي إلى عقد صلح مع السلطان المريني أبو سعيد (710-732هـ/1310-1331م)[4].

خلال هذه الأثناء تصاهر البيتان المريني والحفصي وكان ذلك بمثابة إتفاق ضمني بين الطرفين على قتال بني زيان ، إذ طالب السلطان المريني أبو الحسن(732-749هـ/1331-1348م) من أبي تاشفين العبد الوادي أن يرفع حصاره على مدينة بجاية التي كانت تعتبرها الأسرة الحفصية في إفريقية جزءا من ممتلكاتها ، إلا أن السلطان الزياني أبو تاشفين رفض الأمر، مما دفع بالسلطان أبو الحسن

---

*- مغراوة : هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة و اهل البأس و الغلب منهم ، و نسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا ، و أما شعوبهم و بطونهم فكثير مثل بني يلث و بني زنداك و بني رواو و كانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة و ما إليها أنظر : العبر ، ج7 ، ص 33 .

**- بني توجين : إحدى قبائل زناتة الثانية ، وكان هؤلاء مددا للحروب التي كانت بين بني ومانو وبني يلومي ، أنظر: العبر ، ج7 ، ص75.

[1] - عبدلي لخضر ، المرجع السابق ، ص ص 113- 114 .

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص132، و أيضا : بغية الرواد ، ج1 ، ص128، رشيد بوروبية ، موسى لقبال، عبد الحميد حاجيات، عطاء الله دهينة ، محمد بلقراد ، الجزائر في التاريخ ، العهد الأسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، وزارة الثقافة والسياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 ، ص 384 .

***- وانشريس : جبل بني مليانة وتلمسان من نواحي المغرب، تسكنه قبائل من البربر أزدجة وكتامة ومطماطة وزواوة، أنظر: الروض المعطار ، ص600

[3]- نفسه ، ج7، ص 142، و أيضا : بغية الرواد ، ج1، ص ص 134، 135.

[4] - نفسه ص 146 .

المريني إلى التحرك إليه سنة 732هـ/1333م غير أنه لم يستطع أن يحسم الأمر لصالحه[1] ، وفي سنة 735هـ/1336م قرر أبو الحسن المريني تجهيز حملة عسكرية جديدة لغزو تلمسان حيث استطاع هذه المرة أن ينتصر على قوات بني عبد الواد ودخول مدينة تلمسان سنة 737هـ/1338م وانقرض بذلك ملك بني زيان من المغرب الأوسط[2] .

لقد استمر الاحتلال المريني لتلمسان من سنة737هـ/1338م إلى سنة 748هـ/1349م ، وفي سنة 748هـ/ 1349 م غادر السلطان أبو الحسن المريني مدينة تلمسان متجها نحو إمارة بني حفص في إفريقية، وفي طريقه إليها تمكن من السيطرة على بجاية وقسنطينة وبونة ثم دخل مدينة تونس سنة 748هـ/1347م وتوحدت بذلك بلاد المغرب تحت رايته[3]، لكنه مع مجيء سنة 749هـ/1348م بدأت الأمور تسير في غير صالحه نتيجة تذمر القبائل الهلالية من السياسة التي انتهجها أبو الحسن المريني في إفريقية، فقررت هذه القبائل التحرك للقضاء عليه حيث دارت معركة حاسمة بين الطرفين في القيروان سنة 749هـ/1348م انتهت بهزيمة أبي الحسن المريني الذي قفل راجعا إلى حاضرة ملكه مدينة فاس[4].

أدت الهزائم والصعوبات التي تعرض لها أبو الحسن المريني في إفريقية إلى عودة الأمراء الزيانيين إلى حاضرة ملكهم، حيث تمكن أميران زيانيان وهما أبو ثابت وأبو سعيد من دخول مدينة تلمسان بعد القضاء على عثمان بن جرار الذي كان قد ولاه أبو عنان المريني على تلمسان بعد نكبة القيروان سنة 749هـ1348م[5]، و بعد أن استتب الأمر في تلمسان لأبي ثابت (749-753هـ/ 1348-1352م) شرع في توطيد نفوذه على حساب قبيلة مغراوة في منطقة شلف، وعندما نزل السلطان أبو الحسن المريني في مدينة الجزائر، قرر أبو ثابت فك الحصار على مغراوة وملاقاة أبي الحسن ، حيث التقى الجمعان بالقرب من شلف وقد انجلت المعركة عن هزيمة أبي الحسن المريني[6] ، و في سنة 753هـ/1354م قرر السلطان أبو عنان المريني إحياء أمجاد الدولة المرينية حيث تمكن من غزو مدينة

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص147 ، و أيضا : نظم الدر و العقيان ، ص 145 .

[2]- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1، ص ص 140، 141.

[3]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 23 .

[4]- نفسه ، ص 24 .

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص153، 154 .

[6]- نفسه ، ج7 ، ص159، و أيضا : نظم الدر والعقيان ، ص153 .

تلمسان والسيطرة عليها في الوقت الذي فر فيه السلطان أبو ثابت وابن أخيه محمد بن أبي سعيد ووزيرهم يحي بن داود خارج مدينة تلمسان حيث ترصد لهم صاحب بجاية وتمكن من القبض عليهم وتسليمهم إلى أبي عنان المريني الذي قام بقتل أبي ثابت ووزيره يحي فانقرض بذلك ملك آل زيان بالمغرب الأوسط للمرة الثانية[1]، و بقيت تلمسان و بلاد المغرب الأوسط تابعة لسلطة بني مرين مرة أخرى لمدة سبع سنوات ، إلا أن كانت الكرة الثالثة على يد أبي حمو موسى بن يوسف الذي تمكن من انتزاعها منهم و محا دعوتهم سنة 760 هـ / 1359م[2].

في منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي تمكن أحد أفراد البيت الزياني وهو أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م)وبمساعدة بعض القبائل من استرجاع ملك بني عبد الواد في تلمسان، حيث تمكن هذا الأخير من دخول المدينة سنة 760هـ/1359م وخلال هذه الفترة انشغل المرينيون بأمورهم الداخلية وضعفت قبضتهم على بلاد المغرب الأوسط[3].

ب- العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى خلال القرنين 7و8 هـ :

في الوقت الذي كان فيه الصراع محتدما ما بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، كان هناك صراع آخر في الجهة الشرقية بين بني عبد الواد بتلمسان وبني حفص في إفريقية لأن مؤسس إمارة بني حفص في إفريقية وهو أبو زكريا يحي(626-647هـ/1229-1249م) تلقب بالخليفة سنة 633 هـ 1236م وكان يرى نفسه أحق بوراثة تركة الموحدين[4] .

بدأ الخليفة الحفصي أبو زكريا يحي فترة حكمه بتوسيع دائرة نفوذ دولته في الجهة الشرقية من بلاد المغرب الأوسط، حيث تمكن في سنة 626هـ/1229من السيطرة على قسنطينة وعلى مدينة بجاية[5] وفي سنة631 هـ /1234م تمكن من السيطرة على مدينة الجزائر وضواحي مدينة شلف وإخضاع قبائل هاته المناطق التي أتته مبايعة له[6].

---

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص162 ، و أيضا : عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص32 .

[2] - عبدلي لخضر ، المرجع السابق ، ص 137 .

[3]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص 54 .

[4]-Mahfoud Kaddache : L'algérie Medievale, Société Nationale d'édition et de diffusion – Alger 1982, P 143.

[5]- ابن القنفذ القسنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، دار التونسية للنشر 1968 ص 108.

[6]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج6 ، ص 283 ، و أيضا : Ibid , p 149 .

في سنة 639هـ/1241م وصلت هدية من الخليفة الموحدي في مراكش إلى يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1283م) مما كان يعني تحالف الطرفين ضد أبو زكريا الحفصي فتحرك هذا الأخير على رأس حملة عسكرية تتكون من إثنى عشر ألف رجل تمكن من خلالها من دخول تلمسان سنة 640هـ/1242م ، والتي كان قد فر منها يغمراسن بن زيان واحتمى بمنطقة بني يزناسن[1]، و في رواية أخرى صعد الى جبل تربي المحاذي للمدينة[2] ، وقبل مغادرته تلمسان عقد السلطان أبي زكريا يحي الحفصي صلحا مع يغمراسن بن زيان إشترط عليه دفع مئة ألف دينار، وأن تقام الخطبة باسمه دون الخليفة الموحدي الرشيد، واتفقا على عداوة بني عبد المؤمن[3].

شهدت إفريقية بعد وفاة الأمير أبو زكريا يحي سنة 647هـ/1249م إضطرابات وفتن داخلية نتيجة ظهور صراع داخل البيت الحفصي بين الخليفة الجديد أبو عبد الله المستنصر (647هـ/ 676 هـ /1249-1277م) وأخيه أبو إسحاق هذا الأخير تمرد على الخليفة الجديد ورفض مبايعته، ومما زاد الأمور تعقيدا هو ظهور زعيم محلي و هو أحمد بن مرزوق الذي يعرف بأبي عمارة في منطقة الزاب حيث شكل خطرا حقيقيا ومستمرا لسلطة بني حفص في إفريقية[4]، فانتهز السلطان العبد الوادي أبو سعيد عثمان (681-703هـ/1283-1303م) ذلك في توطيد نفوذه على حساب الجهات والمناطق التي كانت تحت سلطة بني حفص ، ثم فرض حصارا على مدينة بجاية غير أنه لم يتمكن من دخولها[5]، و في الوقت الذي انشغلت فيه إمارة بني حفص في قتال أبي عمارة الخارجي ، بدأت إمارة بني عبد الواد في إخضاع مناطق مختلفة من بلاد المغرب الأوسط حيث استولى أبو سعيد عثمان العبد الوادي على مدينة تنس* والمدية سنة 688هـ/ 1289 م مما كان يعني تقويض سلطة بني حفص في بلاد المغرب الأوسط[6]،وعندما تسلم شؤون بني عبد الواد السلطان أبو حمو موسى الأول (701-718هـ/1301-1318م) عمل في المقام الأول على مهادنة بني مرين لتفرغ للجهة الشرقية من

---

[1]- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1، ص112 ، و أيضا ، نظم الدر و العقيان ، ص117 ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، ص ص21،22 .

[2] - لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص 103.

[3]- يحي بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص113 ، و أيضا ، العبر ، ج6 ، ص392 ، أبو حمو موسى الزياني ، ص13.

[4]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج6 ، ص 441 ، أنظر كذلك : Mahfoud (K) op cit , p 149.

[5]- يحي ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج1، ص 118، و أيضا : حاجيات ، المرجع السابق ، ص 14.

*- تنس : مدينة بقرب مليانة بينها و بين البحر ميلان ، و هي مسورة حصينة و بعضها على جبل و قد أحاط به السور ، و بعضها في سهل الأرض و هي قديمة أزلية ، أنظر : الروض المعطار ، ص 138 .

[6]- نفسه ، ص 118 ، و أيضا : حاجيات ، المرجع نفسه ، ص 14.

دولته التي شهدت عدة اضطرابات داخلية مناوئة لسلطته حيث ضرب حصارا على مدينة بجاية ، ثم شرع في مهاجمة قسنطينة وبونة* ، إلا أن أمراء بني حفص تمكنوا من إجباره سنة 714 هـ/1314م على الإنسحاب نحو مدينة تلمسان[1]، وفي عهد السلطان الزياني أبو تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) استمر الصراع مع بني حفص نتيجة محاولة بني عبد الواد السيطرة على مدينة بجاية غير أنهم لم يستطيعوا دخول هذه المدينة[2] ، ومع مجيء سنة 730هـ/ 1330 م دخل الصراع مرحلة حاسمة بين بني عبد الواد وبني حفص حيث قام السلطان أبو تاشفين العبد الوادي بتجهيز حملة عسكرية كبيرة تمكن من خلالها دخول مدينة تونس حيث مكث فيها بنو عبد الواد أربعين يوما[3].

أمام الانتصارات العبد الوادية على بني حفص ، قرر السلطان أبو يحي الحفصي الاتصال بالسلطان المريني أبو سعيد(710-732 هـ/ 1310-1331م) وعرض عليه مساعدته لصد هجمات بني عبد الواد وإقامة مصاهرة بين البيتين الحاكمين في إفريقية وفاس[4]، وعليه طلب أبو سعيد المريني من أبي تاشفين الكف عن مهاجمة بني حفص ، لكن هذا الأخير لم يستجب لطلبه ، وعندما جاء إلى الحكم أبو الحسن المريني(732-749هـ/1331-1348م)طلب هذا الأخير من السلطان أبو تاشفين الزياني الإمتناع عن مهاجمة بني حفص ، وعندما لم يمتنع أبو تاشفين عن ذلك قام السلطان المريني أبو الحسن في سنة 735هـ/1337م بمهاجمة مدينة تلمسان واحتلالها[5].

ومنذ ذلك التاريخ إنشغل بنو عبد الواد في المغرب الأوسط وبنو حفص في المغرب الأدنى بترتيب أمورهم الداخلية وهدأت النزاعات بين الطرفين لمدة من الزمن .

الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 هـ/ 13و14م :

---

*- بونة (عنابة حاليا) : من بلاد افريقية قريبة من فحص قل ، و هي مدينة قديمة من بناء الأول و بها آثار كثيرة ، و هي على ساحل البحر في نشر من الأرض مشرف على البحر ، و ببونة مساجد و أسواق و حمام و هي ذات زروع و ثمور ، و قد سورت بونة بعد 450 هـ/ 1058م ، أنظر ، الروض المعطار : ص 115.

[1]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص ص 16،17 ، و أيضا : Mahfoud (K) op cit , p 164 .

[2] - يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص137 ، و أيضا ، حاجيات ، المرجع نفسه ، ص 18.

[3] - نفسه ، ص139 .

[4] - نفسه ص139 ، و أيضا : عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص43 .

[5] - نفسه ، ص ص 139 – 140 ، و أيضا : عبد الحميد حاجيات ، المرجع نفسه ، ص ص 20 - 21.

استهلت دولة الموحدين القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ، بهزيمة قاسية في موقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م ، وكان لهذه المعركة أثر كبير في تطور وسير الأحداث في بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة خلال هذه الفترة[1]، حيث شهدت بلاد المغرب الأقصى قيام فتنة داخلية واضطرابات سياسية ، و انحصر نفوذ سلطة خلفاء الدولة الموحدية في المدن بينما أصبحت البوادي خارجة تماما عن مراقبة السلطة المركزية ، وازدادت الأمور سوءا عندما بدأت تظهر ملامح انعدام الأمن في الطرقات وانتشرت اللصوصية وامتنع الناس عن دفع الضرائب، في الوقت الذي شهد فيه البيت الموحدي في مراكش صراعات سياسية نتيجة تدخل كبار مشيخة الموحدين في تولية الأمراء وعزلهم مما أثر على الحياة السياسية بصفة عامة[2].

إن الأزمة التي عصفت بدولة الموحدين في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي أعطت الفرصة لبعض القبائل التي كانت تتحين الوقت المناسب لتقويض دعائم الدولة الموحدية المتهالكة وكانت من بين هذه القبائل بطن من قبيلة زناتة* يعرف ببني مرين.

تأسيس دولة بني مرين (668- 870 هـ /1269-1465م) :

ينتسب بنو مرين إلى قبيلة زناتة الكبرى ، وهم من ولد مرين بن ورتاجن إلى أن ينتهي نسبهم إلى عدنان فهم عرب بالأصل[3]، وكان بنو مرين يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة وكانت حياتهم تقوم على التنقل صيفا وشتاءا، وكانوا لا يخضعون لسلطان معين ولا يؤدون ضريبة[4]، و هناك رواية أخرى لإبن خلدون الذي يقول أن بني مرين هؤلاء من شعوب بني واسين ، و هم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت ابن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين ، و انهم إخوة بني يلومي و مديونة ، و كانوا أهل تلول المغرب

---

[1]- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الطبعة الأولى 1979 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ص161 ، و أيضا : ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص ص 238 – 239 .

[2]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 242 ، و أيضا : العبر ، ج6 ، ص ص 346-347 ، أنظر كذلك : عبد الكريم غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب الإسلامي ، عصر الإمبراطورية ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى 2005 ، دار الغرب الإسلامي ، ص216 .

*- زناتة : كانت قبائل زناتة تقيم في مواطن كثيرة ببلاد المغرب من غدامس إلى بلاد سوس الأقصى ، وكانت أكثر قبائل زناتة تقيم ببلاد المغرب الأوسط وهم ينتسبون إلى البربر من ولد شانا وجانا هو ابن يحي بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن بربر ، العبر ، ج7 ، ص ص 3 - 4 .

[3]- علي ابن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط 1972 ، ص14، أنظر كذلك : روض القرطاس ، ص ص278-279 .

[4]- ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص ص 281- 282 .

الأوسط ، و بقي هذا الحي من بني مرين بمجالات القفر من فكيك إلى سجلماسة إلى ملوية ، و يذكر نسابتهم أن الرياسة فيهم قبل تلك العصور كانت لمحمد بن ورزين[1].

استغلت قبيلة بني مرين ضعف سلطة الموحدين بعد معركة العقاب 609هـ/1212م وبدأت تتطلع إلى انتزاع الملك منها ومحاولة استخلافها ، وعليه بدأت هذه القبائل في التحرك مع مطلع سنة 610هـ 1213 م من موطنها الأصلي حيث استقرت بأطراف بلاد المغرب الأقصى بالقرب من وادي ملوية*ووقفت هذه القبائل في هذه الأثناء على الصعوبات والقلاقل الكثيرة في المغرب الأقصى بعد تقلص نفوذ وسلطة دولة الموحدين ، فبدأت قبائل بني مرين تتوافد على المغرب الأقصى ويزداد نفوذهم فيه فأرسل إليهم الخليفة الموحدي يوسف المنتصر (611-620هـ/1214-1223م) حملة عسكرية إلا أن المرينيين بقيادة زعيمهم أبو بكر بن محيو تمكنوا من هزيمة الموحدين بالقرب من رباط تازة** وكان ذلك سنة 613هـ/1216م[2] ، وفي سنة 614هـ/1217م حدثت معركة بين بني مرين وقبائل رياح بالقرب من وادي سبو أدت إلى مقتل زعيم المرينيين أبو بكر محيو ، لكن بالرغم من ذلك استطاع المرينيون الانتصار على قبائل رياح[3]، و بعد مقتل زعيم المرينيين أبو بكر بن محيو تولى أمرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (614-638هـ/1217-1240م) الذي بدأ بتوطيد نفوذه على حساب عرب رياح حيث تمكن من إخضاعهم وإجبارهم على الطاعة وألزمهم بدفع مال معين يؤدونه كل سنة[4]، وتمكن هذا الزعيم المريني من كسب عدة قبائل إلى جانبه مثل هوارة ومكناسة وفشتالة وبهلولة ومديونة ، فوضع عليهم الخراج و أخرج لهم الحفاظ و صالح أهل مدينة فاس و مكناسة و رباط تازة على أموال معلومة يؤدونها إليه في كل سنة على أن يؤمن بلادهم و يرفع عنهم الغارات ، و

---

[1] – ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 221 .

* – وادي ملوية : نهر كبير مشهور في بلاد المغرب فيه قرى كثيرة وعمائر متصلة تسقى كلها من نهر ملوية ، أنظر : الروض المعطار ، ص543 .

** – رباط تازة : مدينة كبيرة في سفح الجبل مشرقة على بسائطه، يشقها جداول المياه العذبة وعليها سور عظيمة ، أنظر : مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق سعد زغول عبد الحميد ، دار الشؤون التقافية العامة ، العراق ، ص186 .

[2] – ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص286 .

[3] – بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية ، ص 33 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى 1978 ، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، ص 13 .

[4] – نفسه ، ص 35 .

يدفع عنهم آذي من كان يؤذيهم من القبائل ، وفي سنة 620هـ 1223 م غزا بلاد فازار* وتمكن من ضمها إلى سلطة بني مرين وعليه أصبحت سلطة بني مرين الناشئة تمتد من وادي ملوية إلى رباط الفتح مع حلول سنة 625هـ/ 1228م[1].

تمكن المرينيون في بداية سنة 643هـ / 1245م من دخول مدينة مكناسة في عهد الأمير أبو بكر بن عبد الحق المريني (642-656هـ/1244-1258م) وعندما وصل خبر ذلك إلى الخليفة الموحدي السعيد ، قرر هذا الأخير تجهيز حملة عسكرية لاسترجاع المدينة ، فلما وصل هذا الأمر إلى مسامع القائد المريني أبو بكر خرج من مكناسة وبعث ببيعته إلى الخليفة السعيد وتعهد له بالقضاء على يغمراسن ، و في سنة 646هـ/1248م توفي الخليفة الموحدي السعيد وهو يحاصر مدينة تلمسان ، فاستغل زعيم المرينيين ذلك في العودة إلى مكناس ، لكن أهداف بني مرين لم تتوقف عند فتح مكناسة و ضمها إلى ديارهم و لكن كان الهدف هو السيطرة على كل أرجاء المغرب و إقصاء الموحدين من البلاد فكانت الخطوة الثانية مدينة فاس للعمل على انتزاعها بكل السبل و الوسائل من أيدي الموحدين فحاصرها الأمير أبو بكر يحي بن عبد الحق حصارا شديدا و شدد عليها الحصار حتى خرج إليه أشياخها و تمت مبايعته خارج أسوارها ثم دخلها أبو بكر في ربيع الثاني عام 646 هـ/1249م و بذلك خضعت فاس لسيطرة بني مرين و خلعت طاعة الموحدين[2]، وفي سنة 647هـ/1249م نهض أبو بكر المريني لقتال قبائل زناتة وعدوه يغمراسن بن زيان ، وقبل مغادرته فاس قام بتعيين مولاه السعود بن خرباش واليا على المدينة ، فاستغل كبار مشيخة الموحدين فرصة غياب أبو بكر المريني وانقلبوا على واليه وقاموا ببيعة الخليفة الموحدي المرتضى (646-665هـ/1248-1266م) ، وبعد هزيمة يغمراسن بن زيان سنة 647هـ/1249م، عاد أبو بكر المريني من جديد إلى فاس التي ضرب عليها حصارا حتى طلب أهلها الأمان وسلموا إليه المدينة سنة 648هـ/1240م[3].

---

*- فازار : جبل تسكنه أمم كثيرة من البربر ويطردهم الثلج عنه فينزلون إلى ريف البحر الغربي ، وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيل ، أنظر : الاستبصار ، ص 187.

[1] - ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص 289 .

[2] - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المغرب العربي بين بني حفص و بني زيان و بني مرين ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى 1994 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص 209 . و أيضا : أبو العياس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدولة المرينية ، الجزء الثالث ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب 1954، الدار البيضاء ، ص14.

[3] - ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص 294.

ثم بعد ذلك كان على بني مرين أن يسيروا في نفس المنهج الذي اختطوه لأنفسهم بمتابعة فتح المدن و الحصون و القلاع التي تخضع للموحدين ، و ضرورة حصر الموحدين في نطاق ضيق حول حاضرتهم مدينة مراكش فكان عليهم أن يوسعوا دائرة المدن تحت قبضتهم إذ تمكنوا من دخول مدينة سلا و رباط الفتح و كانت خطة بني مرين العسكرية في ذلك الإستيلاء على هاتين المدينتين و الهدف منها قطع الصلة بين الموحدين و بين شمال المغرب الأقصى و بذلك لا يكون لهم أدنى صلة بهذه النواحي و البقاء محاصرين في منطقة المغرب الأقصى و كان ذلك حوالي سنة 649 هـ/1250م[1]، وقبل وفاته تمكن أبو بكر المريني من توسيع رقعة دولته على حساب الموحدين حيث تمكن من السيطرة على مدينتي تادلا* وسجلماسة ودرعة** وكان ذلك في حدود سنة 655هـ/1257م[2].

بعد وفاة أبو بكر تولى أمور المرينيين يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) حيث بدأ عهده بالدخول في حرب ضد يغمراسن بن زيان وتمكن من الإنتصار عليه سنة 657هـ/1259م[3]، وفي سنة 658هـ/1260م دخل إلى رباط تازة وقاتل النصارى في مدينة سلا حيث تمكن من هزيمتهم ، ثم وصلته هدية من الخليفة الموحدي المرتضى وعقدا صلحا بينهما واتفقا على أن يكون وادي أم الربيع فاصلا بينهما[4].

مع مطلع سنة 660هـ/1260م قرر يعقوب بن عبد الحق المريني الزحف إلى مدينة مراكش حيث ضرب حصارا على المدينة ، وعندما لم يستطع دخولها إنسحب إلى مدينة فاس[5]، وفي سنة 663هـ/1260م اتصل أحد رجالات الخليفة المرتضى وهو أبو دبوس بالأمير يعقوب بن عبد الحق المريني ، واتفقا الاثنان على أن يقوم يعقوب المريني بإيفاد حملة عسكرية مع أبو دبوس للقضاء على

---

[1] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص 210.

*– تادلا : من بلاد المغرب ، و هي مدينة قديمة أزلية فيها أثار للأول ، بنى الملثمون فيها حصنا منيعا هو الآن معمور و فيه الأسواق و الجامع ، و البلد كله كثير الخيرات و الأرزاق أحاطت به القبائل من جميع الجهات ، أنظر : الروض المعطار ، ص 127

**– درعة : بالمغرب في جهة سجلماسة ، و إنما تعرف درعة بواديها فإنه نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب و ينبعث من جبل درن ، و هي مدينة عامرة آهلة ، بها جامع و أسواق حافلة ، أنظر : الروض المعطار ، ص 235 .

[2]– ابن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية ، ص 83.

[3]– نفسه ، ص89 ، و أيضا : السلاوي المرجع السابق ، ج3 ، ص20 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص17.

[4]– ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس ، ص ص301-302 ، و أيضا : السلاوي ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص ص21-22.

[5]– ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص303.

الخليفة المرتضى ، وتعهد من جانبه أبو دبوس باقتسام الملك مع يعقوب المريني ، فتم لأبي دبوس فتح مراكش سنة 665هـ/1260م[1]، وعندما خاطبه يعقوب المريني بالإتفاق الحاصل بينهما تنكر أبو دبوس لذلك فسير إليه يعقوب المريني حملة عسكرية وضرب حصارا على مراكش وضيق عليه ، فاستنجد أبودبوس بيغمراسن بن زيان ، فقرر يعقوب مواجهة يغمراسن حيث التقى الطرفان بالقرب من تلاغ سنة 666هـ/1268م حيث حقق فيها المرينيون نصرا مهما على الزيانيين[2] ، ثم استأنف يعقوب المريني حصاره من جديد لمدينة مراكش التي تحصن فيها أبو دبوس ورفض الخروج لقتال يعقوب بن عبد الحق فقرر هذا الأخير التظاهر بالإنسحاب نحو مدينة فاس فخرج في إثره أبو دبوس حيث التقى الطرفان عند وادي غفو فكانت هزيمة أبي دبوس ثم مقتله على يد قوة مرينية ، بعد ذلك تمكن يعقوب بن عبد الحق المريني من دخول مدينة مراكش سنة 668 هـ/1269م و كان ذلك إيذانا بنهاية دولة الموحدين و قيام دولة بني مرين[3].

العلاقات السياسية بين بني مرين وبني عبد الواد في القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م:

لقد كان الصراع محتدما ما بين قبائل بني مرين وبني عبد الواد قبل أن يؤسس كل قبيل منهما دولته في بلاد المغرب الإسلامي ، حيث كانت هناك حروب ونزاعات بين الطرفين منذ أن كانوا يعيشون في القفار وفي مواطنهم الأولى[4] ، وعندما ضعفت شوكة الموحدين طمعت هذه القبائل في استخلاف هذه

[1]- نفسه ، ص304 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 18- 19.

[2]- نفسه ، ص 305 ، وأيضا : السلاوي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 27 ، إبراهيم حركات ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص19.

[3] – أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الجزء الخامس ، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1915 ، ص 19 .

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 397 .

الدولة الكبرى ، ومما أجج الخلاف بين الزيانيين والمرينيين هو وقوف سلطان بني عبد الواد يغمراسن بن زيان إلى جانب الخليفة الموحدي المرتضى (646-665هـ/1248-1266م) خاصة بعد أن تمكن زعيم المرينيين أبو بكر بن محيو المريني (642-652هـ/1244-1258م) من الإستيلاء على مدينة فاس ، و في سنة 666هـ/1267م استنجد مسلمو الأندلس بزعيم المرينيين يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) نتيجة التوسع المسيحي النصراني على بلاد الأندلس ، فقرر يعقوب بن عبد الحق المريني عقد صلح مع يغمراسن بن زيان ، إلا أن هذا الأخير رفض عقد صلح معه فكان اللقاء بينهما في وادي تلاغ سنة 666هـ/1267م والذي انتهى بانتصار بني مرين[1]. و بعد القضاء على دولة الموحدين واستقرار الأمر لبني مرين في المغرب الأقصى ، تطلع السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق إلى محاربة عدوه يغمراسن بن زيان حيث التقى الجمعان بالقرب من وادي إيسلي* سنة 670 هـ/1272م وقد انجلت المعركة بانتصار آخر للمرينيين ، ثم قام يعقوب بن عبد الحق المريني بحصار تلمسان لكنه لم يستطع دخولها[3] ، فقرر الرجوع إلى مدينة فاس سنة 671هـ/1273م وفي سنة 672هـ/1274م تمكن السلطان يعقوب المريني من دخول مدينة سجلماسة والتي كانت قبل هذا التاريخ تحت سلطة بني عبد الواد[3].

في الوقت الذي استطاع فيه المرينيون تحقيق انتصارات في بلاد الأندلس ، بدأت بعض المشاكل تظهر على السطح حيث تضايق صاحب غرناطة ابن الأحمر من هذه الانتصارات وكان يرى في المرينيين المنافسين له في بلاد الأندلس ، فقرر ابن الأحمر أن يتحالف مع يغمراسن بن زيان ، حيث طلب منه ابن الأحمر أن يبدأ في شن بعض الغارات على بلاد المغرب الأقصى ،حتى ينشغل أبو يوسف يعقوب بأمر المغرب و يترك أمر الأندلس ، وبالفعل ترك أبو يوسف المريني شأن الأندلس والجهاد فيه وتفرغ لقتال يغمراسن بن زيان حيث استطاع الإنتصار عليه سنة 680هـ/1282م[4].

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص 309 ، و أيضا : السلاوي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص ص 25-26 .

*- إيسلي : مدينة في شرقي أرشجول من أرض المغرب ، وهي مدينة قديمة عليها سور صخر وكانت حصينة ، ولها نهر يسقي بساتينها وثمارها ، أنظر: الروض المعطار ، ص58.

[3]- نفسه ، ص 310 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 20-21 ،كذلك : عبد الهادي التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، عهد بني مرين و الوطاسيين ، المجلد السابع ، المغرب 1988 ، ص 10 .

[3]- ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 139 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 22 .

[4]- ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ص 336-337 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص25-26.

مع مطلع سنة 688هـ/1290م تجدد القتال بين بني مرين وبني عبد الواد على إثر فرار أحد أفراد البيت المريني إلى تلمسان وهو أبو عامر ودخوله في كنف السلطان العبد الوادي عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1283-1303م) وعندما رفض هذا الأخير تسليم أبي عامر للسلطان المريني أبي يعقوب يوسف قرر هذا الأخير تجهيز حملة عسكرية ، ونهض في سنة 690هـ/1292م لقتال الزيانيين حيث حاصر تلمسان لمدة أربعين يوما لكنه لم يستطع دخولها[1]، وفي سنة 694هـ/1296م نهض السلطان المريني أبو يعقوب يوسف من جديد لغزو تلمسان على إثر استصراخ أمير مغراوة ثابت بن منديل حيث تمكن المرينيون من الانتصار على الزيانيين[2]، وفي سنة 698هـ/1299م ضرب أبو يوسف يعقوب حصارا طويلا على تلمسان امتد ثماني سنوات وأشهر حيث استبسل أهل تلمسان في الدفاع عن مدينتهم مما حال دون دخول المرينيين إليها[3].

و أثناء الحصار المريني على تلمسان ، قام السلطان أبو يوسف يعقوب ببناء مدينة المنصورة ، وفي الوقت الذي كان فيه المرينيون يضيقون على تلمسان وأهلها ، تسلل أحد العبيد وقام بقتل السلطان أبي يوسف ابن يعقوب ، فاضطرب أمر المرينيين وعليه تم فك الحصار على المدينة ، ورجع الجيش المريني إلى مدينة فاس. وبعد انقضاء مدة من الزمن ، خرج السلطان المريني أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (710-730هـ/1310-1331م) على رأس قوة عسكرية تمكنت من تخريب أحواز تلمسان[4]، ثم تمكن المرينيون بعد ذلك في عهد السلطان أبي الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) من اقتحام مدينة تلمسان سنة 737هـ/1336م ، وبدأ الجيش المريني في التوسع في بلاد المغرب الأوسط حيث استولى على مناطق عديدة ، ثم نجح في الدخول إلى إفريقية حيث استولى على تونس سنة 748هـ/1347م[5].

لقد أدت هزيمة أبو الحسن المريني في موقعة القيروان سنة 740هـ/1340م إلى عودة أمراء البيت العبد الوادي إلى ملكهم في مدينة تلمسان ، حيث شهدت إمارة بني عبد الواد في النصف الثاني من القرن

---

[1]- نفسه ، ص 379 .

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص 290-291 .

[3]- ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص387 ، و أيضا : إبراهيم حركات، المرجع نفسه ، ج2 ،ص33، حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ج2، ص34.

[4]- نفسه ، ص 399.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص 340-341 ، و أيضا : عبد الكريم غلاب ، المرجع السابق ، ص 254 ، كذلك : إبراهيم حركات المرجع السابق ، ج2 ، ص 47 .

الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي حملات عسكرية كثيرة من لدن سلاطين بني مرين ، إلا أن أمراء بني عبد الواد كانوا يستطيعون في كل مرة استعادة ملكهم[1].

بني مرين والجهاد في الأندلس :

لم تنقطع العلاقات بين مسلمي الأندلس ومسلمي بلاد المغرب ، بحكم القرب الجغرافي والصلات السياسية والثقافية بين العدوتين الأندلسية والمغربية ، وقد شكل النصارى الإسبان على بلاد الأندلس خطرا حقيقيا بعد ضعف دولة الإسلام فيه ، حيث استنجد سكان الأندلس في أكثر من مرة بسلاطين بلاد المغرب لإنقاذهم من خطر المسيحيين ، و بعد موقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م والتي أدت إلى تراجع قوة المسلمين ، بدأت الجيوش النصرانية في الإستيلاء على بعض المدن والحصون الإسلامية ، ولم تستطع دولة الموحدين إنقاذ مسلمي الأندلس نتيجة كثرة الفتن والإضطرابات التي شهدتها بلاد المغرب خلال هذه الفترة[2].

بعد استتباب الأمور في بلاد المغرب الأقصى لصالح المرينيين ، وأمام تزايد خطر النصارى الإسبان ضد مسلمي الأندلس ، استنجد هؤلاء بالسلطان المريني أبو يوسف يعقوب (656-685هـ/1258-1286م) حيث خرج من مدينة فاس سنة 673هـ/1275م على رأس قوة عسكرية كبيرة نزلت بمدينة طنجة* ثم أرسل خطابا إلى صاحب سبتة أبي القاسم العزفي يطلب منه تجهيز وإعداد المراكب، ثم عقد لولده أبي زيان على قوة من خمسة آلاف رجل وجهزه بكل ما يحتاج إليه من مال وسلاح[3] ونزلت القوة المرينية بالجزيرة الخضراء ، وفي سنة 674هـ/1275م عبر الجيش المريني بقيادة أبي يوسف يعقوب إلى الأندلس ، والتقت الجيوش الإسلامية بجيوش النصارى التي كان يقودها الدون نونيودي لارا بالقرب من مدينة أستجة* سنة 674هـ/1275م التي حقق فيها المسلمون نصرا كبيرا[4].

---

[1]- إبراهيم حركات ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص ص 55-56.

[2]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص 251 ، و أيضا : الذخيرة السنية ، ص 91 ، حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 24.

*- طنجة : مدينة بالمغرب ، قديمة على ساحل البحر ، فيها أثار كثيرة للأول و قصور و أقباء ، و بين طنجة و سبتة ثلاثون ميلا في البر و في البحر نصف مجرى ، و تعرف طنجة بالبربرية وليلي افتتحها عقبة بن نافع ، أنظر : الروض المعطار ، ص 396 .

[3]- بن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص 143 ، و أيضا : روض القرطاس ، ص 313 .

*- إستجة : بين القبلة والمغرب من قرطبة، بينهما مرحلة كاملة، وهي مدينة قديمة لم يزل أهلها في جاهلية وإسلام على انحراف وخروج عن الطاعة، وهي واسعة الأرياض ذات أسواق عامرة وفنادق جمة ، أنظر: الروض المعطار ، ص53.

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 255 ، و أيضا : روض القرطاس ، ص ص 316 -317 .

وبعد هذه المعركة بدأ أبو يوسف يعقوب المريني في شن الغارات على بعض الحصون المسيحية مثل شريش** وإشبيلية*** ثم قفل راجعا إلى فاس بعد أن ترك خلفه حامية عسكرية من الغزاة المرينيين[1] وفي سنة 676هـ/1277م كان الجواز الثاني لأبي يوسف يعقوب إلى الأندلس حيث عسكرت قواته بجزيرة بطريف**** ثم توجهت هذه القوات إلى إشبيلية التي كان يتحصن فيها الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم حيث حقق المسلمون نصرا آخر على النصارى وبعد هذه المعركة بدأ أبو يوسف يعقوب في الإغارة على حصن قطيانة وجليانة وشريش[2].

إن هذه الإنتصارات التي حققها المرينيون لم تكن لترضي ابن الأحمر صاحب غرناطة***** ، فلجأ هذا الأخير إلى عقد صلح مع ملك النصارى الفونسو العاشر ويغمراسن بن زيان ضد المرينيين ، مما دفع بأبو يوسف يعقوب إلى العودة إلى بلاد المغرب سنة 680هـ/1281م لقتال عدوه يغمراسن بن زيان[3].

و في سنة 681هـ/1282م قرر السلطان أبو يوسف يعقوب المريني الجواز إلى الأندلس للمرة الثالثة بعد أن استصرخه ملك قشتالة الفونصو العاشر ضد ابنه سانشو الذي استولى على الحكم بالقوة ، فعبرت جيوش المرينيين إلى الأندلس تحت قيادة أبي يوسف يعقوب المريني ، حيث ضرب حصارا على قرطبة التي تحصن فيها سانشو ثم بدأ في شن الغارات حتى وصل إلى مجريط ، وفي هذه الأثناء انعقد

** – شريش : من كور شذونة بالأندلس ، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا ، وهي على مقربة من البحر، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة وشريش متوسطة حصينة حسنة ، أنظر : الروض المعطار ، ص 340 .

*** – إشبيلية : مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ، وهي مدينة قديمة أزلية ومعناها المدينة المنبسطة ، أنظر : الروض المعطار ص ص 58-59.

[1] – نفسه ، ج7 ، ص 256 .

**** – طريف : جزيرة طريف على البحر الشامي في أول المجاز المسمى بالزقاق ، و يتصل غربيها ببحر الظلمة ، و هي مدينة صغيرة عليها سور و تراب و يشقها نهر صغير ، و بها أسواق و فنادق و حمامات ، و من جزيرة طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلا ، أنظر : الروض المعطار ، ص 392.

[2] – ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ص 323-324 .

***** – غرناطة : مدينة إسبانية دخلها المرابطون سنة 1090 م و اتخذها محمد بن نصر مؤسس سلالة بني الأحمر عاصمة له سنة 1235م ، فاستمرت قاعدة هذه الدولة حتى سقوطها سنة 1492م ، أنظر : مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية و الجغرافية ، الجزء الأول ، دار رواد النهضة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص 308 .

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7 ، ص 266 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص26.

الصلح بين ابن الأحمر وسانشو ، مما جعل أبو يوسف يعقوب يرتد لقتال ابن الأحمر إلا أنهما تصالحا فيما بعد[1].

و في سنة 684هـ/1285م عبر السلطان أبو يوسف يعقوب إلى الأندلس للمرة الرابعة لمحاربة ملك قشتالة سانشو الذي نقض عهده مع بني مرين ، وبدأ في شن الغارات على المسلمين ، وعندما عبر السلطان أبو يوسف يعقوب إلى الأندلس استطاع أن يحقق انتصارات عديدة ، اضطر على إثرها سانشو أن يدخل في صلح مع السلطان المريني أبي يوسف يعقوب الذي قفل راجعا إلى المغرب الأقصى حيث وافته المنية سنة 685هـ/ 1286[2]، و مع مطلع القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر ميلادي عظم خطر النصارى على المسلمين في الأندلس نتيجة إنشغال المرينيون بقتال بني عبد الواد ، لكن مع ذلك أرسل أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني(732-749هـ/1331-1348م) قوة مرينية تمكنت من الإستلاء على الجزيرة الخضراء سنة 733هـ/1333م[3]، وفي سنة 741هـ/1340م تجهز السلطان أبو الحسن المريني بنفسه للجهاد في الأندلس ، حيث نزل بمدينة طريف ، واستعدت القوات النصرانية بدورها لهذه المعركة ، وعندما اندلع القتال بين الطرفين في شهر جمادى الأولى سنة 741هـ/1340م أسفرت عن هزيمة قاسية للمسلمين[4].

لقد كانت معركة طريف شبيهة بمعركة العقاب 609هـ/1212م وكانت حاسمة في جميع الأوجه فقد وضعت حدا لتدخل المغاربة في شؤون الأندلس[5].

---

[1]- ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 338، و أيضا : السلاوي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 57 ، حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ج2 ، ص27

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 277 .

[3]- نفسه ، ص 284 ، و أيضا : حسين مؤنس ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 42 .

[4]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 347 ، و أيضا : أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،ج4 ، حققه إحسان عباس، دار صادر ، بيروت 1988 ، ص 14 ، و أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص51 .

[5]- حسين مؤنس ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 48 .

الفصل الأول

لقد شهدت الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي تراجعا محسوسا مع مطلع القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نتيجة دخول الدولة المؤمنية في أزمة حقيقية منذ واقعة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ/ 1212م ، فعلى المستوى الداخلي بدأت تظهر الفتن والثورات الداخلية أما على المستوى الخارجي ، فإن الممالك المسيحية بدأت تشن الغارات على المسلمين في الأندلس مما أضر بلا شك بالحياة الثقافية والعلمية خلال هذه الفترة ، وقد استمر هذا الوضع إلى منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، ومع اعتلاء المرينيين السلطة في المغرب الأقصى والزيانيين في المغرب الأوسط بدأت الحياة الثقافية والعلمية تستعيد نشاطها الأول والمعتاد.

ظروف وعوامل ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط في القرنين 7 و 8 هـ :

تعتبر الدولة العبد الوادية من بين الدول التي عملت على تشجيع الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط ، حيث تذكر معظم المصادر التاريخية أن السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1236-1283م) كان يحرص على مجالسة العلماء والصلحاء ، ويكثرمن زياراتهم ، وله في أهل العلم رغبة عالية ، يبحث عنهم أين ما كانوا ويستقدمهم إلى تلمسان ويقابلهم بما هم أهله[1] أما السلطان أبو حمو موسى الأول (701-718هـ/1301-1318م) فقد كان محبا في العلم وأهله ويظهر ذلك من خلال ترحيبه واستقباله للفقيهين العالمين ابني الإمام ، حيث أكرم مثواهما،واحتفل بهما وبنى لهما المدرسة التي تسمى بهما ، وكان يكثر من مجالستهما والاقتداء بهما[2] ، أما السلطان أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م) فقد كان هوالآخرمحبا للعلم ولأهله وكان حريصا على التقرب من العلماء و استقدامهم ، حيث أكرم وفادة الفقيه العالم أبو موسى عمران المشدالي و ولاه التدريس بمدرسته الجديدة[3]، أما السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) فقد كان يختلف بعض الشيء عن أمراء الدولة الزيانية ، حيث كان هذا الأخير يقرض الشعر ويحب أهله ، و كان له تأليف في السياسة لخص فيه كتاب

[1]- يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 126.

[2]- نفسه ، ص 139 .

[3] - نفسه ، ص ص ،141 - 142.

سلوان المطاع لابن ظفر و زاد عليه فوائد و أمورا جرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين وغيرهم وصنفه برسم ولي عهده أبي تاشفين وسماه « واسطة السلوك في سياسة الملوك»[1].

لقد أظهر أمراء وسلاطين الدولة الزيانية اهتماما كبيرا بالعلم والعلماء في بلاد المغرب الأوسط و يتجلى هذا الاهتمام في بناء بعض المدارس التي لم تكن معروفة في بلاد المغرب الأوسط، وسخرت الدولة الزيانية و أمراؤها كل امكانياتهم لتعمير هذه المدارس بالطلبة والإنفاق عليهم وعلى الأساتذة الذين كانوا يتولون مهمة التدريس فيها[2]، هذا بالإضافة إلى تشييد المساجد التي ساهمت هي الأخرى بقسط كبير في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7و8هـ/13و14 م

ومما ساهم كذلك في ازدهار الحركة الثقافية و العلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8 هـ 13و14 م هو هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط ، خاصة مدينة تلمسان التي كان حظها وافرا من هؤلاء ، وهذا الأمر سيساهم في دفع الحركة الثقافية والعلمية ، لأن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين كان من بينهم الشعراء والفقهاء والعلماء ، وكانوا يحملون معهم ثقافة عالية وراقية ، وقد أفاد هؤلاء النزلاء بمواهبهم و ثقافتهم اللامعة أسواق العلم و الأدب والفنون ، فراجت رواجا لم ير من قبل في تلمسان و كذلك مدينة بجاية و مدن أخرى[3].

1- المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، الجزء الأول ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي مطبعه لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة 1939 ، ص219 ، و أيضا : التنسي ، المصدر السابق ، ص161.

2- الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1983، ص 19، و أيضا : Attalah (D) op cit , pp 44 – 45.

3- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983 ، ص ص209-210 ، و أيضا : محمد جابر الأنصاري ، التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق في آثار ابن سعيد المغربي ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992 ، ص 62.

المراكز الثقافية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7و8هـ/ 13و14م :

أ – المساجد :

من المتعارف عليه في الحضارة العربية الإسلامية أن المساجد لم تكن للعبادة فقط ، بل كانت أيضا المكان و الوسط الذي يلقن الطلبة شتى أصناف العلوم النقلية والعقلية ، وكانت المساجد في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 هـ/ 13و14م منتشرة وعديدة ، وجميلة البناء والشكل ، وكان لكل مسجد أئمة وخطباء[1] ، وكان لهذه المساجد دورا مهما في بعث و إحياء الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8 هـ/ 13 و14 م، و من هذه المساجد :

1- المسجد الجامع بأكادير : كان هذا المسجد موجودا حتى قبل دخول الأدارسة مدينة تلمسان ، حيث قام هؤلاء بتوسيعه خلال فترة تواجدهم بتلمسان سنة 174 هـ / 790 م ، ثم عندما قامت دولة بني عبد الواد في مدينة تلمسان ، قام أميرها يغمراسن بن زيان (633 – 681 هـ / 1236-1283 م) بترميم و بناء مئذنته[2].

2- المسجد الأعظم بتاكرارت : كان وراء تأسيس هذا المسجد السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين أثناء بنائه لمدينة تاكرارت سنة 473 هـ/1080م ، وكان هذا المسجد تحفة فنية رائعة ، وفي عهد السلطان الزياني يغمراسن بن زيان أضاف له هذا الأخير الجزء الشمالي من بيت الصلاة و القبة و الصحن و المئذنة المتأثرة بالعمارة الأندلسية ، و كان هذا المسجد عبارة عن جامعة إسلامية نظرا لمشاركته الفعالة في ترسيخ العقيدة الإسلامية ، و زيادة الوعي الديني و الإشعاع الفكري منذ تأسيسه و قد تصدى فيه للتدريس و الإقراء عدد كبير من العلماء في المغرب الأوسط و من مناطق أخرى من بلاد المغرب الإسلامي ، كان من بينهم الشيخ عبد السلام التونسي و إبراهيم الآبلي و ابن خلدون و المغيلي و ابن زكري* ، و تخرج من هذا الصرح العلمي عدد كبير من العلماء من مختلف بلاد المغرب الإسلامي[1].

---

[1]– الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 19.

[2] – يحي بوعزيز ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، الطبعة الأولى 2002 ، منشورات Anep ، الجزائر ، ص ص 145- 146 .

*– أحمد بن محمد بن زكري : الفقيه الأصولي البياني المنطقي ،كان منشغلا بالعلم و التدريس ، انتفع به المسلمون كلهم و جميع مكن يحظر مجلسه ، و له تأليف منها تأليف في مسائل القضاء و الفتيا و شرح عقيدة ابن الحاجب سماه بغية الطالب و منظومته الكبرى في علم الكلام في اكثر من ألف و خمسمئة بيت توفي

3- جامع سيدي أبي الحسن التنسي : يقع هذا الجامع بالقرب من المسجد الأعظم ، تم تشييده في عهد السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1283- 1303 م) في سنة 696 هـ/1296م[2]، وقد حمل هذا الجامع اسم العالم الجليل أبي الحسن التنسي (ت 680 هـ/1281 م)[3].

4- مسجد أولاد الإمام : قام بإنشاء هذا المسجد السلطان الزياني أبوحمو موسى الأول(701-718هـ/ 1301 – 1318م)، وكان ذلك حوالي سنة 710هـ/1310م بجوار المدرسة التي تعرف بمدرسة أولاد الإمام[4] وسمي هذا المسجد بأولاد الإمام نسبة إلى العالمين الجليلين ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت741هـ/ 1340م) و أخوه أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله (ت 749هـ 1348م) ابنا الإمام[5]، و للأسف لم يبق من هذا المسجد إلا القبيبة المزينة بالقرنصات التي تكمل مشكاة المحراب ومئذنتها الجميلة[6].

5- مسجد إبراهيم المصمودي : قام ببناء هذا المسجد السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760 – 791 هـ/ 1359– 1389م) إلى جانب القبة و الزاوية و المدرسة و هي المباني التي شيدها السلطان تكريما لوالده أبي يعقوب ، و لا زالت مدينة تلمسان تحتفظ بهذا المعلم التاريخي إلى يومنا هذا[7] ، و قد تصدى للتدريس فيه علماء أجلاء على رأسهم العالم ، الفقيه ، و المحدث المفسر الشيخ أبو عبد الله الشريف (ت 771 هـ/ 1369 م) و فسر فيه هذا العالم القرآن الكريم في ظرف ربع قرن و أتى فيه بالعجب العجاب[8].

سنة 899 هـ/ 1494م ، أنظر : ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، و قف على طبعه و اعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 ، ص ص 38 – 41 .

[1]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 146 ، و أيضا : يحي بوعزيز ، المرجع نفسه ، ص 114 .

[2]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 146 ، و أيضا : يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 145 .

[3]- بورويبة و أخرون ، المرجع السابق ، ص 496 .

[4]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص147 ، و أيضا : William Marcais et Georges Marcais , Les Monuments Arabes De Tlemcen , Ancienne Librairie Thorin et fils , Paris 1903 , p 185 .

[5]-Hadj Omar Lachachi , Le passé prestigieux de Tlemcen , Editions Ibn-Khaldoun,Tlemcen 2002 , p 192 .

[6]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 147 .

[7]- نفسه ، ص 147 .

[8]- يحي بوعزيز ، المرجع نفسه ، ص 133 .

لم تقتصر المؤسسات الثقافية والمراكز العلمية في تلمسان باعتبارها مركز إشعاعي هام في المغرب الأوسط خلال القرنين 07 و 08 هـ/ 13 و 14 م على تلك المساجد التي شيدها أمراء بني زيان فقد كانت هناك مساجد أخرى في المدينة شيدها بعض سلاطين الدولة المرينية ، ومن هذه المساجد :

1- مسجد أبي مدين شعيب: تم تشييد هذا المسجد خلال فترة الاحتلال المريني لتلمسان ، الذي امتد لبضع سنوات (737-748هـ /1337-1348م) ، حيث أمر بتشييد هذا المسجد السلطان أبو الحسن المريني (732 -749 هـ /1331 – 1348م)[1]، حيث تشير الكتابة الموجودة على إحدى جدرانه ، أنه تم بناؤه سنة 739هـ/1338م ، و قد أخذ هذا المسجد إسم الولي الصالح أبي مدين شعيب* وكان هذا المسجد آية في الجمال والروعة وأنفق السلطان المريني في بنائه مقدار

جسيما ومالا عظيما وكانت له صومعة في غاية الحسن والإتقان[2] ، لقد كان هذا المسجد قبلة لطلاب العلم و المعرفة ، و تخرجت منه أجيال كبيرة من العلماء و الفقهاء و المحدثين ، و انبرى للتدريس فيه نخبة من العلماء و المشائخ الكبار مثل ، ابن خلدون و ابن مرزوق الخطيب و الآبلي[3] .

2- مسجد سيدي الحلوي**: أمر ببناء هذا المسجد السلطان أبو عنان المريني ، وكان ذلك حوالي سنة 754 هـ/1353م بعد دخوله مدينة تلمسان ، وهذا المسجد يشبه إلى حد ما مسجد أبي مدين في هندسته وزخرفته ، وجاء مكتوب في باب المسجد العبارة التالية «الحمد لله وحده ، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبي عنان ، بن مولانا يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيده الله ونصره

---

[1]- بالحاج معروف ، المجمع المعماري بالعباد، دراسة أثرية مقارنة ، حولية المؤرخ ، العدد الأول 2002 ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين ،الجزائر 2002 ، ص 146.

*- أبو مدين شعيب ابن حسين الأنصاري ، ولي صالح ، أصله من قطنيانة من عمل اشبيلية ، نزل مدينة بجاية و أقام بها إلى أن أمر باشخاصه إلى حضرة مراكش ، فمات و هو متجه إليها ، بموضع يسر سنة 594 ، دفن بالعباد خارج تلمسان ، كان زاهدا فاضلا عارفا بالله ، أنظر : يوسف بن يحي التادلي التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد التوفيق ، الطبعة الثانية 1997، منشورات كلية الآداب بالرباط ، ص 319 .

[2]- محمد ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا ، تقديم محمود بوعياد الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981، ص 403 .

[3]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 125 .

**- سيدي الحلوي : هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي ، نزيل تلمسان ، من كبار العباد العارفين ،كان يبيع الحلوى للصبيان الصغار في مدينة تلمسان ، و قيل انه ولي القضاء بإشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن ثم فر بنفسه منها و أوى إلى تلمسان في زي المجانين ، أنظر ترجمته في : بغية الرواد الجزء الأول ، ص 67 .

عام أربع وخمسين وسبعمائة[1]، و في داخل المسجد و حول المحراب نجد العبارة التالية عبد الله المتوكل على الله الشيخ الولي الرضي الحلوي أدركنا الله برضاه آمين ، و الأعمدة داخل المسجد تحمل إسم المعماري الذي أنشأها و تاريخها ، و هذه العبارة هي من صنع أحمد بن محمد اللمطي في سنة 747 هـ/ 1346م[2].

لقد خدم مسجد سيدي الحلوي العلم و الثقافة في بلاد المغرب الأوسط منذ إنشائه ، و درس فيه نخبة من العلماء الأجلاء و تخرج منه عدد كبير من طلاب العلم و المعرفة و الذين ساهموا بنصيب وافر في الحركة الثقافية و العلمية في أرجاء المغرب الإسلامي[3].

ب . المـدارس :

إن تأسيس المدارس في إفريقية و المغرب الأوسط بعد سقوط دولة الموحدين كان يعني انتصار الإسلام السني و العودة إلى المذهب المالكي في المغرب الإسلامي ، و رد الإعتبار لعلمائه الذين تعرضوا لمضايقات وابتلاءات زمن الموحدين ، و هكذا شيدت المدرسة لتكون أداة السلطة لتكوين الأطر و العلماء والمختصين في المذهب المالكي مع الإهتمام بتدريس مختلف العلوم و المواد الأخرى[4] و قد جعل ملوك وأمراء بني زيان من هذه المدارس مؤسسات حكومية مهمتها تكوين شخصيات ذات كفاءة عالية لشغل وظائف رسمية في الدولة دينية أو قضائية[5].

لم يكن إنشاء المدارس معروفا في بلاد المغرب الأوسط إلى غاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي بعد قيام الدولة العبد الوادية في تلمسان ، حيث قام أمراء هذه الدولة بتشييد عدة مدارس ساهمت في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية وزيادة الإشعاع الثقافي والعلمي لمدينة تلمسان والمغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 هـ/ 13 و14 م ، ولم تكن مدينة تلمسان وحدها تتوفر على

---

[1]– بورويبة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 503 .

[2]- L'abbé J Bargés , Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De ce Nom , Sa topographie , son histoire , descriptions de ses principaux Monuments , Anecdotrs , l'égendes et Récits divers , Paris 1859 , p 420 .

[3]– يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 142 .

[4]– صالح بن قربة ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 طبعة وزارة المجاهدين ، الجزائر 2007 ، ص 140 .

[5]- Mahfoud (K) op cit , p p 166 – 167 .

مدارس لتعليم الطلبة فقد كانت بجاية هي الأخرى تتوفر على بعض المدارس وإن لم تكن بالأهمية والدور الذي حضيت به تلك الموجودة في تلمسان[1] ، ومن هذه المدارس :

1- مدرسة أولاد الإمام : و تعرف بالمدرسة القديمة ، و هي من إنشاء السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (701-718 هـ/1301-1318م) و قد تم إنشاء هذه المدرسة تكريما للعالمين الجليلين ، و هما ابنا الإمام ، أبو زيد عبد الرحمان (ت 743هـ / 1342م) و أخوه أبو موسى عيسى (ت 749هـ / 1348م)[2] حيث تم تكليفهما من قبل السلطان أبو حمو موسى الأول بالتدريس فيها، و قد كانت هذه المدرسة بمثابة صرح ثقافي و علمي يتلقى فيها الطلبة دروسا على يد الأساتذة و قد استمرت هذه المدرسة في تعليم الطلبة إلى نهاية القرن العاشر الهجري[3] ، و من جملة العلماء الذين درسوا في هذه المدرسة ، ابنا الإمام و محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أبي الفضل التلمساني[4]، و لم يبق من هذه المدرسة في الوقت الحاضر إلا المسجد الصغير بمنارته الذي أسس بجانبها و لا يزال قائما إلى اليوم و يقع في الناحية الغربية من المدينة ، و كانت هده المدرسة تتألف من قاعتين كبيرتين يتلقى فيها طلبة العلم دروسهم على يد الشيخين العالمين ابني الإمام[5].

و لما كانت مدرسة أولاد الإمام هي أول مدرسة تربوية قامت في حاضرة تلمسان ، فقد عين السلطان للتدريس بها فطاحل العلماء لتؤدي رسالتها على أكمل وجه ، حيث قام بالتدريس فيها علماء من أمثال عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو زيد و أخيه أبو موسى عيسى ابني الإمام[6].

2- المدرسة التاشفينية : و تعرف كذلك باسم المدرسة الجديدة ، و قد أنشأ هذه المدرسة السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (718-737 هـ/1318-1337م) ما بين سنتي 718 هـ و737هـ

---

[1]- عبد الحميد حاجيات ، الحياة الثقافية بالجزائر في القرن الثامن الهجري ، مجلة الثقافة ، السنة الرابعة و العشرون ، العدد 119 ، وزارة الإتصال و الثقافة الجزائر 1999 ، ص 133 .

[2]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 72 .

[3]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 142.

[4]- صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 142 .

[5] - عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 142، و أيضا : Hadj Omar (L) op cit , p 192.

[6]- صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 142 .

بجانب المسجد الجامع الأعظم بتلمسان ليضاهي بها ملوك بني حفص بتونس و بني مرين بفاس[1] ، وقد كانت هذه المدرسة قد أنشئت تكريما للعالم الفقيه أبي موسى عمران المشدالي (670-745 هـ 1271-1344م) و كانت هذه المدرسة عبارة عن تحفة فنية رائعة ، لأن السلطان الزياني ، أبو تاشفين كان يمتلك حسا فنيا ، لذا سخر لبنائها كبار المهندسين و الفنانين و المعماريين[2]،ومما يدل على اعتناء و اهتمام هذا السلطان بالعلم و العلماء و احتفائه بهم ، هي تلك الاحتفالات الضخمة و الكبيرة التي رافقت عملية تدشين هذه المدرسة ، حيث حضرت مجموعة من العلماء و الصلحاء من أهل مدينة تلمسان وقتئذ حفل تدشين هذه المدرسة ، و ترأس هذه الاحتفالات السلطان أبو تاشفين و كان يتقدم علماء مدينة تلمسان ، العالم الجليل أبو موسى عمران المشدالي[3].

استمرت هذه المدرسة تؤدي رسالتها التعليمية و التربوية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي حسب الحسن الوزان ، و عندما احتلت فرنسا الجزائر قامت بتهديم المدرسة عندما طرح المجلس البلدي لمدينة تلمسان مشروعا يتضمن إقامة دار البلدية و عليه تم تهديم المدرسة و نقل بعضا من فسيفسائها لتزيين متحف كلوني (cluny) في فرنسا[4].

و مهما يكن من شيء ، فقد ساهمت المدرسة التاشفينية بقسط وافر في تقدم الحركة الثقافية و العلمية بتلمسان ، بدليل إيوائها المتواصل لطلبة العلم و احتضانها لحلقات الدروس ، فكانت القاعة فضاء لإلقاء الدروس و التعلم تغص بالطلبة ، فهناك صحن يحف به من ثلاث جهات – غير جهة المصلى – حجرات معدة لسكن الطلبة .

و الجدير بالملاحظة ، أن الدور التعليمي و الفكري للمدرسة التاشفينية لا يمكن أن يدرس بمعزل عن جامع تلمسان الأعظم ، و كان المدرسون الذين تناوبوا على التدريس بهذه المدرسة من كبار علماء تلمسان وقتئذ كالمشدالي و أبي عبد الله محمد السلاوي و محمد بن أبي عمرو التميمي و المقري[5].

---

[1] – عبدلي لخضر ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 – 962 هـ/1236 – 1554م) ، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي ، جامعة أبي بكربلقايد تلمسان 2004 – 2005 ، ص 179.

[2] – عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 142 ، و أيضا : Dhina (A) op cit , p 316

[3] – نفسه ، ص 142 .

[4] – عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ص 142 ، و أيضا : Nabila Oulebsir , Les usages du patrimoine Monuments , musée , et politique coloniale en Algerie (1830-1930) Editions de la Maison des sciences de l’homme , Paris 2004 , p 152 .

[5] – صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص ص 148- 149 .

3- المدرسة اليعقوبية : قام بإنشاء هذه المدرسة السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791 هـ 1359-1389م) سنة 765هـ تكريما و احتفاءا بالعالم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن محمد بن القاسم بن حمود (ت 771هـ/1370م)[1]، و كانت هذه المدرسة تقع بالقرب من المقبرة الزيانية التي تضم ضريح أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو موسى الثاني و أعمامه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت الزعيم ، و كان الانتهاء من هذه المدرسة حوالي سنة 765هـ / 1363م[2] و عند الانتهاء من بناء هذه المدرسة ، احتفل هذا السلطان بتدشين هذا الصرح العلمي ، و أوقف على هذه المدرسة الأوقاف و الحبوس ، و رتب فيها الجرايات ، و قدم للتدريس فيها الشريف أبو عبد الله القاسم بن حمود و حضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصيرتواضعا للعلم[3] ، و إكراما له ، و مما يؤسف له أن معالم هذه المدرسة قد اندثرت في الوقت الحاضر.

لقد احتضنت المدرسة اليعقوبية العلماء و الطلبة الذين توافدوا عليها و مارسوا فيها أنشطتهم ، فازدانت هذه المدرسة بكرسيي الفقه و العلوم الدينية ، الذين جذبا إليهما مشاهير الفقهاء و أنجب الطلبة ، و قد تضافرت جملة من العوامل و الظروف لجعل المدرسة ناديا علميا متميزا كما و كيفا ، و من ذلك كثرة محبوساتها ، إضافة إلى قربها من المسجد الجامع ، كما أن كبار العلماء و الشيوخ بتلمسان و فاس تنافسوا على التدريس على كرسي الفقه بالمدرسة ذات البناء الجميل و الفناء الواسع[4].

هذا بالنسبة للمدارس التي شيدها بنو عبد الواد في مدينة تلمسان ، وهناك مدارس أخرى شيدها بنو مرين أثناء إحتلالهم لمدينة تلمسان ، و من هذه المدارس نذكر:

1- مدرسة العباد : أنشأ هذه المدرسة السلطان أبو الحسن المريني (732 – 749 هـ /1331 1348م) و كان ذلك حوالي سنة 747 هـ/1347م إلى جانب المسجد ، و هو جامع سيدي أبي مدين[5] ، و كانت هذه المدرسة تعرف بالعباد* كما عرفت باسم المدرسة الخلدونية لأن المفكر ابن

---

[1] – يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 179- 180، أنظر كذلك : عبد العزيز فيلالي ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص143 .

[2]– صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص ص 150-151 ، و أيضا : William et Georges (M) op cit , p 274 .

[3]– يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 179– 180 أنظر كذلك : أبي الحسن علي القلصادي ، رحلة القلصادي ، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع 1978 ، ص 104 ، و أيضا : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص24.

[4]– صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 152 .

[5]– بلحاج معروف ، المرجع السابق ، ص 147 ، و أيضا : تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، ص 143.

*– العباد : مدينة صغيرة شبه ريف ، تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، و هي كثيرة الإزدهار، وافرة المكان دفن بها ولي كبير ذو صيت شهير يسمى سيدي بومدين ، و هناك مدرسة جميلة جدا ، أنظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص24.

خلدون زاول تعليمه فيها ، لقد كان لهذه المدرسة دور هام في نشر العلم و المعرفة ، و تمتاز هذه المدرسة بزخرفتها و فنها المعماري ذي القواس المنكسرة و الآجر المدهون باللون الأخضر[1] ، حيث تولى عدد كبير من العلماء و الفقهاء الكبار وظيفة التدريس فيها ، و كان من أبرزهم ابن مرزوق الخطيب و ابن مرزوق الحفيد[**] و الشيخ محمد السنوسي ، وعبد الرحمان بن خلدون 808 هـ/ 1406م[2] ، و مما يؤسف له كذلك هو تعرض هذه المدرسة لأعمال الهدم و التخريب خلال الفترة الإستعمارية [3].

2- مدرسة سيدي الحلوي : تعتبر هذه المدرسة ثاني مدرسة مرينية تؤسس في مدينة تلمسان الزيانية و قام بتشييد هذه المدرسة السلطان أبو عنان المريني سنة 754 هـ/1353م ، وكانت هذه المدرسة تقع بجوار ضريح الولي الصالح المتصوف أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي ، المعروف بسيدي الحلوي[4]، و قد كانت هذه المدرسة متعددة البيوت رفيعة السموت ، بديعة النعوت ، و بها أبواب تشرع إلى ديار كاملة المنافع ، حسنة المقاطع ، معينة للرؤساء القائمين بالوظائف[5] ، و مما يؤسف له أن هذه المدرسة تعرضت هي الأخرى للتخريب و التهديم فاندثرت معالمها ولم يبق منها إلا الجامع و الميضأة[6].

من جانب آخر شهدت تلمسان انتشار العديد من الزوايا ، و هي عبارة عن منشآت ذات طابع ديني و ثقافي ، وكانت تقام فيها الصلوات الخمس ، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلاب و المريدين ، حيث ذكر ابن مرزوق أن الزوايا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاج من القاصدين[7] ، و من بين الزوايا التي كانت توجد في تلمسان ، زاوية أبي يعقوب ، التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني ، و زاوية سيدي الحلوي ، و زاوية أبي مدين بالعباد[8].

---

[1] – عبدلي لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ، ص 182 .

[**] – ابن مرزوق الحفيد : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخطيب محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد ، الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ المحقق الكبير سيد العلماء و إمام أئمة الملة الجامع بين المعقول و المنقول ، صاحب التحقيقات البديعة ، توفي سنة 842 هـ/ 1438م ، أنظر ترجمته في : البستان ، ص ص 201- 214 .

[2] – بلحاج معروف ، المرجع نفسه ، ص 147.

[3] – صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 175.

[4] – صالح بن قربة ، المرجع السابق ، ص 175.

[5] – ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة و إعداد محمد ابن شقرون ، الطبعة الأولى 1990 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 488.

[6] – صالح بن قربة ، المرجع نفسه ، ص 178.

[7] – ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 413 .

[8] – عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص ص 148- 149 .

لقد ساهمت هذه المدارس و المراكز الثقافية الأخرى مثل المساجد و الكتاب و الزوايا في ازدهار الحركة الفكرية و الثقافية في تلمسان ، ومن جهة أخرى كان لها دور إشعاعي كبير في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 الهجريين/ 13 و14 الميلاديين ، و ساهمت هذه المؤسسات في نهضة تلمسان الثقافية و الحضارية بشكل كبير ، حيث تخرج عدد كبيرمن العلماء والفقهاء في شتى العلوم من هذه المؤسسات ، ولم يقتصر دور هؤلاء على بلاد المغرب الأوسط بل ساهم عدد منهم في النهضة الثقافية والعلمية في أقطاربلاد المغرب الإسلامي خاصة بلاد المغرب الأقصى[1].

طريقة و منهجية التدريس في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 هـ/ 13 و14 م :

لقد أشارالكثير من الرحالة و العلماء الذين زاروا مدينة تلمسان أو بجاية خلال هذه الفترة إلى أن سوق العلم كانت رائجة و كانت مدينة تلمسان تحتضن كثيرا من العلماء والفقهاء و مراكز الثقافة ، وكانت تجارة المعلمين و المتعلمين رابحة[2].

لقد كان التعليم إذا منتشرا في المدن و القرى ، و كان في البداية يتمثل في تعلم الكتابة والقراءة و حفظ القرآن ، و كان ذلك يتم في الكتاتيب و الزوايا و المساجد ، و في مرحلة تالية كان الطلبة يقبلون على دراسة النحو و اللغة و الفقه و الأدب ، في حين كانت المساجد الكبرى كالجامع الأعظم بتلمسان تتولى تدريس الطلبة الذين يريدون المزيد من التعمق و الدراسة في العلوم الدينية (الحديث القراءات التفسير، الفقه ، الأصول) أو أصناف العلوم الأخرى و ذلك للإستزادة و التعمق أكثر ، و قد كان هذا الأمر شائعا في بلاد المغرب الإسلامي وقتئذ[3].

أما بالنسبة لطريقة التدريس ، فالطريقة الشائعة و المعمول بها وقتئذ ، كانت تتلخص في ما يعرف بطريقة الإلقاء و الشرح ، حيث يتولى أحد الطلاب قراءة نص أو متن من مؤلف مشهور في

---

[1]- لخضر عبدلي ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان ، ص 134 .

[2]- محمد العبدري البلنسي ، الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات 2007 ، ص 28 ، و أيضا : رحلة القلصادي المصدر السابق ، ص 95 .

[3]- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الثاني ، ص ص 35 -36.

المادة المراد دراستها ، و يتولى الأستاذ شرح هذا النص ، و في الوقت نفسه يدون الطلبة ما يسترعي انتباههم[1] ، و كانت هناك طريقة أخرى تسمح للطلبة بالدخول في حوار مع الأستاذ و إمكانية مراجعته في بعض المسائل التي تتطلب المناقشة و الإستفسار ، و في أحيان أخرى كان الطلبة يتدارسون فيما بينهم النصوص و يتبادلون الأراء حولها ، أما الأستاذ فلا يعدوا أن يكون مشرفا فقط ، و بعد نقاشات مستفيضة يتوصل الطلبة و الأستاذ إلى حل يرضي الجميع[2]، و مما يلاحظ في هذا الصدد ، و هو أن هناك من انتقد طريقة التعليم التي كانت سائدة ، حيث ذكر ابن خلدون أن أكثر المعلمين كانوا يجهلون طرق التعليم و إفادته ، و يحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم و يطالبونه باحضار ذهنه في حلها[3].

و ما ينبغي الإشارة إليه في هذه الفترة هو إنتشار كثرة التأليف في العلوم و الإعتماد على المختصرات التي أصبحت شائعة و متداولة على نطاق واسع خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، و إن كانت الغاية منها هو تسهيل عملية الحفظ[4] فإنها أدت من جهة إلى أخرى إلى فساد في التعليم و صعوبة في الفهم و الإستيعاب الجيد خاصة بالنسبة للمبتدئين[5].

[1]- نفسه ، ص 37 .

[2]- نفسه ، ص ص 160- 161 .

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 734- 735.

[4]- عمر الجيدي : مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، الطبعة الأولى 1993 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ص 88 .

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 733، أنظر كذلك : محمد بوزيان بنعلي ، ظاهرة المختصرات في التراث العربي ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، السنة 13 العدد 49 ، أبريل 2005 ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، الإمارات العربية المتحدة ، ص 162.

أصناف العلوم وأبرزالشخصيات الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين7 و8 هـ :

أ – العلوم النقلية :

لقد كانت العلوم الشرعية في مقدمة الموضوعات التي كانت تدرس في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م ، و قد لقيت العلوم الشرعية إقبالا كبيرا من لدن الطلبة لأنها كانت تسمح لهم بالحصول على وظائف مختلفة في القضاء ، و في الدواوين الإدارية[1]، و مما يلاحظ في هذا الصدد هو الإهتمام الكبير الذي خصصه أمراء الدولة الزيانية لهذا الصنف من العلوم ، و ذلك للقضاء على جذور المذهب الموحدي و إحياء المذهب المالكي[2] ، و من بين الفقهاء و علماء الدين الذين ذاع صيتهم في المغرب الأوسط و بلاد المغرب الإسلامي ، أبو إسحاق النتسي (ت 680 هـ/ 1281 م) ، و أبو عبد الله بن مرزوق (ت 681 هـ/ 1282 م) و أبو إسحاق التلمساني (ت 771 هـ/ 1369 م) و أبو الحسن التنسي (ت 706 هـ/ 1306 م) و أبو زيد بن الإمام (ت 743 هـ/ 1342 م) و شرف الدين الزواوي (ت 743 هـ/ 1342 م) و الشريف التلمساني (ت771 هـ1369 م) و ابن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ/ 1379 م) ، و مثلما كانت العلوم الدينية

[1]– رشيد بورويبة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 439.

[2]– مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى 2007 ، دار الحضارة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر ، ص 274.

مزدهرة في تلمسان فإن بجاية هي الأخرى كانت مركزا ثقافيا لا يقل أهمية عن تلمسان ، وكان نواة و مركز هذه الحركة الثقافية هو المسجد الأعظم ، حيث أورد أبو العباس الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية ترجمة للكثير من العلماء الذين كانوا متواجدين في بجاية و اشتغلوا بالعلوم الدينية[1] .

أما في مجال العلوم اللسانية ، فقد حظيت الدراسات اللغوية و ما يتفرع عنها من صرف و نحو و شعر و عروض و بلاغة باقبال كبير من طرف الطلبة بالمغرب الأوسط[2] في تلمسان ، و هو نفس الإهتمام الذي كانت تشهده مدينة بجاية ، حيث برز من الأدباء ، أبو عبد الله التميمي القلعي (ت 673 هـ 1274 م) و ابن العطار الجزائري (ت 707 هـ/ 1307 م) ابن خميس التلمساني (ت 708 هـ 1308 م) و أبو عبد الله محمد بن البناء التلمساني (المتوفى في أواسط القرن 8 هـ/ 14 م) و أحمد العباس النقاوسي (ت 765 هـ/ 1364 م)[3].

أما في ميدان العلوم الإجتماعية ، فقد إزدهرت في المغرب الأوسط خلال فترة الزيانيين ، وكثر الإشتغال بالتراجم و الطبقات ، و من أبرز الشخصيات في هذا المجال ، عبد الحق البجائي (ت 675 هـ 1276 م) و محمد بن أبي بكر الأنصاري (ت 676 هـ/ 1277 م) و أبو زكريا السطيفي (ت 677 هـ 1278 م) و أبو العباس الغبريني (ت 704 هـ/ 1304 م) و إبراهيم بن موسى المصمودي (ت 804 هـ/ 1401 م)[4].

ب– العلوم العقلية :

لم تحض العلوم العقلية بنفس الإهتمام و الإنتشار الذي كانت عليه العلوم النقلية نتيجة لطبيعة العصر الذي غلبت عليه النزعة الدينية ، و من أبرز الشخصيات العلمية التي برزت خلال هذه الفترة نذكر أبو عبد الله بن النجار التلمساني (ت 749 هـ/ 1348 م) و شيخ العلوم النقلية و العقلية ، أبو عبد الله الأبلي (ت 757 هـ/ 1356 م) و ابن الفحام الذي توفي في أواخر القرن

[1]– صالح مهدي عباس الخضيري ، النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية من خلال كتاب عنوان الدراية ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، السنة 10 ، العدد 38 ، جويلية 2002 ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، دبي ، ص 47 .

[2]– رشيد بورويبة و آخرون ، المرجع نفسه ، ص 446 .

[3]– نفسه ، ص ص 447 – 448 .

[4] – رشيد بورويبة و أخرون ، المرجع السابق ، ص 449 .

الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[1] ، أما في مدينة بجاية فكانت هناك نخبة من العلماء مثل ، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الحرالي التجيبي ، و أبو محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي[2].

و مما تجدر الإشارة إليه بالنسبة لبلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 هـ ، 13 و14 م هو أن هذه الفترة شهدت ظهور أبرز المصنفات المختلفة في شتى العلوم بالإضافة إلى ظهور المؤسسات الثقافية[3] ، حيث ألف ابن خلدون كتاب«المقدمة» في قلعة بني سلامة بتيارت ، وتم تأليف كتاب « زهر البستان» في التاريخ لمؤلف مجهول ، وكتاب «الوفيات» و«أنس الفقير و عز الحقير» لابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ/ 1410 م) ، كما ألف السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني كتاب «واسطة السلوك في سياسة الملوك»[4].

الحياة الثقافية و العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و8 هـ / 13 و14 م :

عمل سلاطين بنومرين في المغرب الأقصى على تشجيع الحركة الثقافية و العلمية ، حيث كان هؤلاء السلاطين يعقدون المجالس العلمية و الأدبية للمناظرة و المحاضرة ، و يطارحون الأدباء و يحاورون الشعراء ، كما عمل هؤلاء السلاطين على تقريب العلماء منهم[5] ، حيث تشير المصادر التاريخية إلى أن السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق (656 – 685 هـ / 1285 – 1286م) كان مكرما للصالحين ، موقرا لهم ، معظما للعلماء مقربا لهم ، و قام هذا السلطان كذلك ببناء المدارس و رتب فيها الطلبة لقراءة القرآن و طلب العلم و أجرى عليهم المرتبات[6] ، و كان السلطان أبو سعيد عثمان (710 – 732 هـ / 1310 – 1331م) يكثر من مجالسة العلماء و إكرام الصلحاء [7]

---

[1] – نفسه ، ص 451 .

[2] – صالح مهدي عباس الخضيري ، المرجع السابق ، ص 48 .

[3] – عبد الحميد حاجيات ، الحياة الثقافية بالجزائر في القرن الثامن الهجري ، ص 133 .

[4] – نفسه ، ص 135 .

[5] – عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، الجزء الأول ، الطبقة الثانية 1960 ، ص 185 ، أنظر أيضا : الحسن الشاهدي ، الكشف عن الثقافة المغربية في عهد بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، العدد 8 ، السنة 20 ، أوت 1979 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، ص 81 .

[6] – ابن أبي زرع الفاسي ، روض القرطاس ، ص 298 ، و أيضا : الذخيرة السنية ، ص 91 ، الإستقصاء ، ج3 ، ص 65 .

[7] – أبي عبد الله بن الخطيب ، رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية ، سنة 1316 هـ ، ص 91 .

، و مما يدل على إعتناء السلاطين المرينيين بالعلم و العلماء هو سيرة السلطان أبو الحسن المريني (732 – 749 هـ / 1331 – 1348م) حيث يذكر ابن مرزوق أن هذا السلطان كان يختص بأهل العلم لمجالسته و محاضرته و مشاورته و مشاركته فيما يتقلده من الأمور الشرعية ، و كان هذا السلطان أبر الناس بأهل العلم و أعرفهم بقدرهم ، و كان كلما انتهى إلى مسامعه شخصية علمية بارزة استدعاه إلى مجلسه و قربه منه[1] ، و السلطان أبو الحسن المريني هو الذي قام بنسخ ثلاثة مصاحف شريفة بخط يده و أرسلها إلى المساجد الثلاث المقدسة ، و أوقف عليها أوقافا جليلة[2] ، و مما يظهر إعتناء هذا السلطان بالعلم و العلماء ، و هو أنه عندما قرر غزو إفريقية إصطحب معه عدد كبير من العلماء و الفقهاء ، مثل الفقيه أبي عبد الله السطي ، و أبو العباس أحمد الزواوي[3] ، و عندما أبحر أسطول أبو الحسن المريني من إفريقية و تعرض للغرق ، تذكر المصادر التاريخية أن عددا كبيرا من العلماء يقارب عددهم بحوالي الأربعمئة هلكوا في هذه الحادثة[4].

أما السلطان أبو عنان المريني ، فكان ذا ثقافة واسعة و متنوعة و كانت جهوده كبيرة في دعم و تشجيع الحركة الثقافية و العلمية ، حيث كان مجلسه من أعظم المجالس العلمية على الإطلاق لحرصه الشديد على أن يكون هذا المجلس يضم أبرز الشخصيات العلمية ، من فحول الشعراء و فطاحل العلماء ، و أنبغ الأدباء من داخل المغرب أو من الأقطار الإسلامية الأخرى خاصة تلمسان وغرناطة . و يرجع الفضل لهذا السلطان في تزويد مدينة فاس بأكبر خزانة للمطالعة عرفتها العاصمة العلمية في عهد بني مرين وكانت هذه الخزانة تضم أمهات الكتب والمصنفات العلمية و الأدبية في ذلك الوقت[5].

و مما يحسب للسلاطين المرينيين في دعم و تشجيع الحركة الثقافية و العلمية هو إحداث خزائن الكتب المختلفة ، حيث يعتبر المرينيون هم أول من أحدث خزائن الكتب العامة لأول مرة في المغرب الأقصى إذ لم تبق الخزائن محصورة في القصور و عند بعض الأسر ، و لكنها أصبحت عامة بالمعنى المتداول

---

[1]- ابن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق ، ص 260 .

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نفح الطيب ، ج4 ، ص 399 ، و أيضا : عبد الله كنون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 186 .

[3]- محمد بن غازي المكناسي ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، طبعة سنة 1952 ، الرباط ، ص 16 .

[4]- أبي عبد الله بن الخطيب ، المصدر نفسه ، ص 95 ، و أيضا : عبد الله كنون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 185 .

[5]- ابن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص ص 130- 132 ، و أيضا : النبوغ المغربي ، ج1 ، ص 185 .

في أيامنا هذه ، و عليه أصبحت المدارس و المساجد تتوفر على خزائن كتب متنوعة[1] ، و يعتبر السلطان أبو عنان المريني هو الذي أنشأ خزانة القرويين ، و احتفل في بنائها بما يليق بهذا الصرح العلمي[2] و من جهة أخرى فقد أظهر سلاطين بنو مرين إهتماما كبيرا بجمع الكتب و المصنفات العلمية ، و بذلوا في ذلك جهدا عظيما ، فعندما عقد السلطان يعقوب المنصور (656 -685 هـ/1258-1286م) صلحا مع ملك النصارى سانشو سنة 684 هـ / 1285م ، وكان مما اشترط عليه فيه أن يرسل إليه الكتب التي بقيت ببلاد المسلمين ، فأرسلها المنصور إلى فاس و حبسها على طلبة العلم[3] ، كما ساهمت بعض الأسر و بعض الشخصيات في تزويد هذه المكتبات بمؤلفات عديدة خاصة خزانة القرويين[4] كما ساهم أيضا في نهضة المغرب الأقصى الثقافية و العلمية خلال القرنين 7 و 8 هـ / 13و 14 م إنتشار ظاهرة تأسيس المدارس بكثرة ، ودعم الدولة المرينية للتعليم الرسمي ، حيث أنشأت مجموعة من المدارس المختلفة و التي جلبت إليها أنظار العلماء و الطلبة من مختلف بلاد المغرب الإسلامي .

المؤسسات و المراكز الثقافية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م :

أ- المساجد :

1- جامع القرويين : يذكر المؤرخون أن هذا المسجد كان في الأصل جامعا صغيرا يطلق عليه جامع الشرفاء ، و قد أقامه إدريس الثاني إبان حكمه في عدوة القرويين في منتصف القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي 245 هـ/ 859 م ، وتم توسيع هذا الجامع سنة 344 هـ/ 955 م ، وقد استقطب هذا الجامع العلماء و الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية[5] ، و عرف جامع القرويين

[1]- الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 81 .

[2]- عبد الله كنون ، المرجع السابق ، ص 185 .

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 277 ، و أيضا : روض القرطاس ، ص 363 ، النبوغ المغربي ، ج1 ، ص ص 185- 186 .

[4]-Latifa Benjelloun Laroui , Les bibliothèques au Maroc , Maisonneuve et larose1990 , p151.

[5]- محمد كمال شبانة ، المدن الثقافية الإسلامية ، فاس ، مجلة دعوة الحق ، العدد 253 ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر 1985 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب ، ص ص 88- 89 .

نشاطا ثقافيا و فكريا عبر تاريخه الطويل ، و عرف نشاطا مميزا في عصر بني مرين ، حيث كثرت حوله المدارس و التي كانت مجهزة أحسن تجهيز بالنسبة لذلك العصر[1] .

أما بالنسبة لسير الدراسة في مسجد القرويين ، فإن الأستاذ كان يجلس في مكان مرتفع في المسجد و طلبة العلم متحلقون حوله ، ثم يطلب الأستاذ من أحد الطلبة قراءة النص المراد شرحه ، و بعدها يبدأ الأستاذ في الشرح و التعليق ، و تذكر النصوص التاريخية أن مسجد القرويين توافرت له عناصر الجامعة و تحققت له الشخصية المعنوية و أصبح مؤسسة و مركزا علميا مرموقا ، ليس في المغرب الأقصى فحسب ، بل في جميع أقطار المغرب الإسلامي ، و أصبح يستقبل حتى الطلبة الأوربيين[2] ، و مما تجدر الإشارة إليه بالنسبة لمسجد القرويين بفاس خلال القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، هو إنتشار ظاهرة كراسي العلم في هذا المسجد ، و التي كان يشرف عليها كبار العلماء و الأساتذة وقتئذ[3] ، و كان إعتلاء الأستاذ لكرسي التدريس في القرويين يتم بأمر من طرف السلطان المرينيي و من هذه الكراسي :

– كرسي الونشريسي : و هو أبو الربيع سليمان الونشريسي ثم الفاسي ، المتوفى سنة 705 هـ 1305م ، و كان يقريء بجامع الأندلس ، و يقوم على التفريغ و المدونة .

– كرسي أبي الحسن الصغير : و هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ، المتوفى سنة 719 هـ 1319 م ، و كان يدرس فيه كتاب التهذيب للبرادعي و المدونة .

– كرسي أبي الحسن الصرصري : الذي أنشأه السلطان أبو عنان المريني دون تحديد مسبق للمادة المعالجة و المتدارسة فيه[4].

---

[1]– عبد القادر العافية ، يوميات طالب بالقرويين في القرن التاسع الهجري ، مجلة دعوة الحق ، العدد الرابع ، السنة 29 ، و أيضا : Abdelaziz Benabdellah , L'art Maghrebine , Etude sur les differents aspects de l'art au Maroc et sur l'evolution historique de l'art Maghrebine , publications de l'université de Rabat 1961 , p 119

[2]– محمد كمال شبانة ، المرجع السابق ، ص 91 ، أنظر كذلك : روم لاندو ، جامعة القرويين بفاس ، تعريب محمد الخطيب ، مجلة دعوة الحق العدد الأول ، السنة الثانية ، سبتمبر 1958 ، وزارة عموم الأوقاف ، الرباط ، المغرب ، ص 27 .

[3]– يوسف الكتاني ، ظاهرة الكراسي العلمية ، مجلة دعوة الحق ، العدد 244 ، يناير 1985 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط المغرب ، ص 102 .

[4]– محمد المنوني ، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين ، مجلة دعوة الحق ، العدد الرابع ، السنة التاسعة ، فبراير 1966، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، الرباط ، ص 93 .

و تدعم مسجد القرويين في سنة 750 هـ / 1350 م ، بخزانة قيمة من الكتب أحدثها السلطان أبو عنان المريني و ألحقها بجامع القرويين و جعلها تحت تصرف الطلبة ، وعين لها من يقوم بالإعتناء بهذه الكتب[1] ، و كانت الدروس في مسجد القرويين ينشطها علماء و أساتذة و كانت تبتدئ هذه الدروس بعد الفجر بقليل ، و تنتهي بعد ساعة من شروق الشمس ، و لا تلقى الدروس صيفا إلا من منتصف الليل إلى الساعة الواحدة و النصف صباحا[2].

2- المسجد العتيق بسبتة : يعتبر أكبر مساجد مدينة سبتة ، بلاطاته إثنان و عشرون بلاطا ، و بقبلته شماسات* من الزجاج الملون بصناعات شتى معقودة بالرصاص و درجات المنبر إثنتا عشرة درجة ، صنع في شعبان المكرم سنة 408 هـ/1017م ، و تميز على سائر مساجد المغرب كلها بالبلاط الأوسط الضخم البناء المرتفع السمك ، و بالمقصورة الهائلة الغريبة الشكل ، و كان هذا المسجد جامع كبرى يلتقي في رحابها العديد من أعلام سبتة و الوافدين عليها ، كما أن الوافدين على سبتة من الأعلام كانوا غالبا ما يقصدون الجامع العتيق لإلقاء دروسهم[3].

3- جامع فاس الجديد : أمر السلطان أبويوسف يعقوب المريني (656 - 685 هـ/1258 1286م) ببناء المسجد الجامع ، وكان ذلك حوالي سنة 677 هـ / 1276 م على يد أبي عبد الله بن عبد الكريم الحدودي و أبي علي بن الأزرق وال مكناس ، و النفقة فيه من مال معصرة مكناسة ، و لم يخدم في بناء الجامع الكبير مع المعلمين إلا أسرى الروم الذين قدم بهم من الأندلس ، و أول خطيب خطب به الفقيه المحدث محمد بن أبي زرع[4]، و هو مسجد مغربي أندلسي في هيئته ، وزود السلطان أبو يوسف يعقوب هذا المسجد بمنبر رائع ، و قيل أن هذا السلطان أنفق مالا كبيرا ليظهر هذا المسجد في صورة رائعة و جميلة ، حيث قدرت تكلفة المسجد ثمانية آلاف دينار ذهبا[5].

---

[1]- علي الجزنائي ، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية ،1991 ، ص 76 .

[2]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 224 .

*- طاقات مستطيلة مقوسة من أعلاها ن نكون بين السقوف و أعلى الجدران يجعل وسطها زجاج ملون في أشكال مختلفة جميلة ، تنفذ منها أشعة ملونة جميلة و لا ينفذ الهواء ، أنظر : محمد ابن القاسم الأنصاري : إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية ، الرباط 1983 ، ص 28 .

[3]- ابن القاسم الأنصاري ، المرجع نفسه ، ص 28 .

[4]- ابن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية ، ص 162 .

[5]- السلاوي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 89 ، أنظر كذلك : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 159 .

4- جامع الحمراء : قام بتشييد هذا الجامع السلطان أبو الحسن المريني (732 – 749 هـ / 1331 – 1348 م) وكان هذا المسجد يشبه في زخرفته إلى حد ما مسجد العباد الذي أنشأه المرينيون في مدينة تلمسان[1]، و كان هذا المسجد يقع بجانب المحجة الكبرى لفاس الجديد ، و قد ذكر روجي لوتورنو أن هناك اختلاف بالنسبة لتاريخ إنشائه[2].

كما قام أبو الحسن المريني ببناء مسجد الصفارين في مدينة فاس و مسجد حلق النعام ، و كان كل واحد منهما في غاية الكبر و الضخامة ، و صومعة كل واحد منهما غاية في الإرتفاع و الحسن ، و مساجد عدة و صوامع بالمدينة البيضاء ، كما كانت له مساجد أخرى في مدن المغرب مثل الجامع المتصل بالقصر السعيد في مدينة سبتة و هو جامع حافل و صومعة حالة ، و مساجد أخرى بمدينة طنجة و سلا و شالة ما يقضي منه العجب ، و بقصبة مدينة تازى و مكناسة و مراكش[3].

5- جامع الزهر : قام بتشييد هذا الجامع السلطان أبو عنان المريني (748 – 759 هـ /1348 1358 م) في فاس الجديد و كان هذا المسجد آية في السعة و الجمال و الزخرفة [4].

و ما ينبغي الإشارة إليه ، أن المغرب الأقصى كان يضم عددا كبيرا من المساجد التي ساهمت في نشر الحركة الثقافية و العلمية في القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م ، و هناك من هذه المساجد من تعود نشأتها إلى فترة حكم المرابطين و دولة الموحدين ، مثل الجامع الكبير بتازا ، وجامع الكتبية* بمراكش و مسجد حسان في الرباط ، بالإضافة إلى المساجد التي أنشأها المرينيون في مدينة تلمسان[5] .

ب- المدارس :

لقد شهدت بلاد المغرب الأقصى خلال فترة المرينيين إنتشارا كبيرا للمدارس لم يكن معروفا من قبل مما دفع بابن مرزوق صاحب كتاب المسند إلى القول بأن هذا الأمر لم يكن معروفا في المغرب

---

[1]-Atallah (D) op cit , p 291.

[2]- روجي لوتورنو ، فاس قبل الحماية ، ترجمه إلى العربية محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان1976، ج1 ص ص 98- 99 .

[3]- ابن مرزوق ، المسند ، ص ص 401 -402 .

[4]- Ibid, p 293 .

*- جامع الكتبية : هذا الجامع من إنشاء عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحدية ، شرع في بنائه سنة 548 هـ/1153م ، و هو ثالث الآثار المعمارية الموحدية الكبرى ، بعد تينملل و رباط تازا الذي أنشئ سنة 527 هـ/1133 م ، أنظر : حسين مؤنس ، المساجد ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت1981، ص 190.

[5]- ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 403 ، أنظر كذلك : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 223 ، حسين مؤنس ، المرجع نفسه ص ص 190 ، 191 .

حتى مجيء السلطان أبو الحسن المريني وقيامه بانشاء بعض المدارس[1]، إلا أن هناك من يشير إلى أنه كانت هناك بعض المراكز تشبه إلى حد ما المدرسة المرينية ، فقد وجدت مراكز للتعليم تشبه المدرسة في المغرب الأقصى خلال فترة الموحدين[2] ، و مما يلاحظ في هذا الصدد ، هو أن المرينيون أولوا إهتماما كبيرا بالتوسع في إنشاء المدارس ، و ذلك بهدف التخلص من بقايا المذهب و الإعتقاد الذي أرسى قواعده الزعيم الموحدي المهدي بن تومرت و دولة الموحدين[3] ، هذا بالإضافة إلى أن دولة المرينيين كانت تبحث عن الشرعية الدينية لتثبيت حكمها و إحياء المذهب المالكي و تخريج علماء يقومون بخدمة الدولة[4] .

لقد كان التعليم قبل مجيء المرينيين يلقن في المساجد ، لكن مثل هذا الأمر كان من شأنه أن يستبعد الطلبة الغرباء عن فاس ، فقرر المرينيون إحداث مؤسسات خاصة بهم ، يجد فيها الطلبة من مختلف الأمصار الإسلامية السكن والطعام و الغذاء الفكري ، و قد ذكر الحسن الوزان أن في فاس إحدى عشرة مدرسة للطلاب جيدة البناء كثيرة الزخرف بالزليج و الخشب المنقوش ، و تحتوي كل مدرسة على عدة حجر أو أكثر ، و في كل مدرسة أساتذة لمختلف العلوم ، فهذا يلقي درسه في الصباح ، و ذاك في المساء و يتقاضون مرتبات حسنة أوصى بها مؤسس المدرسة[5] ، و من هذه المدارس :

1- المدرسة الشارية : تعرف هذه المدرسة كذلك بالمدرسة القديمة ، أسسها أبو الحسن الغافقي الشاري سنة 635هـ /1237م وأنفق عليها من ماله الخاص و أرادها أن تضل منارة للعلم فأوقف عليها أوقافا جليلة ، و تعتبر هذه المدرسة أول مدرسة أسست بالمغرب الأقصى على النمط الشرقي ، و كانت تحتوي على جناح لإيواء الطلبة و مكتبة عامة ، ودرس فيها العديد من الأعلام ، وكان من الذين تولوا التدريس فيها و الإقراء بها ابن الشاط ، وتصدى فيها للتدريس كذلك طائفة من أعلام

---

[1]- ابن مرزوف ، المصدر نفسه ، ص 405 .

[2]- محمد المنوني ، حضارة الموحدين ، الطبعة الأولى 1989 ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 17 ، أنظر أيضا : حسن جلاب ، الفكر و الأدب في عهد الموحدين ، مجلة دعوة الحق ، العدد 249 ، جوان 1985 ، وزارة الأوقاف المغربية ، الرباط ، ص 80 .

[3]- عبد العزيز بن عبد الله ، جوامع المغرب و مساجده ، مجلة دعوة الحق ، العدد 232 ، نوفمبر 1983 ، وزارة الأوقاف و الشؤون و الإسلامية الرباط ، المملكة المغربية ، ص 22 .

[4] - Joudia Hassar , Benslimane , Le passé de la ville de Sallé dans tous ses états , Histoire , archéologie , archives , Maisonneuve et larose 1992 , p 111.

[5]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 225- 227 .

سبتة ،كان الشاري على رأسهم ، حيث كان يقعد بها لرواية الحديث و إسماعه[1] ، وكثر الأخذ عنه بها ، ودرس بها ايضا أبو عبد الله الغافقي و هو من أعلام سبتة الوافدين عليها ، و قد حملت هذه المدرسة شعاع الدعوة إلى السنة و تعليمها ، و العمل بها فقد كانت مدرسة للدراسات السنية[2].

2- مدرسة الحلفائيين : أنشأت هذه المدرسة حوالي سنة 670 هـ / 1270 م على يد أبي يوسف يعقوب المريني (656 – 685 هـ / 1258 – 1286 م) و هي أول ما بني من مدارس بني مرين في مدينة فاس[3] و كانت هذه المدرسة تقع بين جامع القرويين و الوادي ، و وسط دكاكين الصفارين و هي المدرسة التي حفظت فيها الكتب التي أرسلها دون سانشو لبني مرين على إثر توقيع الصلح بين أبي يوسف يعقوب و سانشو سنة 684 هـ / 1285م[4] .

3- مدرسة دار المخزن : في سنة 720 هـ / 1320 م أمر السلطان أبو سعيد عثمان المريني (710 – 732 هـ / 1310 – 1331م) بتشييد مدرسة بجوار الجامع الكبير بفاس الجديد ، و سرعان ما حملت هذه المدرسة إسم مدرسة فاس الجديد أو مدرسة دار المخزن[5].

4- مدرسة الصهريج : تم تشييد هذه المدرسة في سنة 721 هـ / 1321 م على يد السلطان أبو الحسن المريني ، وكانت هذه المدرسة تتواجد بعدوة الأندلس بمحاذاة مسجد الأندلسيين ، و اشتهرت هذه المدرسة بهذه التسمية نسبة إلى الصهريج المزين لفضائها ، وقد رتب فيها أبو الحسن الفقهاء لتدريس العلم و أسكنها بالطلبة ، و قد كلف بناء هذه المدرسة أكثر من مائة ألف دينار[6].

5- مدرسة العطارين : بنيت هذه المدرسة سنة 723 هـ / 1323 م على يد السلطان أبو سعيد عثمان (710 – 732 هـ / 1310 – 1331 م) وقد تم بناء هذه المدرسة على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار بفاس ، و حضر السلطان أبو سعيد وضع الحجر الأساسي لبنائها ، و اشترى لها

---

[1]- القاسم بن عبد الله ابن الشاط ، الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، تحقيق إسماعيل الخطيب ، منشورات جمعية البعث الإسلامي ، تطوان ، المغرب 1986 ، ص 33 .

[2]- إسماعيل الخطيب ، الحياة الثقافية بسبتة في القرن السابع الهجري ، محاضرات المهرجان الثقافي الثالث بعنوان : سبتة و دورها في إثراء الفكر الإسلامي المنعقد في 26 و 27 و 28 أبريل 1979 ، جمعية الثقافة الإسلامية ، تطوان ، المغرب 1984 ، ص ص 114- 115 .

[3]- روجي لوتورنو ، فاس قبل الحماية ، الجزء الأول ، ص ص 104- 105.

[4]- نفسه ، ص 105 ، أنظر كذلك : Abdelaziz (B) op cit , p 53 .

[5]- نفسه ، ص 105 ، أنظر كذلك : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 156- 157 .

[6]- عبد السلام بن سودة المري ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ضبط و إستدراك مكتب البحوث و الدراسات ، الطبعة الأولى 1998، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان ، ص 22 ، أنظر كذلك : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 157 .

السلطان عددا من العمارات و كان بها ما بين ثلاثين و خمسين بيتا[1] بالقرب من جامع القرويين في مدخل سوق العطارين[2] ، و كانت هذه المدرسة من أجمل مدارس بني مرين ، إذ تمتاز بتنسيق زخرفتها خصوصا في الصحن و بيت الصلاة ، و كان بها الأساتذة نظاميون[3].

6- المدرسة المصباحية : أو مدرسة الرخام ، كما كانت تسمى عند تشييدها ، و قد بدأت الأشغال بهذه المدرسة سنة 725 هـ / 1325 م في عهد أبي الحسن المريني ، ولم تنتهي هذه الأشغال إلا في حدود سنة 747 هـ / 1348م[4] ، و بدأ إلقاء الدروس فيها مع مطلع سنة 750 هـ /1350م وكانت هذه المدرسة تقع بالقرب من جامع القرويين ، و أول من تصدى للتدريس فيها العالم أبوالضياء مصباح بن عبد الله اليلصوتي* و التي حملت إسمه فيما بعد[5].

7- المدرسة البوعنانية : تعتبر هذه المدرسة من مآثر أبو عنان المريني (749 -759 هـ / 1348 1358 م) ، و تم إنجاز هذه المدرسة في سنة 758 هـ / 1358 م ، و قد وصف ابن بطوطة هذه المدرسة بقوله «لا نضير لها سعة و ارتفاعا و نقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه » و كانت هذه المدرسة من أجمل مدارس بني مرين ، حيث خصص لها أبو عنان أحباسا عديدة للإنفاق على طلبتها و أساتذتها[6].

وهكذا نجد أن المدارس المرينية المؤسسة بفاس و مدن الأقاليم المغربية الأخرى فضلا عن الجوامع والمساجد قد أدت إلى تكوين عدد كبير من الأطر الفقهية ، هذه الأطر هي التي أسهمت إسهاما فعالا في ترسيخ جذور المذهب المالكي في المغرب إلى يومنا هذا ، و هذا بدوره ساعد على وحدة

---

[1] - ابراهيم حركات ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص 157 .

[2]- السلاوي ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 112 ، أنظر كذلك : روجي لوتورنو ، المرجع السابق ، ص 106 ، Attilio Gaudio , Fes joyau de la Civilisation Islamique, Nouvelles Editions latines 1982 , p 40

[3]- ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 405 ، أنظر كذلك : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 157 .

[4]- نفسه ، ص 406 .

*- مصباح بن عبد الله الياصولتي : هو أبو الضياء الفاسي ، من أكابر أصحاب أبي الحسن الصغير ، كان فقيها صالحا حافظا نوازليا ، و هو أول من درس بمدرسة أبي الحسن المريني بفاس فنسبت إليه ، و كانت أمه من الصالحات و لا ترضعه إلا على وضوء ، وتفقه على أبي الحسن الصغير و غيره ، توفي بفاس سنة 750 هـ/ 1349 م ، له فتاوي نقل بعضها في المعيار ، أنظر ترجمته في : أحمد بابا التمبكتي ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، وضع هوامشه و فهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية ، الجزءان الأول و الثاني ، الطبعة الأولى 1989 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ص ص 608- 609 .

[5]- إبراهيم حركات ، المرجع نفسه ، ج2 ، ص ص 157- 158 .

[6]- محمد بن عبد اللواتي الطنجي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، قدم له و حققه و وضع خرائطه و فهارسه عبد الهادي التازي ، المجلد الثالث ، منشورات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط 1997 ، ص 57 ، و أيضا : Abdelaziz (B) op cit , p 52

الشعور الوطني و هذا الأمر هو الذي جعل الكاتب محمد المنوني يؤكد على أن العصر المريني و الوطاسي شهدكثيرا من أصول القومية المغربية ، و لا شك أن دور المدارس في هذا الشأن كان كبيرا[1].

إن التوسع الكبير في إنشاء المدارس على عهد المرينيين أثار حفيظة و إعتراض بعض العلماء وقتئذ ، مثل الأبلي (757 هـ / 1356 م) و ابن خلدون (804 هـ/ 1401 م) و العبدري و المقري الذين اعتبروا ذلك إضعافا للعلم و المعرفة و ذهاب هيبة العلم[2].

طريقة التدريس في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ ، 13 و 14 م :

لم تكن طريقة و منهجية التدريس في المغرب الأقصى خلال فترة حكم المرينيين تختلف عن نظيرتها في بلاد المغرب الإسلامي ، حيث كان الصبيان يرسلون إلى الكتاب متى بلغوا سن الخامسة أو السادسة وكان هؤلاء يتعلمون القرآن الكريم قراءة وكتابة و حفظا ، و المشرف عليهم معلم واحد يتحلقون حوله وكان الأطفال يتلقون تدريجيا اللغة العربية و نحوها ، وكانت قاعة الدرس تقع في جوار المسجد بعد ذلك كان الطلبة ينتسبون إلى المدرسة ، و في مرحلة تالية إلى المسجد[3] لمن أراد التعمق أكثر و التحصيل الجيد و كانت الدروس تبدأ مباشرة بعد صلاة الفجر و تستمر إلى صلاة العصر ، و كان التعليم يعتمد على الذاكرة و الاستظهار ، وكانت هذه الطريقة متبعة في جميع مراحل التعليم

[1]- السعيد لمليح : دور المدارس المرينية في ترسيخ أسس المذهب المالكي في المغرب ، أعمال الندوة العلمية الدولية في موضوع : المدرسة المالكية الفاسية أصالة و إمتداد ، فاس ، المملكة المغربية 1 و 2 ربيع الأول 1428 ، 20 و 21 مارس 2007 ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة إسيسكو 2010 ، ص 264 .

[2]-Al Khammar (A) . Les medrasas mérinides de Meknes , Archéologie islamique , volume 11 , Revue publiée avec le concours du Centre de la recherche scientifique Maisonneuve et larose , 2001 , p 139 .

[3]- روجي لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص 169 .

الإبتدائي و الثانوي و العالي وكان الطفل يبدأ بحفظ القرآن عن ظهر القلب ، ثم يعمد إلى حفظ أمهات كتب الفقه و اللغة و النحو و البلاغة و الأدب[1].

أما بالنسبة لموضوعات التدريس ، فقد كانت مختلفة ، حيث كانت تشمل التفسير ، و الحديث و الفقه و النحو ، و البلاغة ، و المنطق ، و الرياضيات ، و الفلك و التاريخ الإسلامي[2].

لقد رتب سلاطين بنو مرين في كل مدرسة أساتذة لمختلف العلوم ، وكانوا يتقاضون نضير ذلك مرتبات حسنة ، وكان كل طالب من طلاب المدرسة معفي من مصاريفه و لباسه مدة سبع سنوات ، وكان الأستاذ عندما يريد أن يلقي درسه ، يطلب من أحد الطلبة بقراءة النص ، ثم يشرحه الأستاذ ويضيف إليه بعض تأويلاته الشخصية ، منبها إلى ما فيه من صعوبات ، و يتناقش الطلبة أحيانا فيما بينهم لحل بعض المسائل العويصة[3].

إن طريقة التدريس التي كانت متبعة في المغرب الأقصى خلال هذه الفترة دفعت ببعض العلماء وقتئذ إلى الإعتراض و النقد ، حيث ذكر ابن خلدون أن مدينة فاس و سائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم بالمقارنة مع ما كان في قرطبة و القيروان ، و لم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة و الحذف في التعليم[4] ، و من بين الإنتقادات التي وجهت للتعليم هي غياب المناقشة و الحوار بين الأستاذ و طلبته و الإعتماد على المختصرات[5].

أصناف العلوم :

أ– العلوم النقلية :

1– العلوم الدينية : لقد عرف المذهب المالكي خلال الفترة المرينية في المغرب الأقصى إزدهارا كبيرا ولم يعد ينافسه أي مذهب ديني آخر ، و انكب الفقهاء في هذا العصر على العلوم الدينية كنتيجة لما كان يعانيه طبقة الفقهاء من تضييق خلال فترة حكم الدولة الموحدية ، حيث نشطت علوم القراءات

[1]– محمد بن أحمد ابن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب 1985 ص 201 ، أنظر كذلك : الحسن السائح ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، الطبعة الثانية ، 1986 ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ص ص 260 -261 .

[2]– روجي لوتورنو ، المرجع نفسه ، ص 170 .

[3]– الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 227 ، أنظر أيضا : لوتورنو ، المرجع نفسه ، ص 178 .

[4]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 545 .

[5]– نفسه ، ص ص 545 -546 ، أنظر كذلك : الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 83 .

والحديث نشاطا لا مثيل له[1] ، و في هذه الفترة أيضا إزدهرت حركة التأليف ، و تعددت الشروح الفقهية و من أهم المؤلفات الدينية في هذه الفترة ، المناسك الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية لابن منصور المغراوي ، و المدخل لابن الحاج الفاسي ، و تقييد على المدونة لابن عمران العبدوسي (ت 776 هـ 1374م) ، و شرح الموطأ الزناتي (ت 702 هـ/ 1302م) والتحفة في القراءات لميمون الفخار (ت 726 هـ/ 1326م)[2] .

2- الأدب : يعتبر عصر بني مرين العصر الذهبي في ميدان علوم اللغة و الأدب ، ومن أشهر كتب اللغة شرح كتاب سبويه لابن رشد ، وشرح مقصورة أبي حازم الغرناطي لمحمد حسن السبتي ، وشرح المكودي على الألفية والأجرومية لابن عبد الله بن أجروم (ت 723 هـ/ 1323م) وشرح تسهيل ابن مالك لابن هانيء السبتي (ت733 هـ/ 1333م) ومن أشهر الأدباء مالك ابن المرحل (ت 699 هـ/ 1300م) وأبي فارس عبد العزيز الملزوزي (ت 697 هـ/ 1298م)[3].

3- التاريخ والرحلات : ازدهر الاهتمام بالتاريخ والرحلات في المغرب الأقصى خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين ، الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين ، ومن أشهر من ذاع صيته في التاريخ عبد المالك المراكشي ، صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، وروض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي (ت 727 هـ/ 1327 م) ، والبيان المغرب لابن عذاري ، و من أشهر الرحلات الجغرافية رحلة ابن رشيد (ت 721 هـ/1321م) صاحب كتاب ملء العيبة ، و رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار»[4].

ب- العلوم العقليـة :

لم تكن العناية في عهد المرينيين تقتصر على العلوم النقلية ، بل شمل اهتمامهم كذلك العلوم العقلية، وذلك لتعمير مدنهم و بناء قصورهم واستكمال مخططاتهم المعمارية ، حيث من ينظر إلى مدارسهم

[1]- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 169.
[2]- نفسه ، ص 170.
[3]- نفسه ، ص 171 .
[4]- عبد الله كنون ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 219.

سيجد أنه تم تزويدها ببعض المراصد الفلكية أو الساعات الهامة مثل ما توفرت عليه المدرسة البوعنانية[1].

لقد برزت شخصيات علمية في هذه الفترة ، وتقدمت العلوم البحتة تقدما لا نضير له[2]، حيث اشتهر في الجبر و الهندسة والفلك ابن البناء العددي (ت 721هـ/ 1321م) الذي ألف كتاب «رفع الحجاب في الحساب» و «منهاج الطالب في تعديل الكواكب» واشتهر كذلك أبو زيد عبد الرحمان بن أبي الربيع اللجائي الفاسي (ت 773هـ/ 1371م) ونبغ في الطب أبو الحسن بن الشيخ الطبيب بن أبي الحسن علي العنسي المراكشي ، والذي ذاع صيته كذلك في الكيمياء والعلوم العقلية ، وهناك امرأة اشتهرت في مدينة سبتة وهي عائشة بنت الجيار التي كانت عارفة بالطب والعقاقير ، و قد وصل الطب في هذا العصر الى درجة بالغة من الرقي ، حيث اهتم بنو مرين بناء المارستانات ، و كانت جامعة القرويين تخصص كراسي لتدريس الطب النضري الذي ظل يحتل فيها مكانة بارزة[3] ، و من أعلام فاس الذين اشتهروا في علم الطب ، أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي (ت 749 هـ/1348م) الذي اشتهر في الأدب حيث كان كاتبا في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني ، كما كان من أهل المعرفة بصناعة الطب و النظر في التعاليم ، و له كذلك باع في علم الكيمياء ، توفي بتونس في جملة مخدومه يوم عيد الأضحى سنة (749 هـ/1348م) ، كما اشتهر أيضا في علم المعقولات والفلسفة محمد بن محمد بن علي البقال أبو عبد الله (ت 725 هـ/ 1325م)[4].

---

[1]- محمد بن عبد العزيز الدباغ ، ملامح من حضارة مدينة فاس عبر التاريخ ، من عهد إدريس الثاني إلى عهد الحسن الثاني ، مجلة دعوة الحق ، السنة 30 العدد 1 ، مارس 1959 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية ، ص 265 .

[2]- عبد الحميد محي الدين ، رواد المغرب في العلوم البحتة ، مجلة دعوة الحق ، العدد 286 ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر 1991 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية ، ص ص 93-94.

[3]- ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 182 .

[4]- عبد الله كنون ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 227 .

الفصل الثاني

بالرغم من الظروف السياسية التي كانت تشهدها بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين7و8 الهجريين 13و14الميلاديين والتي تمثلت في الصراع الذي كان محتدما خاصة بين بني عبد الواد في المغرب الأوسط وبني مرين في المغرب الأقصى ، إلا أن هذا لم يمنع من التواصل الثقافي والعلمي بين المغربين خلال هذه الفترة ، بل كانت هذه الظروف أحد العوامل الرئيسة التي شجعت الحركة الثقافية والعلمية خلال القرنين 7و8هـ/13و14م في بلاد المغرب وساهمت بالتالي في تمتين أواصر التبادل الثقافي بين علماء المغرب الأوسط ونظرائهم في المغرب الأقصى ، حيث تميزت هذه الفترة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بكثرة الرحلات العلمية والتي ستكون أحد العوامل الهامة التي طبعت الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب خلال هذه الفترة.

الرحلة في طلب العلم :

لقد كانت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا في البلاد الإسلامية خاصة في بلاد المغرب الإسلامي ، وقد عرفت الرحلة في طلب العلم رواجا واسعا خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، إلا أنه يلاحظ بعد هذا التاريخ أن الرحلة في طلب العلم بدأت في التراجع والتناقص تدريجيا حيث اقتصرت على القليل من العلماء والفقهاء والرحالة الذين كانوا يجوبون بلاد المغرب ، ولعل هذا الوضع هو الذي دفع ببعض العلماء وقتئذ مثل ابن خلدون (732-406هـ/1332-1406م) والمقري (ت759هـ/1359م) ، والآبلي (681-757هـ/1282-1356م) إلى التطرق إلى هذه الحالة من خلال تشخيص وضعية التعليم في بلاد المغرب خلال هذه الفترة[1].

إن انحسار الرحلة في بلاد المغرب خلال هذه الفترة ، يرجع إلى عدة عوامل وظروف ، لعل من أبرزها تلك المؤسسات والمراكز التعليمية التي تنافس فيها سلاطين بنو مرين في المغرب الأقصى، وبنو عبد الواد في المغرب الأوسط في تشييدها لفائدة الطلبة ، ونعني بها المدارس المختلفة التي كانت تنتشر في العديد من مدن وحواضر بلاد المغرب الإسلامي[2] من تونس إلى فاس مرورا بمدينة تلمسان وبجاية والعناية الكبيرة بها من لدن أمراء وسلاطين بلاد المغرب ، وهي ظاهرة لم تكن معروفة في هذه المنطقة

---

[1]- محمد الفاسي، الرحالة المغاربة وآثارهم ، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، العدد الثاني ، نوفمبر 1958، وزارة عموم الأوقاف ، الرباط ، المغرب 1958، ص ص 8 - 9 ، أنظر كذلك : El khammar (A) , op cit , p 139

[2]- عبد الله المرابط الترغي ، فهارس علماء المغرب ، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة ، الطبعة الأولى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان 1999 ، ص 22 .

إلى أن انهارت دولة الموحدين وورثت تركتها الدويلات الإسلامية الثلاث[1] ، بنو حفص في إفريقية وتونس ، وبنو عبد الواد في المغرب الأوسط وبنو مرين في المغرب الأقصى ، لذا فقد ساهمت هذه المدارس في تعطيل الرحلة في طلب العلم ، وكانت بالتالي حاجزا أمام الطلبة في تطوير كفاءاتهم وقدراتهم ، والقيام بالرحلة للمشاركة وحضور المجالس العلمية المختلفة التي يسهر على تأطيرها علماء كبار يحضون بسمعة طيبة في البلاد الإسلامية[2].

لقد أورد ابن خلدون في مقدمة كتابه "العبر " فصلا في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ، حيث ذكر أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين يعتبر أشد استحكاما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، ولقاء العلماء والمشايخ على اختلاف مستوياتهم وقدراتهم يمكن الطالب من الإستفادة ، وفي نفس الوقت يمنحه القدرة على التميز بما يقف عليه من اختلاف طرقهم في التلقين ، فالرحلة إذن في نظر ابن خلدون لابد منها بالنسبة لطالب العلم إذا أراد التعمق والفهم الصحيح لمجريات الأمور[3].

على هذا الأساس ، قام كثير من علماء وفقهاء بلاد المغرب الأوسط بالرحلة في طلب العلم ، سواء إلى بلاد المشرق الإسلامي مثل ما فعله ابنا الإمام ، وأبو علي ناصر الدين المشدالي ، الذي استطاع أن يحصل على علم مفيد ، ويرجع إلى بلاد المغرب الأوسط ويحط الرحال في مدينة بجاية ليحترف مهنة التدريس والتعليم حيث تخرج على يده عدد كبير من العلماء والفقهاء[4] ، كما توجه عدد لا بأس به من علماء المغرب الأوسط إلى بلاد المغرب الأقصى خاصة مدينة فاس خلال القرنين7و8هـ 13و14م إما لزيادة تحصيلهم العلمي ، وهو ما يدخل في إطار الرحلة في طلب العلم ، أو القيام بوظيفة التدريس في المؤسسات و المراكز التعليمية والمدارس التي أنشأها سلاطين بنو مرين ، وهناك من فقهاء المغرب الأوسط من تصدر لمهنة القضاء والفتيا ، وقد ساهم عدد كبير من علماء المغرب الأوسط في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال هذه الفترة ، الأمر الذي نتج عنه

[1]- Jacques Simon , L'Algérie au passé lointaine de Carthage à la Régence d'Alger l'harmattan , Paris 2011 , p 175 .

[2]- El khammar (A) , op cit , p 139 .

[3]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ص ، 744 – 745 .

[4]– نفسه ، ص 745 .

خلق روح المنافسة في أوساط العلماء المغاربة و مد جسور التواصل الثقافي بين مدنه و حواضره العلمية[1].

إن التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط و المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ /13و14م، لم يقتصر فقط على هجرة وانتقال علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى ، بل قام عدد لابأس به من علماء المغرب الأقصى بزيارة المغرب الأوسط ومدنه الثقافية مثل تلمسان ومدينة بجاية اللتين كانتا مطلب ومقصد علماء كثيرون و الذين استقر بعضهم لفترات تاريخية معينة ، حيث ذكر الغبريني في كتابه عنوان الدراية عدد كبير من العلماء الذين كانوا موجودين في مدينة بجاية ، في حين أورد ابن مريم صاحب كتاب " البستان" عدد من العلماء الذين استقروا ونشأوا في تلمسان[2]، وهذا الأمر سيؤدي بلا شك إلى تمتين أواصر العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى ، ومن جهة أخرى زيادة الإشعاع الثقافي والعلمي خلال القرنين 7و8هـ /13و14م.

الظروف السياسية:

لقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8هـ/13و14م تطورات سياسية كبيرة تمثلت أساسا في سقوط وانهيار دولة الموحدين سنة 668هـ/1269م ، وقيام دول وممالك إسلامية على أنقاضها ، حيث نهض بنو مرين في المغرب الأقصى ، وبنو عبد الواد في المغرب الأوسط ، وبنو حفص في إفريقية وتونس ، وكانت الحرب سجالا بين هذه الدول الثلاث ، خاصة بين المرينيين والعبد الواديين واستطاع المرينيون في كثير من المرات السيطرة على مدينة تلمسان ، والتي أصبحت جزءا من ممتلكات بني مرين في أحيان كثيرة.

إن هذه الظروف السياسية سيكون لها الأثر الكبير في انتقال وهجرة عدد كبير من علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى ، وهي نفس الظروف التي تحكمت إلى حد ما في هجرة وانتقال علماء المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط ، فابن خميس (650-708هـ/1254-1309م) الذي ولد ونشأ في تلمسان والذي كان كاتبا للسلطان عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1283-1303م) دفعته الظروف السياسية إلى الفرار من البلاط الزياني والاتجاه إلى المغرب الأقصى نتيجة

[1]- الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 81 .

[2]- صالح مهدي عباس الخضيري ، المرجع السابق ، ص 51 ، أنظر كذلك : الحسن الشاهدي ، المرجع السابق ، ص 82.

فجوة حصلت بينه وبين السلطان الزياني[1]، ونتيجة كذلك للدسائس التي كانت تحاك ضده داخل القصر الزياني وعندما نزل ابن خميس في كنف الدولة المرينية لقي كل الترحاب من لدن أمرائها وعلمائها وطلبتها وكانت له سفرية إلى بلاد الأندلس التي استقر فيها إلى أن توفي بها سنة 708هـ/1309م[2].

أما الشيخ الآبلي(681-757هـ/1282-1356م) فقد حاول السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول(701-718هـ/1301-1318م) أن يوكل إليه مهمة الإشراف على ضبط أموال الخزينة وحاول أن يكرهه على ذلك ، فقرر الآبلي الفرار إلى المغرب الأقصى حيث نزل مدينة فاس وبقي هناك إلى أن توفي سنة 757هـ/1356م[3].

كما أن هناك طائفة من علماء المغرب الأوسط ممن استدعى انتباه سلاطين بني مرين وعليه قرر هؤلاء السلاطين اصطحاب بعض علماء المغرب الأوسط إلى حضرة الدولة المرينية في فاس ومن جملة هؤلاء العلماء محمد بن محمد المقري القرشي التلمساني (ت 759هـ/1359م) ، الذي احتفى به السلطان المريني أبو عنان (749-759هـ/1348-1358م)[4] ،كما اصطحب السلطان أبو الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) إبنا الإمام ، وهما أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى حيث احتفى بها هذا السلطان وجعلها ضمن مجلسه العلمي[5] ، كما اختفى هذا السلطان بشيخ التعاليم أبو عبد الله التلمساني الشهير بابن النجار (749هـ/1349م) عندما سيطر هذا السلطان على مدينة تلمسان سنة 737هـ/1338م حيث نظمه في جملته وخواص مجلسه وسافر بصحبته إلى تونس سنة 747هـ/1348م حيث توفي هناك بالطاعون[6].

لقد كان هناك عدد كبير من علماء المغرب الأوسط الذين استقروا في المغرب الأقصى ، نظرا للظروف السياسية التي كانت سائدة وقتئذ ، ومن جهة أخرى ساهم بعض سلاطين الدولة المرينية في نزول

---

[1]- أبو عمران الشيخ ، ابن إبراهيم مالحة ، إحدادن زهير ، الإدريسي علي ، حلمو جلول ، علواش علي ، قاهر محمدالشريف ، سعيدوني نصر الدين معجم مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب ، ص 169 .

[2]- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية 1979 دار الفكر ، ص 201 .

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص 513- 514 ، أنظر كذلك : محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص ص 217- 218 .

[4]- أحمد ابن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، القسم الأول ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1973 ص ص 298 - 299 .

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 517 .

[6]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، الطبعة الثانية 1980 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ص 82 .

واستقرار علماء المغرب الأوسط في فاس ومدن المغرب الأخرى ، بل وصل الأمر إلى أن بعض سلاطين بني مرين جعلوا بعض علماء المغرب الأوسط سندا لحكمهم وتثبيت أركان دولهم وأصبحوا بالتالي من المقربين منهم و خواص مجالسهم العلمية ، ذلك أن دولة بني مرين كانت لا تستند في حكمها على شرعية دينية كما كان الحال مع المرابطين والموحدين ، دون أن نغفل أن هؤلاء السلاطين كانوا يشجعون العلم والعلماء ، و فيما يلي أبرز الشخصيات العلمية والثقافية التي تنقلت من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م :

عينة من الرحالة :

بالرغم من عدم استقرار الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين 13 و 14 الميلاديين ، ورغم الحروب العديدة بين بني مرين في المغرب الأقصى وبنو عبد الواد في المغرب الأوسط ، بالرغم من كل ذلك فإن التواصل الثقافي بين المغربين لم ينقطع رسمه ، ومما يؤشر على ذلك هو تنقل عدد كبير من علماء وفقهاء من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى وذلك في إطار الرحلة في طلب العلم ، بالإضافة إلى ما كانت تشهده الحياة السياسية وقتئذ من تطورات كان لها نصيب في هجرة بعض العلماء من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى[1].

-أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان الجزري التلمساني (584-656هـ/1198-1258م)

هو أحد فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب ، نشأ بمدينة تلمسان حيث تلقى تعليمه الأول ثم شد الرحال نحو بلاد المغرب الأقصى ، ونزل بمدينة سبتة ، والتي التقى فيها بعدد كبير من الشيوخ والعلماء فأخذ عنهم الكثير ثم ارتأى بعد ذلك السفر إلى مصر، حيث نزل مدينة الإسكندرية ، والتي بقي فيها إلى أن توفي عن عمر يناهز الاثنين والسبعين سنة ، من آثاره "شرح الجلاب"[2].

- محمد ابن ابراهيم الغساني (ت 663هـ/1263م)

العالم العلامة محمد بن ابراهيم الغساني ، أخذ العلم ببلده تلمسان ، حيث تتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله التجيبي وابن عبد الحق وغيرهما ، ثم انتقل إلى مدينة سبتة حيث أخذ العلم عن أبي العباس

[1]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص327 .

[2]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 299 ، وأيضا : أبي القاسم محمد الخفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، الجزء الثاني ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر 1906 ، ص 230 ، وأيضا : معجم أعلام الجزائر ، ص 74.

العزفي* ثم انتقل إلى إشبيلية حيث أخذ العلم عن أبي بكر بن طلحة ، ثم استوطن مدينة آسفي من بلاد المغرب الأقصى ، وكان ذا خط حسن متحكما في اللغة والأدب والتاريخ ، وكان عالما بالأنساب ، مشاركا في الفقه ، ضاربا في قرض الشعر ، كما كان يحترف التجارة في دكان بقيسارية آسفي ، وتشير بعض المصادر التاريخية أنه لم يكن يرغب في مخالطة الرؤساء ، وتوفي حوالي سنة 663هـ/1265م[1].

- أبو الحسن التلمساني (ت 677هـ/1279م)

علي بن محمد ، أبو الحسن التلمساني ، العزيز الكتامي ، ويعرف بابن الخضار، إمام مقرئ من أهل تلمسان ، قرأ وتفقه بها على يد الشيخ علي بن عبد الكريم التلمساني ، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى حيث نزل مدينة سبتة والتي اشتغل فيها بالتدريس[2].

- أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت 680هـ/1281م)

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ، التلمساني المالكي ، أبو إسحاق ، فقيه وأديب انتهت إليه رئاسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها ، حيث كانت ترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد إفريقية كلها ، وكان يقيم في مدينة تنس ، ونظرا لشهرته العلمية ، دعاه السلطان يغمراسن العبد الوادي (633-681هـ/1236-1283م) للحضور إلى تلمسان إلا أنه امتنع ذلك وفضل أن يدخل إلى تلمسان زائرا وليس مقيما[3] ، ثم استوطن فيما بعد هذه المدينة وانتفع به خلق كثير حيث كان الطلبة ينثالون عليه شرقا وغربا ، وكان أبو إسحاق قد زار مدن إسلامية مختلفة مثل بجاية وتونس والقاهرة ومكة والمدينة وبلاد الشام ، مما أتاح له فرصة زيادة معارفه العلمية كما زار مدينة فاس في مرات مختلفة[4]، وكان في كل زيارة يقوم بها إلى هذه المدينة يتحلق حوله الطلبة ويطلبون منه دروسا في الحديث ، وكان من الذين يداومون على حضور مجلسه عالم فاس وقتئذ أبو الحسن

---

*- أبو العباس أحمد العزفي (557 – 633 هـ/ 1162 – 1236 م) أخذ العلم بمدينة سبتة و اشتغل بالعلم و التأليف و لزم التدريس بجامع سبتة تخرج على يديه جماعة من العلماء ، أنظر ترجمته في : محمد بن القاسم الأنصاري السبتي ، المصدر السابق ، ص 13 .

[1]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1، ص28 .

[2]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 73 .

[3]- التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 38 .

[4]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 48 ، و أيضا : محمد بن محمد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية ، ج1 المطبعة السلفية ، القاهرة 1349 ، ص 218

الصغير* واكتسب نضير ذلك سمعة ومكانة بارزة دفعت بالسلطان المريني أبو يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) يقول عنه : " ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي ، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش من هيبته " له شرح كبير على كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر، في عشرة أسفار ضاع في حصار تلمسان ، و تقييد على الإرشاد[1].

- إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (ت 693 هـ/ 1294 م)

إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى ، أبو إسحاق الأنصاري التلمساني ، شاعر وأديب من فقهاء المالكية ، ولد ونشأ بتلمسان ، وفي سن التاسعة ارتحل مع والده إلى الأندلس حيث نزل مدينة مالقة وبها زاول تعليمه ، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى حيث نزل مدينة سبتة واستقر بها إلى أن وافته المنية ، كان فقيها عارفا بعقد الشروط ، مبرزا في العدد والفرائض ، نظم في الفرائض أرجوزة وله من العمر ثمانية وعشرون سنة[2].

- ابن الدراج التلمساني (ت 693هـ/1294م)

محمد بن أحمد بن عمر ، أبو عبد الله ، ابن الدراج التلمساني ، قاض من أعيان فقهاء المذهب المالكي أصله من مدينة تلمسان ، نشأ وتعلم في مدينة سبتة المغربية تحت كفالة أبو القاسم محمد بن أحمد العزفي* أمير سبتة حيث أعانه على طلب العلم ، ثم انتقل إلى مدينة فاس لإتمام دراسته على يد كبار الشيوخ وقتئذ ، ثم بعد ذلك تولى مهنة التدريس في المدينة بعد حصوله على الإجازة ، ونظرا

---

*- أبو الحسن الصغير (ت 719 هـ/ 1319م) أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي الشهير بالصغير ، كان شيخ الحفاظ في زمانه ، و كان قيما على التهذيب ولي قضاء تازة و فاس زمن السلطان أبي يعقوب ، كانت ترد عليه أسئلة من جميع بلاد المغرب ، أنظر ترجمته في : ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة و تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، الطبعة الأولى 1996 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1996 ، ص ص 305 - 306 .

[1]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص ص 84 - 85 .

[2]- المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج5 ، ص 120 ، وأيضا : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من نسي الآثار ، ص 16 ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 ، ص ص 9-10 ، معجم أعلام الجزائر ص 63 ، شجرة النور الزكية ، ج1 ، ص202 ، عمر رضا كالة ، معجم المؤلفين ، الجزء الأول الطبعة الأولى 1993، مؤسسة الرسالة بيروت 1993 ، ص 16.

*- أبو القاسم محمد بن أحمد العزفي (607 – 677 هـ/ 1211 – 1279 م) محمد بن أحمد بن الحسين العزفي ، أبو القاسم ، أول من ولي الإمارة من بني العزفي في سبتة ، دامت دولته ثلاثين سنة ، أنظر ترجمته في : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، الطبعة الخامسة عشر 2002 ، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان 2002 ، ص 323 .

لشهرته العلمية اختص به السلطان المريني يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) ثم تولى مهنة القضاء بمدينة سلا ، له مصنفات منها " الامتناع والانتفاع " رتبه على ثلاثة أبواب ، ويقع في مئة وعشرين ورقة ، ألفه عندما كان مقيما في فاس فيما بين (685و688هـ/1286-1289م)[1].

- محمد بن مسعود الكتامي (609-697هـ/1212-1298م)

محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مسعود الكتامي ، أصله من تلمسان ، سكن سبتة حيث أخذ فيها العلم عن الرئيس الفقيه أبي القاسم العزفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدر المنظم من تأليفه مرات ، وأجازهما له ، وأجاز له أبوالعباس بن محمد المورووري ، وأبو عثمان بن محمد العبدري ابن الحاج ، وسمع بها على يد أبي مروان محمد بن أحمد الباجي ، وبدمشق على أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي ، ويقول صاحب كتاب الذيل والتكملة ، لقيته بسبتة وحاضرته كثيرا وشاهدت من ذكائه وحضور ذكره ما يقضي منه العجب وكان تاريخيا حافضا وأخبرت عنه بعجائب أغرب من هذا النوع[2].

- محمد بن عبد الله الأنصاري التلمساني (ت706هـ/1306م)

محمد بن عبد الله بن عبيدة الأنصاري الإشبيلي التلمساني الأصل[3]، نزل مدينة سبتة حيث أخذ العلم على يد الشيخ أبي الحسن علي بن جابر، وأخذ العلم كذلك عن أبي محمد فضيل المقري ، وأبي عبد الله المحلي السبتي ، وأبي الحسن الزيات* والشيخ ابن أبي الربيع**.

---

[1]- عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة السفر الثامن، القسم الثاني تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1984 ص 522 ، و أيضا ، خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفايات ، تحقيق و اعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، الطبعة الأولى الجزء الثاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 2000 ، ص 100 ، و أيضا ، معجم أعلام الجزائر ، ص 75 .

[2]- عبد الملك المراكشي ، المصدر السابق ، السفر الثامن ، القسم الأول ، ص ص 357 - 358 .

[3]- محمد بن جابر الوادي آشي ، برنامج ابن جابر الوادي آشي ، تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 1981 ص 126 .

*- أبي الحسن الزيات (القرن السابع الهجري) الشيخ الفقيه ، الصالح الفاضل، المتعبد ، حافظ لمذهب مالك ، قرأ بالأندلس ثم ارتحل إلى العروة الغربية واستوطن مدينة بجاية وقرأ بها ثم رحل إلى حاضرة إفريقية وبها توفي ، أنظر ترجمته في : أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية ، حققه وعلق عليه عادل نويهض الطبعة الثانية 1979، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1979، ص ص 197-198 .

**- ابن أبي الربيع ، عبد الله بن أحمد بن عبد الله ابن أبي الربيع الأموي القرشي ، عالم فقيه من أهل إشبيلية وبها ولد سنة 599هـ/1203م وأخذ عن شيوخها ، ثم خرج من إشبيلية بعد استلاء النصارى عليها ، ونزل مدينة سبتة التي استقر بها ودرس بها إلى توفي سنة 688هـ/1289م ، انظر ترجمته في : اختصار الأخيار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، ص 14.

– ابن خميس التلمساني (645-708هـ/1247-1309م)

أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس المجري الرعيني ، يكنى بأبا عبد الله ، ويعرف بابن خميس ولد بتلمسان وبها نشأ وأخذ عن مشيختها ، كان أديبا وناثرا وشاعرا ، ونال حضوة عند ملوك بني عبد الواد حيث ولاه السلطان أبو سعيد عثمان الأول (681-703هـ/1283-1303م) أمانة سره إلا أنه لم يرغب في هذه الوظيفة وشد رحاله نحو بلاد المغرب الأقصى ، حيث نزل مدينة سبتة ، فأقام بها مدة ومدح رؤسائها من بني العزفي وتولى كذلك مهنة التدريس فيها ، ثم ركب البحر متجها إلى بلاد الأندلس حيث استقر في مدينة المرية*** حوالي سنة 702هـ/1303م ثم حل بمدينة غرناطة وأصبح في كنف الوزير أبي عبد الله بن الحكيم ، فضمه إلى مجلسه في أواخر سنة 703هـ/1304م ، وبقي ابن خميس في كنف ورعاية الوزير ابن الحكيم إلى أن توفي بغرناطة قتيلا يوم عيد الفطر سنة 708هـ/1309م .

يعتبر ابن خميس من فحول الشعراء الذين أنجبتهم بلاد المغرب الأوسط ، وأعلام البلغاء حيث تذكر المصادر التاريخية أنه كان حافظا لأشعار العرب وأخبارهم ، وكانت له مشاركة في العقليات ، وكان ما ينتهله من العلم فوق ما يحصله[1].

– أحمد المليانى (ت 715هـ/1315م)

أبو العباس أحمد بن علي المليانى ، نسبة إلى مدينة مليانة ، شاعر وكاتب ، ثار عمه أبو علي بن أحمد المليانى – وكان من أعيان مليانة – على بني حفص في تونس وإفريقية في أواخر المائة السابعة ، فقرر الارتحال إلى المغرب الأقصى والتجأ إلى حماية السلطان يعقوب المريني (685-706هـ/1286م) واستقر به المقام في مدينة أغمات* ومراكش أين أكب على العلم والتحصيل ، وبعد وفاة السلطان يعقوب تمت البيعة لابنه يوسف (685-706هـ/1286-1306م) فاستعمل هذا السلطان الشيخ

*** – المرية (Almeria) : مرفأ في إسبانيا (الأندلس) على البحر الأبيض المتوسط ، أنظر : مسعود الخوند ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 296 .

[1]– يحي ابن خلدون، المصدر السابق ج1 ص ص 39-40 ، وأيضا : أزهار الرياض ، ج2 ، ص ص 301-302 ، البستان ، ص 225 ، شجرة النور الزكية ، ج1 ، ص 202 ، بغية الوعاة ، ج1، ص 201 ، معجم أعلام الجزائر ص ص 135-136، ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 169، محمد الطمار، المرجع السابق ، ص ص 215،216 ، المهدي البوعبدلي ، أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني(650-708هـ/1253-1309م) مجلة الأصالة السنة السادسة ، العدد 49،50 سبتمبر، أكتوبر 1977، وزارة التعليم الأصلي الجزائر 1977 ، ص 2.

*– أغمات : مدينة واقعة على بعد نحو أربعة وعشرين ميلا من مراكش، مبنية على منحدر جبل من جبال الأطلس، كانت أيام الموحدين مختصرة جدا وتدعى مراكش الثانية ، وكانت لسكانها علاقات تجارية مع بلاد السودان ، أنظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 135- 136.

أحمد المليانى على جباية الأموال ، ثم حدثت فجوة بينهما نتيجة اتهام هذا الأخير بتدبير مؤامرة ضد السلطان المريني ، فقرر مغادرة المغرب الأقصى ، واتجه إلى مدينة تلمسان ، وعندما وجدها محاصرة من قبل المرينيين ، قرر الإبحار إلى الأندلس حيث استوطن غرناطة التي بقي فيها إلى حين وفاته[1].

- أبـو عبد الله البـاروني (ت 734هـ/1334م)

محمد بن حسن بن محمد اليحصبي أبو عبد الله ، المعروف بابن الباروني ، من أعلام فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب الأوسط ، وأصله من مدينة تلمسان ، ارتحل إلى المغرب الأقصى حيث نزل بمدينة فاس أخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن الصغير ثم شد الرحال إلى الأندلس ، ثم رجع إلى مسقط رأسه مدينة تلمسان التي توفي فيها[2].

- أبـو العباس أحمد ابن مـرزوق (681-741هـ/1282-1341م)

أبو العباس أحمد ابن أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق ، ولد سنة 681هـ/1282م أصله من تلمسان التي نشأ فيها[3] ، أخذ الفقه في هذه المدينة من الفقيهين الأخوين أبي زيد وأبي موسى ولدي الفقيه العالم الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام ، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى حيث نزل مدينة فاس ، التي أخذ فيها العلم والفقه عن الشيخ الولي يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي وأخذ العلم كذلك عن العالم أبي الحسن الصغير ، والفقيه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي* والفقيه أبي محمد خلف الله والفقيه أبي إسحاق إبراهيم وغيرهم من العلماء الذين كانوا في مدينة فاس ، وكان هذا الشيخ رجلا صالحا زاهدا في الدنيا ورعا ، حج بيت الله وتوفي بمكة المكرمة[4].

- محمد بن يحي المسفر الباهلي (ت 745هـ/1344م)

---

[1]- المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 266-267 ، وأيضا : الإحاطة ، ج1 ، ص 292 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 315 ، معجم مشاهير المغاربة ، ص ص 449-450 .

[2]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ص 388 ، وأيضا : تعريف الخلف برجال السلف ، ج2 ، ص 363 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 30.

[3]- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، ص 369 .

*- أبو محمد عبد المهيمن الحضري (676-749هـ/1277-1348م) مؤرخ أصله من سبتة وشهرته ووفاته بفاس ، اشتغل بالكتابة للأمراء العزينيين في سبتة ، كما كتب للسلطان أبي سعيد عثمان المريني (710-732هـ/1310-1330م) ، أنظر ترجمته في لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، المجلد 4، الطبعة الأولى 1977. مكتبة الخانجي بالقاهرة ص 11.

[4] - يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 49-50 .

محمد بن يحي الباهلي المسفر ، الشيخ الإمام العالم المحقق ، المدرس ، المفتي الصالح الشهير ، قاضي الجماعة ببجاية ، انتدب في سفارة إلى مدينة فاس ، وعندما حل بهذه المدينة لقي الشيخ أبا الحسن الصغير ، المعروف عند أهل إفريقية بالمغربي صاحب التقييد على المدونة ، حيث جرت بينهما محادثات علمية في بعض المسائل الفقهية ، وأظهر فيها الشيخ محمد بن يحي المسفر الباهلي نباهة وذكاءا ورجاحة عقل فنال إعجاب شيخ فاس أبا الحسن الصغير[1] ، ومن بين من أخذ عنهم العلم والفقه ببجاية أبي علي ناصر الدين المشدالي**.

- أبو موسى عمران المشدالي (ت 745هـ/1344م)

من كبار الفقهاء الذين أنجبتهم بلاد المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، أصله من زواوة بمدينة بجاية ، ارتحل إلى مدينة تلمسان في أيام السلطان أبي تاشفين (718-773هـ/1318-1337م) فأكرم وفادته ، ونظرا لمكانته العلمية البارزة احترف مهنة التدريس في تلمسان ، حيث درس الحديث والفقه والأصلين والنحو والمنطق والجدل والفرائض ، وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل ، أخذ العلم ببجاية على يد الشيخ أبي علي ناصر الدين المشدالي وغيره وأخذ عنه الفقيه أبوالعباس أحمد بن أحمد المشوش ، والفقيه أبو البركات الباروني ، والفقيه أبو عثمان العقباني وغيرهم ، ولم يكن ممن عاصره أحد مثله علما وتفقها بمذهب مالك[2].

- محمد بن عبد النور الندرومي : (ت 749هـ/1348م)

---

[1] – المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج5 ، ص 250 وأيضا جذوة الإقتباس، القسم الأول ، ص ص 269-297، معجم أعلام الجزائر، ص 31.

** – أبي علي ناصر الدين المشدالي، هو أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي ولد سنة 631هـ/1234م في بجاية ، نشأ وتفقه فيها ، ثم رحل إلى المشرق ولقي علماء كثيرون مثل ابن عبد السلام والأصبهاني، له علم بالفقه وأصول الدين وله مشاركة في علة المنطق، أنظر ترجمته في ، عنوان الدراية ص ص 229-230 .

[2] – يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 72 ، وأيضا : نفح الطيب ، ج5 ، ص 223 ، نيل الإبتهاج ، ص ص 350-351، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 ، ص ص 73-74.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله النور من أعمال ندرومة*، تولى قضاء مدينة فاس ، وقاضي عسكر السلطان أبي الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) كان مبرزا في الفقه على مذهب مالك ، تفقه فيه على الإمامين العالمين الأخوين ، أبي زيد وأبي موسى ابنا الإمام ، وكان من جملة أصحابهما ، ولما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1336م واحتفى بالعالمين الجليلين ابنا الإمام ، ونظرا لمكانتهما العلمية البارزة وتقدير السلطان المريني لهما طلب منهما السلطان أن يختارا له من ينظمه في فقهاء مجلسه فأشارا عليه بابن عبد النور الندرومي فأدناه وقرب مجلسه وولاه قضاء عسكره ، ولم يزل في جملته إلى أن هلك بالطاعون في تونس[1].

- ابن النجار التلمساني (ت 749هـ/1348م)

محمد بن يحي بن علي ، أبو عبد الله الشهير بابن النجار التلمساني ، من كبار علماء تلمسان في عصره أطلق عليه ابن خلدون اسم "شيخ التعاليم " ، أخذ العلم بتلمسان عن أبي عبد الله الأبلي ، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى ، حيث نزل مدينة سبتة التي لقي فيها إمام التعاليم أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المحصطي في الهيئة ، ثم استقر مدة في مدينة مراكش[2] ، حيث لزم الشيخ العلامة أبي العباس ابن البناء العددي* حيث ظهرت موهبته في علم النجامة ، وأظهر قدرا كبيرا من العلم في هذا الميدان ، ثم رجع إلى مدينة تلمسان وهو يحمل معه علم كبير ووافر، الأمر الذي جعله ينال مكانة وحضوة هامة في البلاط الزياني على عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الأول(718-737هـ/1318-1337م) وبعد مهلك هذا السلطان وسيطرة أبو الحسن المريني على تلمسان سنة

---

*- ندرومة : أسس هذه المدينة الرومان قديما عندما كانوا يحكمون قديما المنطقة ، و بنوها على بقعة واسعة في سهل ، بعيدة بنحو ميلين من الجبل و اثني عشر ميلا من البحر المتوسط ، و يمر قربها نهر قليل الأهمية ، أنظر : الحسن الوزان ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 13 .

[1]- المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج5 ، ص ص 235-236 ، وأيضا : نيل الإبتهاج ، ص 405 ، ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، الطبعة الأولى ، دار التراث القاهرة 1971 ، ص ص 136-137، تعريف الخلف برجال السلف، ج2 ، ص 424 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 230 ، موسوعة أعلام المغرب ، ج2 ، ص 649.

[2] - ابن القاضي ، المصدر السابق ، ص 302 .

*- ابن البناء العددي : (654-721هـ/1256-1321م) هو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي عرف بابن البناء لأن أباه كان بناءا رياضي وباحث من أهل مراكش مولدا ووفاة، اهتم بالطب والفلك وجاوزت شهرته حدود بلاد المغرب، له مصنفات عديدة في العقليات مثل " رفع الحجاب عن علم الحساب"أنظر ترجمته في : ابن القاضي ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، ج1 مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ص ص 15-16.

737هـ/1336م نظمه هذا الأخير في جملته ، وأجرى له الأرزاق ، ثم اصطحبه معه إلى تونس سنة 747هـ/1347م ، فتوفي هناك بالطاعون الجارف ، له فتاوي نقلها الونشريسي في كتابه المعيار[1].

- إبنا الإمـام :

هما الشيخان الفقيهان العالمان ، أبو زيد عبد الرحمان (ت741هـ/1340م) وأبو موسى عيسى (ت 749هـ/1348م) ابنا الفقيه الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام ، من أهل برشك** إمامان مشهوران بالعلم والرياسة ، اضطرا إلى الفرار من برشك مسقط رأسيهما بعد مقتل أبيهما على يد الوالي زيري بن حماد[2] ، حيث انتقلا إلى تونس في أواخر المائة السابعة ، وتتفقها هناك على أصحاب أبي عبد الله بن شعيب الدكالي ، ثم عادا إلى الجزائر يبثان العلم بها لامتناع برشك عليهما وحصار السلطان أبو يعقوب المريني (685-706هـ/1286-1306م) لمدينة تلمسان وقد أثنى عليهما السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (01-718هـ/1307-1318 م) واغتبط بهما وبنى لهما المدرسة المعروفة بهما في تلمسان[3] ، وبقيا يتمتعان بحضوة ومكانة مميزة لدى سلاطين بني عبد الواد وفي سنة 720هـ/1320م قصدا بلاد المشرق ، فلقيا هناك علماء وشيوخ كبار وأجلاء منهم علاء الدين القوني* وجلال الدين القزويني** ، كما اجتمعا بشيخ الإسلام وقتئذ تقي الدين أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية*** فناظراه وظهرا عليه ، ثم رجعا إلى بلاد المغرب الأوسط وقد اشتهرا بالبحث في العلم حتى صارا يعرفان بالإمامة والاجتهاد ، وعندما استولى السلطان أبو

---

[1]- المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص ص 237-238 ، وأيضا : جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص 392 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 82 موسوعة أعلام المغرب ، ج2 ، ص 649.

**- برشك : مدينة صغيرة على تل وهي مدينة تبعد عن تنس ستة وثلاثون ميلا، تقع على تل وعليها سور تواب ، وهي على ضفة البحر، بها فواكه وجملة مزارع، ومنها إلى شرشال ، عشرون ميلا، أنظر : الروض المعطار ، ص 88 .

[2]- ابن مريم ، البستان ، ص 123 .

[3]- نفسه ، ص 126 .

*- علاء الدين القوني (668-729هـ/1269-1328م) علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الملقب بعلاء الدين، الفقيه الشافعي الأصولي، المفسر الأديب، المتصوف، ولد بقونية من بلاد الروم، نشأ وتعلم بها ثم قدم إلى دمشق. فتزود من العلم وسمع الحديث، ثم تولى التدريس بالمدرسة اللإقبالية، تولى قضاء دمشق سنة 727هـ/1327م،أنظر ترجمته في : عبد الله مصطفى المراغي، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، الجزء الثاني، قام بنشره محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية ص 135 .

**- جلال الدين القزويني (666-739هـ/1268-1338م) محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني جلال الدين ، سكن الروم مع والده وأخيه واشتغل وتفقه ثم ولي قضاء ناصية بالروم ، ثم قدم إلى دمشق ، ثم ولي قضاء الديار المصرية ، برز في الفنون والأصول والعربية ، أنظر ترجمته في : ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، السفر الرابع ، دار الجيل بيروت 1993 ، ص ص 3-6.

***- ابن تيمية (661-728هـ/1262-1327م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية من دمشق ، الإمام المحقق الحافظ المجتهد المحدث الخطيب شيخ الإسلام ، برز في أصول الفقه والفرائض وأتقن فنون الحساب وعلم الكلام والفلسفة ، أنظر ترجمته في : الفتح المبين ، ج2 ، ص 130 .

الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1336م استدعاهما وقربهما من مجلسه وحضرا معه واقعة طريف سنة 740هـ/1340م وكان السلطان أبو الحسن المريني محبا فيهما ، إذ كان يستحسن طريقتهما ويستحلي محادثتهما وقد انتفع بهما عدد كبير من العلماء والطلبة في بلاد المغرب الأقصى والمغرب الأوسط[1].

- أبو العباس الزواوي (ت 750هـ/1349م)

أحمد بن محمد بن علي ، أبو العباس الزواوي ، شيخ القراء بالمغرب في وقته ، محدث ، من فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب ، رحل في طلب العلم إلى المغرب الأقصى حيث قرأ على مقرئ فاس علي بن سليمان القرطبي**** ، ومالك ابن المرحل***** إمام وقته بالقراءات ، وروي عن أبي جعفر بن الزبير وغيره وروى القراءة عنه أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي لقيه بقسنطينة سنة 747هـ/1346 قال فيه ابن خلدون بأنه كان إماما في القراءات لايجاري ، وله صوت من مزامير داوود[2] .

- أبو عبد الله التميمي (ت 756هـ/1355م)

محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن أبي عمرو ، أبو عبد الله التميمي ، من أهل تلمسان وأصل سلفه من الأندلس ، من بيت أصالة ، وكان والده محمد من أهل العلم ، درس العلوم بتلمسان وأفتى بها ، وولي قضاء تلمسان لسنوات عدة ، فأظهر من التصميم في الحق وإقامة منار الشريعة ما يكل اللسان عن وصفه ، كما ولي قضاء الجماعة في بعض بلاد إفريقية[3] ، حيث كان ملازما لأمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عنان المريني (749-759هـ/1348-1358م) في الصحبة بتلمسان قبل اعتلاء هذا الأمير عرش بني مرين ، فلما بويع بعد وفاة أبيه وعاد إلى فاس اصطحب معه أبو عبد

---

[1]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 71-72، وأيضا : المسند ، ص ص 265- 266 ، العبر ، ج7 ، ص ص 516-517 شجرة النور الزكية ، ج1، ص ص 219-220 ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، ص ص 216-217 ، الأعلام ، ج3 ، ص 330 ، معجم أعلام الجزائر ، ص ص 22-23 ، معجم مشاهير المغاربةً ، ص ص 49-50.

****- علي بن سليمان بن احمد بن سليمان الأنصاري القرطبي ، من أهل مدينة فاس ، و هو صهر أبي الحسن الصغير ،كان فقيها أستاذا نحويا ، توفي بفاس سنة 730 هـ/ 1330 ، أنظر : جذوة الإقتباس ، ج2 ، ص 473 .

*****- مالك ابن المرحل (604-699هـ/1207-1300م) مالك بن عبد الرحمان السبتي، أبو الحكم ابن المرحل، أديب من الشعراء، من أهل مالقة، سكن سبتة، وكان يتنقل بين مدينتي سبتة وفاس، إشتغل بالشعر حتى لقب بشاعر الغرب، له ديوان شعر رائع في الأمداح النبوية، من مؤلفاته " التبيين والتبصير في نظم كتاب التسيير " وله أرجوزة في النحو، أنظر ترجمته في : شجرة النور الزكية ، ج1 ، ص 202 .

[2]- أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق ، ص 90، وأيضا : جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص 122، معجم أعلام الجزائر ، ص 161 .

[3]- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، ص 84 .

الله التميمي وجعله حاجبا له وصاحب علامته ، فنال حضوة لديه وثقة واسعة ، فقلده خطة السيف ، ثم أسند إليه ولاية بجاية ، فاستمر واليا عليها إلى أن وافته المنية سنة 756هـ/1355م ، ونقل جثمانه إلى تلمسان حيث دفن بها[1].

- **الآبلي** (681-757هـ/1281-1356م)

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، عالم منطقي رياضي ، ولد بتلمسان سنة 681هـ/1282م وأصل أسرته من آبلة* بالأندلس ، نشأ وتعلم بتلمسان ، حيث أخذ العلم عن الشيخين أبي زيد وأبي موسى ابنا الإمام ، اهتم منذ حداثة سنه بالعلوم العقلية حيث برزت موهبته في الرياضيات حتى برع فيها ، غادر تلمسان سنة 702هـ/1302م على إثر الحصار المريني ، حيث قصد مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وفي طريقه إلى مكة ، نزل بالقاهرة واتصل بعلمائها مثل الشيخ ابن دقيق العيد** قاضي القضاة وغيرهم من العلماء الذين اشتهروا في العلوم العقلية[2] ، كما زار الآبلي بلاد الشام والعراق واتصل بعلمائها ، ثم رجع إلى مسقط رأسه مدينة تلمسان ، ونظرا لمكانته وشهرته العلمية خاصة في ميدان الحساب ، فكر السلطان أبو حمو موسى الأول (701-718هـ/1301-1318م) في تكليفه بالإشراف على ضبط أموال الخزينة ، وحاول أن يكرهه على هذا العمل ، فما كان من الآبلي إلا أن قرر مغادرة تلمسان والفرار إلى المغرب الأقصى ، حيث نزل مدينة فاس عند شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي الذي أكرم وفادته ، وقد استغل الآبلي قربه من خلوف المغيلي في الزيادة والتحصيل في العلوم العقلية وفي سنة 710هـ/1310م ارتحل الآبلي إلى مدينة مراكش[3] ، وكان فيها العلامة ابن البناء العددي فلازمه وأخذ عنه الحكمة والحساب ، ثم عاد بعد ذلك إلى مدينة فاس ، وشرع في إعطاء الدروس للطلبة فذاع صيته وبرزت موهبته العلمية وأصبح يحضى بمكانة مرموقة بين أقرانه من المشايخ والعلماء والطلبة وحتى داخل البلاط المريني وأطلق عليه في هذه الفترة اسم " عالم الدنيا" ،

---

[1]- إسماعيل ابن الأحمر ، نثير الجمان في شعر من نظمي وإياه الزمان ، حققه وقدم له محمد رضوان الداية ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة بيروت 1987 ص ص 226-227 ، وأيضا : البستان ، ص 228 ، درة الحجال ، ج2 ، ص265 .

*- آبلا (Avila) : مدينة إسبانية ، قاعدة مقاطعة آبلا في قشتالة القديمة ، شهيرة بآثار القرون الوسطى و لا سيما أسوارها و كاتدرائيتها ، أنظر ترجمتها في : مسعود الخوند ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص 294 .

**- ابن دقيق العيد (625-702هـ/1228-1302م) محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، أبو الفتح ، تقي الدين القشيري ، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد ، قاض ، من كبار العلماء في الأصول ، مجتهد ، انتقل أبوه إلى قوص فنشأ فيها ، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم القاهرة وولي قضاء الديار المصرية سنة 695هـ/1296م ، أنظر ترجمته في : الأعلام ، ج6 ، ص 283 .

[2]- محمد بن يحي بن عمر القرافي ، توشيح الديباج و حلية الإبتهاج ، تحقيق علي عمر ، الطبعة الأولى 2004 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ص231

[3]- ابن القاضي ، المصدر السابق ، ص 304 .

وعندما كان السلطان المريني أبو الحسن (732-749هـ/1331-1348م) يحب العلم والعلماء ويزين بهم مجالسه ، فإن هذا الأخير عندما سيطر على مدينة تلمسان سنة 737هـ/1336م والتقى بالعالم الجليل أبو موسى ابن الإمام ، فإن هذا الأخير أثنى على الشيخ الآبلي وأشار إليه بالعلم ورجاحة العقل وإلمامه الكبير بالعقليات فطلب منه أبو الحسن المريني موافاته في تلمسان حيث نظمه في جملة العلماء بمجلسه[1]، و في هذه الأثناء عكف الآبلي على التدريس والتعليم وأصبح ملازما للسلطان أبو الحسن المريني وحضر معه موقعة طريف والقيروان ، وعندما تولى أبو عنان (749-759هـ/1348-1358م) عرش بني مرين أصبح ملازما له ، وكان من خواص مجلسه يقرأ عليه ، وقد استمر على ذلك إلى غاية وفاته سنة 757هـ/1356م ، ورغم أن الشيخ العلامة الآبلي لم يترك لنا مصنفات علمية ، إلا أنه ساهم بقسط كبير في ظهور جيل من العلماء في بلاد المغرب الإسلامي ، كان من أبرزهم ابن الصباغ المكناسي والشريف التلمساني والشريف الرهوني ، وابن مرزوق الجد وابن عرفة ، وأبي عثمان العقباني وابن خلدون وأخوه يحي[2].

- أبو عبد الله المقري التلمساني (ت 759هـ/1358م)

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمان ، القرشي ، المقري التلمساني ، أبو عبد الله باحث وأديب وقاض ، من كبار فقهاء المذهب المالكي في وقته ، وشيخ لسان الدين بن الخطيب*

[1]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 412 .

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص 513-514 ، وأيضا : بغية الرواد ج1 ص 57 ، البستان ص ص 214-215 ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 244 ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ص ص 217-218 ، معجم مشاهير المغاربة ، ص 4 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 12 ، شجرة النور الزكية ، ج1 ، ص 221 ، عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 134.

*- لسان الدين بن الخطيب (713-776هـ/1313-1374م) محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ولد بلوشة بالقرب من غرناطة، أصل أسرته من اليمن، كان كثير التنقل بين بلاد المغرب والأندلس، وخدم الملوك من بني مرين، وبرع في الكتابة، له مؤلفات منها الإحاطة في أخبار غرناطة ، ورقم الحلل في نظم الدول ، مات قتيلا ، أنظر ترجمته في : لسان الدين بن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية صححه ووضع فهارسه ناشره محي الدين بن الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1347 ، ص ص 5،7.

وعبد الرحمن ابن خلدون ، ولد ونشأ بتلمسان وتعلم بها[1] ، حيث أخذ العلم عن إبنا الإمام وابن أبي عمران موسى المشدالي ، ثم سافر إلى تونس ، وأخذ العلم بها ، ثم ارتحل إلى بلاد المشرق لأداء فريضة الحج حيث استغل ذلك في لقاء العلماء والمشايخ وقتئذ في كل من مصر ومكة والمدينة ودمشق ثم عاد إلى مدينة تلمسان ، و بعد مدة شد الرحال نحو بلاد المغرب الأقصى ومنه إلى بلاد الأندلس حيث انتهت الرحلة به في مدينة غرناطة ، ثم عاد من جديد إلى المغرب الأقصى ، وانقطع للإقراء وخدمة العلم[2] ، ولما ولي السلطان أبو عنان المريني (749-759هـ/1348-1358م) إمارة بني مرين ولاه قضاء الجماعة بفاس فكان مثالا للقاضي النزيه الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، فأصبح الجميع يشهد له بالورع والعدل وإقامة الحق ، وقد بنى له أبو عنان المريني المدرسة المتوكلية الشهيرة بالطالعة الكبرى ثم اعتزل القضاء ورحل إلى الأندلس حيث توفي هناك[3].

- محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي (ت 767هـ/1365م)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي ، ولد ونشأ في تلمسان ، ارتحل إلى مدينة سبتة حيث سمع من الرئيس أبي القاسم المغربي ، ولقي بالأندلس والمغرب أعلاما ، أخذ عنهم ، وتوفي بسبتة بعد صلاة الصبح من يوم السبت سنة 767هـ/1365م[4].

- أحمد بن الحسن المديوني التلمساني (ت 768هـ/1367م)

أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني التلمساني ، قاض ، محدث ، حافظ ، من كبار فقهاء المالكية في بلاد المغرب الإسلامي ، وهو جد الإمام ابن مرزوق الحفيد لأمه ، نشأ بتلمسان وأخذ العلم فيها عن ابني الإمام ، ثم رحل إلى بلاد المشرق قبل سنة 739هـ/1338م حيث التقى بأكابر العلماء وقتئذ ، مثل جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني الشافعي ، وغير واحد من أعلام مصر والشام ،

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 420 .

[2]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ص 154 - 155 .

[3]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1 ، ص 58 ، وأيضا : أبو الحسن النباهي ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي الطبعة الخامسة 1983 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1983 ، ص 169، جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص ص 298-299 ، الإحاطة ج2 ، ص 191 ، معجم أعلام الجزائر ، ص ص 312،313 .

[4]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 31 .

استعمله أبو الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) في الزكوات وسماع الشيكات ، ثم ولي قضاء تلمسان في زمن السلطان أبو عنان المريني عندما تمكن هذا الأخير من السيطرة على تلمسان ، واستمر في هذه الوظيفة إلى أن وافته المنية[1].

- أبو عبد الله الزواوي (710-770هـ/1310-1369م)

يقول عنه ابن الخطيب في الإحاطة بأنه كانت له مشاركة في كثير من العلوم العقلية والنقلية وإصلاح وتقييد ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام ، قدم إلى الأندلس سنة 753هـ/1352م حيث انتصب للتدريس في إحدى المدارس[2] ، ولقي هناك ابن الخطيب ، ولازمه مدة وأخذ عنه وانتفع بعلمه أخذ العلم عن جماعة من العلماء مثل الإمام المجتهد منصور المشدالي وأبي علي بن الحسين وعن أبي عبد الله محمد بن يوسف قاضي الجماعة ببجاية ، وعن أبي العباس أحمد بن عمران ، و أخذ العلم بتلمسان عن عبد المهيمن الحضرمي ، استوطن هذا الشيخ مدينة تلمسان ، وانتصب فيها للتدريس والإقراء حيث انتفع به عدد لا بأس به من العلماء و الطلبة إلى أن وافته المنية[3].

- الشريف التلمساني (ت 710-771هـ/1310-1370م)

محمد بن أحمد بن علي بن يحي الإدريسي الحسني ، المكنى أبا عبد الله ، ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين ، باحث من أعلام المذهب المالكي ، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب نشأ بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها[4]، حيث لازم ابنا الإمام مدة من الزمن حيث تفقه عليهما في الفقه والأصول والكلام فنال حظا وافرا ، وأخذ العلم كذلك عن القاضي أبي عبد الله بن هدية القرشي* والولي الصالح عبد الله المجاصي* وعمران المشدالي ، ولازم شيخ التعاليم الآبلي كثيرا

---

[1]- أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق ص 105، وأيضا : تعريف الخلف برجال السلف ، ج2 ، ص ص53-54 ، معجم أعلام الجزائر ، ص65 .

[2]- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج3 ، ص 325 .

[3]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ص 292-293، وأيضا : الديباج ، ص ص 611-612 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 166.

[4]- نفسه ، ص 164 .

*- ابن هدية القرشي (736هـ/1335م) محمد بن منصور بن علي بن هدية أبو عبد الله القرشي التلمساني قاض ، أديب وخطيب ، وفقيه مالكي ، من الكتاب البلغاء ، من ولد عقبة بن نافع الفهري ، نشأ وتعلم بتلمسان وولي قضائها ، فأحسن السيرة وكان كاتبا لملوك بني زيان ، توفي في زمن السلطان أبو تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) ، أنظر ترجمته في : معجم أعلام الجزائر ، ص 336 .

*- عبد الله المجاصي ، القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي عبد الله بن عبد الواحد بن ابراهيم بن الناصر المجاصي، أبو محمد ، محدث ، من كبار المقرئين ، فقيه أصولي ،كان خطيب جامع القصر الجديد بتلمسان ، وهو من شيوخ المقري ، أنظر ترجمته في : معجم أعلام الجزائر ص 286.

وانتفع به ، وأخذ أيضا عن ابن عبد السلام التونسي** والعالم السطي*** بمدينة فاس وغيرهم من كبار الشيوخ والعلماء ارتحل إلى تونس سنة 740هـ/1339م حيث حظي بمكانة رفيعة ومرموقة ، وتصدى للتدريس هناك فبث العلم وملأ به المغرب ، ونظرا لشهرته العلمية وقتئذ قربه منه سلطان المغرب أبو عنان المريني حيث أصبح من خواص مجلسه ، وبقي ملازما لهذا السلطان مدة في مدينة فاس حيث انتفع به العلماء و طلبة العلم ، وكان من جملة العلماء في مجلس السلطان[1].

تبرم الشريف التلمساني من الغربة في المغرب الأقصى وبدأ يحن في العودة إلى مدينة تلمسان ، وعندما وصل خبر ذلك إلى مسامع السلطان أبو عنان غضب لذلك فأصدر أوامره باعتقال الشريف التلمساني وفي سنة 756هـ/1355م أطلق السلطان سراحه ، فوجه إليه سلطان المغرب الأوسط أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) دعوة يدعوه فيها إلى القدوم إلى تلمسان فلبى الشريف التلمساني دعوة السلطان أبو حمو موسى الثاني ونزل مدينة تلمسان ، و لأنه كان شخصية علمية بارزة ، فقد حضي باستقبال مشهور من لدن السلطان الذي زوجه إحدى بناته وبنى له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن توفي[2].

أخذ عن الشريف التلمساني عدد كبير من العلماء والمشايخ والطلبة ، منهم إبناه عبد الله وعبد الرحمن والشاطبي وابن زمرك وابن خلدون وإبراهيم الثغري وأبو عبد الله القيسي ، ومن مؤلفاته المشهورة (مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول) في أصول الفقه ، ونظرا لمكانته العلمية وشهرته الواسعة فقد كان لسان الدين بن الخطيب كلما صنف كتابا بعثه إليه ليرى رأيه فيه[3].

- ابـن مـرزوق (710-781هـ/1311-1380م)

محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق ، العجيسي التلمساني ، شمس الدين ، يكنى أبو عبد الله الشهير بالخطيب والجد الرئيس ، فقيه من كبار فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي ، تجاوزت

**- ابن عبد السلام التونسي ، قاضي الجماعة بتونس، كان إماما عالما حافظا متفننا في علمي الأصول العربية وعلم الكلام وعلم البيان، تخرج على يديه جماعة من العلماء والأعلام ، توفي سنة 749هـ/1348م ، أنظر ترجمته في : الديباج ، ص 418.

***- محمد بن علي بن سليمان السطي ، من قبيلة سطة ، نشأبمدينة فاس و أخذ الفقه عن أبي الحسن الصغير و الفرائض عن أبي الحسن الطنجي اليفرني كانت له مشاركة تامة في الحديث و الأصلين و اللسان العربي ، و كانت له حظوة عند السلطان أبي الحسن المريني ، توفي سنة 749 هـ/1349 ، أنظر ترجمته في : جذوة الإقتباس ، القسم الأول ، ص ص 228 - 229 .

[1]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص 430 - 431 .

[2]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 166 .

[3]- ابن مريم ، البستان ، ص ص 164-165، وأيضا نفح الطيب ، ج5 ، ص 272 ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1، ص ص 107- 108 معجم أعلام الجزائر ، ص 187، الفتح المبين ، ج2 ، ص 182.

شهرته أرجاء بلاد المغرب في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، ولد ونشأ بمدينة تلمسان سنة 710هـ/1311م وأخذ العلم فيها عن منصور المشدالي ، وإبراهيم بن عبد الرفيع ، ثم ارتحل مع والده إلى بلاد المشرق ونزل بالحجاز سنة 718هـ/1318م وسمع هناك من الشيخ عيسى الحجي ثم زار فيما بعد بلاد الشام ومصر، فأخذ عن عدد لا بأس به من العلماء[1]، ثم قفل راجعا إلى بلاد المغرب حيث نزل في مدنه مثل حاضرة بجاية وتونس وفاس ، فأخذ وسمع من مجموعة من العلماء المشهورين وقتئذ ، وقد قيد ابن مرزوق رحلته هذه في كتاب سماه " عجالة المستوفز في ذكر من سمع من المشائخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز " ، وفي سنة 737هـ/1333م نزل بالعباد بدعوة من والده ، وصاحب ذلك حصار السلطان المريني لمدينة تلمسان ، ونظرا لمكانته العلمية البارزة وشهرته الواسعة ، فقد أقره السلطان المريني بأن يكون إمام المسجد الذي ابتناه السلطان بناحية العباد[2] ، وخلال هذه الأثناء كان ابن مرزوق ملازما لابني الإمام وعلماء آخرين وحضر مع السلطان أبو الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) واقعة طريف سنة 740 هـ/1339 م بالأندلس ، كما استعمله السلطان في السفارة إلى صاحب قشتالة النصراني سنة 748هـ/1347م حيث عقد معه الصلح وافتك منه الأسرى[3].

ظل ابن مرزوق يتنقل في بلاد المغرب الأوسط والأقصى نتيجة اضطراب الحياة السياسية وقتئذ خاصة بين المرينيين والزيانيين ، مما جعله في كثير من الأحيان يتعرض لمضايقات من هذا السلطان أو ذاك فقرر شد الرحال إلى بلاد الأندلس ، حيث ولي الخطابة بجامع الحمراء بمدينة غرناطة[4] ، وعندما تمكن أبو عنان (748-759هـ/1347-1358م) من السيطرة على عرش بني مرين ، أرسل إليه من يدعوه ليحضر بين يديه ويكون من خواص مجلسه والمقربين من حضرته وكان ذلك حوالي سنة 754هـ/1353م ، إلا أن الأمور بدأت تسير في غير صالح ابن مرزوق ، حيث بدأت الدسائس تحاك ضده في البلاط المريني ، وبسبب وشاية كاذبة ، تدهورت العلاقة بينه وبين السلطان أبو عنان المريني فقرر هذا الأخير اعتقاله وسجنه ، ولم يطلق سراحه إلا في عهد السلطان أبي سالم المريني (760-762هـ/1359-1361م) غير انه لم يسلم ثانية من هذه الدسائس ، فقرر السفر إلى

---

[1]- عبد الله المرابط الترغي ، المرجع السابق ، ص 617 .

[2]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 452 .

[3]- ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 24 .

[4]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 289 .

تونس حيث نزل في كنف السلطان أبي إسحاق الحفصي فأكرم وفادته ، وولاه الخطابة بجامع الموحدين وفي سنة 770هـ/1369م ارتحل إلى مصر حيث نزل مدينة الإسكندرية ثم القاهرة ، ولما وصل خبره إلى مسامع السلطان الأشرف ولاه الوظائف العلمية ، والتي استمر فيها إلى أن وافته المنية[1].

لابن مرزوق مصنفات كثيرة منها "شرح عمدة الأحكام " و "شرح الشفاء "و "شرح الأحكام الصغرى " و" إيضاح المراشد فيما اشتمل عليه الخلافة من الحكم والنوائد "و" المفاتيح المرزوقية " وكتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"[2] .

- أبو علي الونشريسي (714-788هـ/1324-1386م)

الحسن بن عثمان بن عطية التجاني ، الشهير بأبي علي الونشريسي ، قاض ، أديب وشاعر، من فقهاء المالكية في بلاد المغرب ، أصله من قبيلة بني توجين بالمغرب الأوسط ، رحل جده عطية إلى المغرب الأقصى وسكن بحوز مكناسة ، وولد صاحب الترجمة بتاوريرت ، وأخذ العلم عن خاتمة محدثي المغرب أبي البركات بن الحاج البلفيقي* ، وغيره من العلماء ، ولي قضاء فاس وقضاء مكناسة ، وقضاء سلا ثم ترك مهنة القضاء وتفرغ للتدريس والإقراء بجامع القرويين ثم ذهب إلى الحج ، وبعد إتمامه للفريضة عاد من جديد إلى مدينة فاس التي توفي فيها.

كان له باع في الفرائض وسماوة همة وذكاء وسيم ، وله شعر فيه حلاوة وكلامه فيه عذوبة ، حيث قال عنه ابن الخطيب "كان فقيها عدلا من أهل الحساب ، والقيام على الفرائض ، والعناية بفروع الفقه من ذوي السجاذة والفضل يقرض الشعر من آثاره " أرجوزة في الفرائض"[3].

- أبو الحسن علي الخزاعي التلمساني (ت 789هـ/1387م)

---

[1]- ابن القاضي ، درة الحجال ، ج2 ، 275 .

[2]- ابن مريم ، البستان ، ص ص 184-185، الديباج ص ص 396-397، جذوة الاقتباس ج1 ص ص 225-226، الوافي بالوفيات ص ص 373-374 ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1، ص ص 136-137، بغية الوعاة ج1 ص ص 46-47 ، الأعلام ، ج5 ، ص 328

*- محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن خلف السلمي ، من ذرية العباس بن مرداس المعروف في بلده بابن الحاج البلفيقي ، و في غيره بالبلفيقي ، بيته بيت دين و فضل ، اجتهد في طلب العلم صغيرا و كبيرا ، و عبر البحر إلى بجاية حيث تتلمذ على يد أبا علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي و حضر مجالسه العلمية و أخذ عنه و عن غيره من أهلها ، تولى القضاء في بلاد عديدة ، توفي سنة 773 هـ/1371م ، أنظر ترجمته في : المرقبة العليا ص ص 164 - 165 .

[3]- المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 352 ، وأيضا : نثير الجمان ، ص ص 366-367 ، نيل الإبتهاج ، ص 158، تعريف الخلف برجال السلف ، ج2 ، ص ص 121- 122، معجم أعلام الجزائر ، ص ص 244- 245.

علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي ، مؤرخ وأديب وشاعر وكاتب ، ينحدر أصله من أسرة أندلسية ، انتقلت إلى بلاد المغرب الأوسط ، حيث كانت هذه الأسرة مشهورة في العلم والسياسة والقضاء[1] ، ولد ونشأ في مدينة تلمسان في كنف أبيه محمد الخزاعي الذي كان كاتبا للأشغال السلطانية لدولة بني عبد الواد ، أخذ العلم عن أبي البركات البلفيقي والخطيب أبي عبد الله ابن مرزوق التلمساني ، وغيره من أعلام تلمسان ، ثم اشتغل بالكتابة السلطانية في تلمسان بأمر من السلطان أبو سعيد عثمان (749-753هـ/1348-1352م) ثم انتقل إلى فاس حيث ولاه السلطان أبو عنان المريني (748-759هـ/1347-1358م) خطة القلم الأعلى والتي استمر فيها إلى أن توفي ، أخذ عنه عدد من العلماء خاصة في بلاد المغرب الأقصى مثل أبو زكريا السراج وأبو الوليد بن الأحمر وغيرهما ، وله مؤلفات منها " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية" ألفه للسلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن أبي عنان المريني سنة 786هـ/1384م قبل وفاته بثلاث سنوات[2].

- علي أبو الحسن التلمساني (ت 791هـ/1389م)

علي بن محمد بن منصور ، أبو الحسن الغماري الصنهاجي التلمساني ، المعروف بالأشهب ، من شيوخ العلم بتلمسان ، ولد ونشأ وتعلم بتلمسان ، ثم ارتحل إلى الأندلس ، ثم عاد وتوجه رسولا إلى فاس فمات بها[3].

- إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام التلمساني (ت 797هـ/1394م)

[1]- ابن القاضي ، المصدر السابق ، ص 489 .

[2]- ابن الأحمر ، المصدر السابق ، ص ص 249-250 ، وأيضا : فهارس علماء المغرب ، ص 619 ، معجم أعلام الجزائر ، ص ص 132- 133 .

[3]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 143 ، و أيضا : عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 73 ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج2 ، ص 270 .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد ابن الإمام ، التلمساني ، محدث ، حافظ ، مشارك في عدة علوم من فقهاء المالكية ، أخذ العلم عن مشيخة تلمسان ، ثم انتقل إلى بلاد المغرب الأقصى ، وسكن مدينة فاس وبقي فيها إلى أن توفي هناك ، له فتاوي نقلها عنه الونشريسي والمازوني ، ودفن بباب الجيزين[1].

- إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني (ت 805هـ/1404م)

يعرف بأبو إسحاق ، وهو أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد ، يقول عنه ابن صعد في كتابه " النجم الثاقب" كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبيا وحل من رئاسة العلم والزهد مكانا عليا صاحب الكرامات المأثورة ، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة ، بها ولد ونشأ ، فلما كبر طلب العلم فأخذه من فاس عن جماعة من العلماء ، كالشيخ موسى العبدوسي* وشيخ التعاليم الآبلي ، وقرأ كثيرا على العلامة أبي عبد الله الشريف التلمساني ، ثم انتقل إلى المدرسة التاشفينية لاستكمال تحصيله العلمي فقرأ بها على يد الشيخ العلامة سعيد العقباني ، كان يحب مجالسة أهل العلم وكان على دراية بأخبار العلماء والصالحين المتقدمين أو المتأخرين ، توفي حوالي سنة 805هـ/1404م ، وحضر جنازته السلطان الواثق ماشيا على قدميه ، ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان[2].

- ابن القنفد القسنطيني (740-810هـ/1340-1407م)

أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العباس القسنطيني ، الشهير بابن القنفد ، باحث له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض ، أخذ عن جماعة من العلماء مثل أبي القاسم السبتي ، وأبي عبد الله التلمساني وأبي عمران موسى العبدوسي وأبي العباس القباب وابن مرزوق الجد ، ارتحل إلى بلاد إفريقية ثم حل ببلاد المغرب الأقصى حيث نزل مدينة فاس سنة 759هـ/1358م وبقي فيها ثمانية عشر سنة فحصل على علوم كثيرة ، والتقى بعلماء أجلاء وشيوخ كبار ، وتنقل كثيرا في مدن وحواضر المغرب الأقصى مثل آسفي ، وسلا ، ودكالة ، ومراكش ، وأزمور وانتفع خلال ذلك بعدد كبير من العلماء والشيوخ مثل أبي زيد اللجائي ، وعبد الحق الهسكوري له مؤلفات عديدة منها: " تقريب الدلالة في شرح الرسالة " و " أنس الفقير وعز الحقير " في التصوف و " أنوار السعادة في أصول

---

[1]- ابن مريم ، البستان ، ص ص 63-64 ، وأيضا : جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص 97 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 64.

*- موسى العبدوسي (ت 776هـ/1374م) موسى بن محمد بن معطي العبدوسي ، مدرس وعالم من أهل فاس ، كان مجلسه بالمدينة من أعظم المجالس يحضره الفقهاء ، والمدرسون والصلحاء ، تعرض للسجن ، أنظر ترجمته في : نيل الإبتهاج ، ص ص 604 -605.

[2] - ابن مريم ، المصدر نفسه ، ص ص 64- 65.

العبادة " شرح فيه قوله صلى الله عليه وسلم " بني الإسلام على خمس " وكتاب " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " وكتاب في التراجم بعنوان " شرف الطالب في أسنى المطالب "[1].

- سعيد العقباني (720-811هـ/1320-1408م)

الإمام سعيد بن محمد بن محمد التجيني العقباني نسبة إلى عقبان إحدى قرى الأندلس ، ولد ونشأ بتلمسان سنة 720هـ/1320م ، يعتبر من أكابر العلماء والفقهاء في تلمسان وبلاد المغرب في عهده تفقه على يد ابني الإمام وعبد الله الآبلي وغيرهم من الشيوخ والعلماء ، ولي قضاء بجاية في أيام السلطان أبو عنان المريني (749-759هـ/1348-1358م) كما ولي قضاء تلمسان ووهران ومراكش وسلا[2] ، أخذ عنه ابنه قاسم العقباني وابن مرزوق الحفيد وإبراهيم المصمودي وأحمد بن زاغو، له عدة شروح ، منها " شرح الحوفية " في الفرائض على مذهب الإمام مالك و"تفسير سورتي الأنعام والفتح " و" شرح البردة " و شرح " أرجوزة ابن الياسمين " في الجبر والمقابلة وشرح " لتلخيص لابن البناء "[3] .

- محمد ابن الفتتوح التلمساني (ت 818هـ/1416م)

محمد ابن الفتوح التلمساني ، الفقيه الصالح ، هو أول من أدخل إلى مدينة فاس مختصر خليل بن إسحاق المالكي ، نشأ في مدينة تلمسان ، كان زاهدا في الدنيا[4] ، ثم انتقل إلى مدينة فاس حيث كان يقرئ ألفية ابن مالك بمدرسة أبي عنان ، ثم عرضت عليه رئاسة دروس الفقه بمدرسة العطارين فلم يقبلها ، شد الرحال إلى مدينة مكناس حيث بقي فيها إلى أن توفي على إثر إصابته بمرض الطاعون[5].

---

[1]- ابن قنفد الفلسطيني ، الوفيات ، حققه وعلق عليه عادل نويهض ، الطبعة الرابعة 1983، دار الآفاق الجديدة بيروت 1983، ص ص6-16وأيضا : نيل الإبتهاج ص ص 109-110 ، درة الحجال ، ج2، ص ص 121- 122، جذوة الإقتباس ، ج1، ص ص 154،155، الأعلام، ج1، ص117.

[2]- التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص 189 - 190 .

[3]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص ص 237-238 ، و أيضا : معجم مشاهير المغاربة ، ص ص 319 - 320.

[4]- القرافي ، المصدر السابق ، ص 199 .

[5]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 264 ، وأيضا : جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص 317.

الفصل الثالث

إن مساهمة ودور علماء المغرب الأوسط في ازدهار وتنشيط الحركة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين (7و8هـ/13و14م) ، تعتبر مساهمة فعالة وكبيرة إلى حد ما ، ويرجع كثير من الفضل لعلماء المغرب الأوسط في تكوين عدد لا بأس به من الطلبة وحتى الشيوخ والعلماء خاصة في مدينتي فاس وسبتة ، اللتين كانتا مقصد عدد كبير من علماء وشيوخ المغرب الأوسط.

إن المستوى الثقافي والعلمي الذي بلغه علماء المغرب الأوسط خاصة خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، قد أشارت إليه بعض المصادر التاريخية التي ذكرت في هذا الصدد أن صناعة التعليم وملكة التلقي لم تبلغ فاس كما هي في مدينة تونس ، حيث استقرت هذه الملكة في ابن عرفة * تلميذ ابن عبد السلام التونسي ، وكذلك الشيخ أبو موسى عيسى بن الإمام (ت749هـ/1348م) وأبوعبد الله الشريف التلمساني (ت771 هـ/1370م) واستقرت هذه الملكة والطريقة عند سعيد بن محمد العقباني (ت811هـ/1408م)[1] ، وهو ما أكده ابن خلدون (ت 808 هـ/1405م) ، وقد أوردت هذه المصادر ذاتها إلى أن مدينة فاس ومراكزها الثقافية لم تكن بتلك الأهمية التي كانت توجد عليها مدينة تلمسان التي تصدر فيها ملكة التعليم ابنا الإمام[2].

لقد بلغت المشيخة العلمية والأدبية في بلاد المغرب الأوسط خاصة في مدينتي تلمسان وبجاية درجة كبيرة من النضج خاصة خلال القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي جعلها تفرض نفسها في الأوساط العلمية شرقا وغربا ، حيث كانوا يتجهون نحو قاعة الدرس والاعتناء بالتحصيل العلمي و نشره والاستكثار من مجالسة الشيوخ والرواية عن أبرزهم ، وقد أصبح هذا الإعتناء تقليدا علميا متعارفا عليه وقتئذ[3]، وفي هذه الحقبة من التاريخ كانت مدينة تلمسان مركزا للتعليم العالي ، إذ قصدها المتعلمون لتوسيع معارفهم وإتمام تكوينهم ، فقد نزل مدينة بجاية عدد لا بأس به من شيوخ وطلبة المغرب الأقصى كان من بينهم أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي الكلبي السبتي ، والذي يعرف بابن دحية*المتوفى سنة 633 هـ/ 1235م

---

*- ابن عرفة (ت 803هـ/1400م) : هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي يكنى أبا عبد الله العلامة المقري شيخ الشيوخ ، له التصانيف العزيزة، انتشر علمه شرقا وغربا ،كان إماما في علوم القرآن وله تأليف منها تقييده الكبير في المذهب في نحو عشرة أسفار ، أنظر ترجمته في : الديباج ص ص419، 420 .

1- المقري ، أزهار الرياض ، ج3 ، ص ص 24 -25 .

2- المصدر نفسه ، ص 26.

3- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 328

*- ابن دحية (ت 633هـ/1235م) : هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الشيخ الفقيه ، المحدث، الحافظ، المتفنن، من كبار المحدثين ، استوطن بجاية وروى بها وأسمع ، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة ، ارتحل إلى المشرق في عهد بني أيوب، أنظر ترجمته في : عنوان الدراية ص ص 269- 272 .

، ومحمد بن عمر ابن رشيد السبتي **(ت721 هـ/1321م) وكذلك محمد بن سعيد الرعيني الفاسي ***(ت779هـ/1377م) ، وفي مقابل ذلك ارتحل عدد كثير من كبار الشيوخ والأعلام من بلاد المغرب الأوسط خاصة من مدينة تلمسان نحو بلاد المغرب الأقصى ، وساهموا بقسط وافر في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية ، وبالتالي فإن معارفهم ومصنفاتهم قد انتشرت في أرجاء بلاد المغرب الإسلامي خاصة مدينتي فاس و سبتة وتلقوها طلبة المدارس المغربية ، ومن بين هذه المؤلفات على سبيل المثال مختصر ابن الحاجب **** في الأصول والفروع ، أتى به أبو علي ناصر الدين المشدالي (ت 731هـ/1331م) إلى بجاية وقرره على طلاب مدارسها ، ثم نقله تلميذه أبو موسى المشذالي (ت745هـ/1344م) إلى تلمسان ، وأدخل الفقيه محمد بن الفتوح التلمساني (ت818 هـ/1415م) مختصر خليل بن إسحاق المالكي إلى بلاد المغرب الأقصى[1].

لا شك إذن ، في أن جهود ودور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الأقصى خلل القرنين7 و8 هـ/13و14م ستكون على جانب كبير من الأهمية والفعالية وذلك بالنظر إلى توافد عدد كبير من شيوخ وعلماء المغرب الأوسط إلى مدينة فاس وباقي المدن المغربية الأخرى ، وتتمثل جوانب هذه المساهمة فيما يلي:

الإقراء والتدريس :

لقد كان من أثر تشجيع سلاطين بني مرين للعلم والعلماء واحتفاءهم بهم أن ارتحل إلى بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين7و8 هـ/13و14م عدد هام من كبار الشيوخ والعلماء من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى ، والتحق هؤلاء الشيوخ والعلماء بالمدارس التي أقامها سلاطين بنو مرين حيث اشتغلوا فيها كمدرسين ، وهناك من هؤلاء العلماء من تقلد الخطبة في مساجد وجوامع بلاد المغرب الأقصى ، وبالتالي فإن عددا كبيرا من طلبة العلم تحلقوا حول هؤلاء الشيوخ والعلماء للاستفادة من علمهم والحصول على

**- ابن الرشيد السبتي (ت721هـ/1321م) : هو محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد من أهل سبتة يعرف بابن رشيد، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 683هـ/ 1284 م حيث زار أماكن عديدة و صنف رحلة سماها ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة أنظر ترجمته في : جذوة الاقتباس ، ج1، ص ص 289- 290 .

***- محمد بن سعيد الرعيني الفاسي (ت 779هـ/1377م) : هو أحد فقهاء مدينة فاس التي ولد فيها أخذ العلم على يد عدد كبير من شيوخ العلم في سبتة وسلا ومكناسة وبجاية ، نسخ بخطه كتبا تزيد على المئة وخمسين ، دون تأليفه ، أنظر : جذوة الاقتباس ، ج1 ، ص ص 235-236 .

****- ابن الحاجب : يكنى أبا عمرو الإمام العلامة الفقيه المالكي ، كان بارعا في العلوم الأصولية ، وتحقيق علم العربية لمذهب مالك ، استوطن مصر والشام ، مصنف التصانيف المفيدة منها ، الجامع بين الأمهات في الفقه ، أنظر ترجمته في : الديباج : ص ص 289- 290 .

[1]- عبد العزيزفيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 328.

الإجازة العلمية ، وهناك من علماء المغرب الأوسط من انظم إلى المجالس العلمية التي كان يشرف عليها سلاطين بني مرين ، فالمجلس العلمي للسلطان أبي عنان المريني (749-759هـ/1348-1358م) كان من أعظم المجالس العلمية والأدبية في وقته إن لم يكن من أعظمها على الإطلاق ، لحرصه الشديد على أن يظم هذا المجلس أشهر الشخصيات الثقافية من فحول الشعراء وأبرز العلماء وأنبغ الأدباء وسائر المثقفين المرموقين في المغرب الأقصى أو خارجه[1] و الذين كان من بينهم القاضي أبو عبد محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي (ت 749هـ/1348م) وشيخ قراء المغرب أبو العباس أحمد الزواوي (ت 750هـ/1349م) وشيخ المغرب في العلوم العقلية وإمام وقته أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي (ت 757هـ/1356م) و غيرهم من العلماء المشهورين[2].

لقد ساهم هؤلاء العلماء في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى ، حيث استقروا في مدن مغربية عديدة ، وكان كلما نزل شيخ أو عالم من هؤلاء مدينة ما ، إلا وتحلق حوله عدد من طلبة العلم يأخذون عنه ويتدارسون معه في مسائل مختلفة في العلوم النقلية والعقلية ، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين تركوا بصماتهم الواضحة في تاريخ المغرب الأقصى الثقافي ، وكونوا جيلا لا بأس به من العلماء والشيوخ ، نذكر منهم :

أ-الفقيه أبوإسحاق التنسي(ت680هـ/1281م) : هو أحد العلماء الصالحين و الأولياء العاملين وكان كبير القدر حيا وميتا ، و ألف في العلم كتبا كثيرة[3] ، برز في علم الحديث وتربع على عرشه وكانت بضاعته فيه وافرة ، فجلس على كرسيه في مدينة تلمسان ، وكانت له فيه طرق عالية بفاس ووصفت طريقته في تدريس هذا العلم بأنها أحسن طريقة ، فصار يضرب به المثل ووصل هذا الشيخ العالم إلى مدينة فاس في زيارة خاصة أو في إطار المهمات الدبلوماسية التي كان يقوم بها بين العاهلين الزياني والمريني ، وكان عندما ينزل مدينة فاس يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير (ت719هـ/1319م) وصار يعد من أساتذته بهذه الديار كما انتفع به طلبة المدينة[4].

---

[1]- ابن الحاج النميري ، المصدر السابق ، ص 130-131 .

[2]- الشريف التلمساني ، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس ، الطبعة الاولى 1998 ، مؤسسة الريان بيروت، لبنان، ص 34 .

[3]- يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 48 .

[4]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 330 .

لقد ترك أبو إسحاق التنسي سمعة علمية و طيبة في الأقطار التي زارها ، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء فقد قال عنه السلطان أبو يوسف يعقوب المريني (656-685هـ/1258-1286م) ما صافحني أحد قط إلا أحسست بارتعاش يده لهيبة السلطان إلا الفقيه أبو إسحاق التنسي ، فعندما يصافحني تدركني منه مهابة ، فكانت يدي ترتعش من هيبته[1].

ب–ابنا الإمام : وهما أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام (ت 743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى بن الإمام (ت749هـ/1348 م) حيث يعتبران من كبار الشيوخ في وقتهما و قد اشتهرا بالبحث في العلم حتى صارا يعرفان بالإمامة والاجتهاد[2]، وكانت لأبي زيد ابن الإمام منزلة سامية و رفيعة عند أمراء و سلاطين بني زيان في تلمسان ، وعندما ارتحل إلى المغرب الأقصى احتفى به السلطان أبي الحسن المريني (732-749هـ/1331- 1348م) و حضي في فترة حكمه برئاسة العلماء في مجلسه[3] ، أما أخاه أبو موسى عيسى ابن الإمام فقد كان هو الأخر مقربا من بلاط أبي الحسن المريني ، وبعد وفاة أخيه كانت له الصدارة بين العلماء في مجلس السلطان[4] ، وكما هو معروف فإن المجلس العلمي لسلاطين بني مرين لم يكن يخلوا من المناظرات العلمية والفقهية بين أعضائه ، لأن هذا المجلس كان يظم كبار الشيوخ والعلماء على اختلاف مواطنهم ، وبالتالي فإن هاذين العالمين ساهما في تنشيط الحركة العلمية والثقافية ، سواء في المجلس السلطاني ، أو بالاشتغال في التدريس في مدن المغرب الأقصى ، ومما يدل على مكانة إبني الإمام العلمية وقوة حجتها أن السلطان أبا الحسن(732-749هـ/1331- 1348م) لما استنفر الناس إلى الجهاد وطلب منهم الإعانة على ذلك ، تصدى له أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام ، وقال له : لا يصلح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل علي بن أبي طالب[5] ، وتذكر المصادر التاريخية أن هذين العالمين تخرج على يديهما كثيرا من الفضلاء و العلماء في بلاد المغرب الإسلامي خاصة في المغرب الأقصى[6].

ج- أبو العباس أحمد الزواوي (ت 750هـ/1349م) : أطلق عليه اسم شيخ القراء بالمغرب ، أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس ونبغ فيهما[7]، أشتغل بالتعليم في فاس فأخذ عنه خلق كثير من أهل المدينة

---

[1]- نفسه ، ص 330 .

[2]- محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص 216.

[3]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 45.

[4]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 46

[5]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 221 .

[6]- التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 245 .

[7]- ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج1، ص 122.

في علم القراءات وكان لا يجاري في ذلك ، وكان من حسن صوته يصلي بسلطان وقته[1]، وكان الشيخ أبو العباس الزواوي من جملة من انتظم في المجلس العلمي للسلطان أبو الحسن المريني ، حيث كان يجالسه مع غيره من العلماء ، وقد ترك كثيرا من المصنفات في القراءات والعربية والتى انتفع بها خلق كثير من علماء و طلبة المغرب الأقصى[2].

د- **الآبلي**(ت757هـ/1356م): يعتبر العلامة الآبلي شيخ بلاد المغرب في العلوم العقلية ، وإمام وقته نال حظا وافرا من العلم في مدينة تلمسان ، حيث أخذ العلم عن كبار مشيختها وعلمائها وكانت له رحلة إلى بلاد المشرق[3] التقى فيها بكثير من العلماء فازدادت استفادته و تنوعت معارفة وقد أجمعت مختلف المصادر وكتب التراجم والطبقات على تفوقه ونبوغه في العلوم العقلية ، حتى قيل في حقه بأنه أعلم خلق الله بفنون المعقول[4]، ولما حاول الأمير الزياني أبو حمو موسى الأول(701-718هـ/1301-1318م) أن يكرهه على جباية الأموال ، اضطر إلى الفرار من تلمسان إلى بلاد المغرب الأقصى ، حيث اتصل بأبي العباس بن البناء (ت721هـ/1321م) في مدينة مراكش وأخذ عنه بعض فنون المعقول نظرا لشهرة ابن البناء العددي في هذا الفن ، وفي هذه الأثناء استهل الشيخ الآبلي نشاطه التعليمي و بدأ يجتمع حوله طلبة العلم و حصلت لهم استفادة كبيرة[5] . وبعد فترة زمنية قضاها الآبلي في مراكش يدرس ويقرئ الطلبة ، انتقل بعدها إلى حاضرة المرينيين مدينة فاس ، وفي هذه المدينة ، ونظرا لسمعته العلمية ونبوغه في التعاليم والحكمة فقد تحلق طلاب العلم حوله ، حيث كانوا يقصدونه من مختلف مدن المغرب الأقصى ، فانتشر علمه واشتهر ذكره وزادت إفادته[6] ، ولما فتح السلطان أبو الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) مدينة تلمسان ، ولقي من أعلامها أبا موسى ابن الإمام (ت749هـ/1348م) فقد أثنى هذا الأخير على الشيخ الآبلي برجاحة العقل وإلمامه الكبير بفنون التعاليم و الحكمة[7]، فقرر السلطان أبو الحسن

---

[1]- نفسه ، ص 122.

[2]- المرابط الترغي ، المرجع السابق ، ص 615 .

[3]- ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص ص 266-267

[4]- العباس بن إبراهيم السملالي ، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، راجعه عبد الوهاب بن منصور ، الجزء 4 ، المطبعة الملكية ، الرباط ص 368.

[5]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ص 214-215.

[6]- ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ، ص ص 36-37.

[7]- محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص ص 217-218 .

المريني أن يجعله من خواص مجلسه العلمي وأحد العلماء المقربين منه ، ورغم ذلك ، فإن الآبلي استمر في التصدي للإقراء والتدريس في مدن كثيرة من بلاد المغرب الأقصى أين اكتسب شهرة واسعة في الأوساط العلمية و الثقافية .

لقد احتفظ الشيخ الآبلي بمكانة متميزة في البلاط المريني ، حيث كان من المقربين من السلطان أبو عنان المريني(749-759هـ/1348-1359م) و تذكر كتب الطبقات و التراجم أنه كان يقرئ بين يديه إلى أن هلك بفاس سنة 757هـ/1356م[1] ، وقد تتلمذ على يد الشيخ الآبلي كثيرا من طلبة العلم و الشيوخ كان من أبرزهم ، ابن الصباغ المكناسي*(ت750هـ/1349م) والشريف التلمساني(ت771هـ/1369م) وابن مرزوق الجد (ت781هـ/1379م) وعبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ/1405م) وأبو عثمان سعيد العقباني (ت811هـ/1408م) ، وقد قال في حقه صاحب كتاب المسند-ابن مرزوق- أنه نفع الله به خلائق في المغرب الأقصى وتونس وإفريقية وحصلت له مشيخة على الجميع[2].

هـ- المقري (ت759هـ/1359م) : يعد الشيخ المقري من كبار علماء المذهب المالكي في وقته نشأ وتعلم بتلمسان ، ورحل في طلب العلم إلى مناطق متعددة ، فساهم ذلك في حصوله على معارف متنوعة وكبيرة[3]، وعليه فقد كان الشيخ المقري مشار إليه بالعدوة المغربية إجتهادا ودؤوبا وحفظا وعناية وإطلاعا ونزاهة ، مكبا على النظر والدرس والقراءة ، يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث والتاريخ والأخبار والآداب[4] ، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق . تلك هي إذن شخصية المقري التي انتسبت إلى مدينة فاس قادمة إليها من مدينة تلمسان في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وكان لها طنين ورنين في بلاد المغرب والأندلس والمشرق[5].

إن السمعة العلمية الحسنة والعلم الغزير الذي انفرد به الشيخ المقري ، دفع بالسلطان أبي عنان المريني (749 – 759هـ/1348–1359م) إلى إكرام وفادته بأن أسند له منصب قاضي الجماعة بمدينة فاس ، وهو منصب على جانب كبير من الأهمية في ذلك الوقت ، حيث تذكر المؤلفات المغربية أن قاضي القضاة

---

[1]- ابن القاضي المكناسي ، المصدر السابق ، ج1، ص ص، 304-305.

*- ابن الصباغ المكناسي (ت 750هـ/ 1349) كان مبرزا في المنقول والمعقول عارفا بالحديث ورجاله ، أخذ العلوم عن مشيخة مكناسة وتتلمذ على الشيخ الأبلي ، توفي غريقا في أسطول أبي الحسن المريني بالقرب من سواحل افريقية ، أنظر : نيل الابتهاج ، ص ص 410 -411 .

[2]- ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص ص، 266-267.

[3]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص ص، 312-313.

[4]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 208 .

[5]- عبد القادر زمامة ، المقري والمقري ، مجلة دعوة الحق ، السنة الرابعة عشرة ، العدد الخامس ماي 1971 ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الرباط، المغرب ، ص ص 160-161.

بفاس كان يتولى إدارة شؤون الفقهاء في المدينة بحكم أنه كان بمثابة شيخ الجامع الأكبر إذ كان يشرف على اختبار الأساتذة ، ووضع الشروط الواجب توفرها في راغبي الدراسة من الطلبة كما يحدد المواد الدراسية والمؤلفات العلمية التي هي مادة التدريس ، بالإضافة إلى إشرافه على منح الإجازات العلمية بالإتفاق مع العلماء وكبار شيوخ المدينة[1]، وتلقيه العطايا المادية والعينية للإنفاق على العلماء والطلبة ومما يظهر الاحترام الكبير للشيخ المقري ، هو أن السلطان أبو عنان المريني لما بنى المدرسة التي بطالعة سلا وهي المدرسة المتوكلية استعمل قاضي الجماعة والعلامة المدرس المفتي المقري التلمساني لينتظم فيها للإقراء والتدريس حيث كان طلبة العلم يتحلقون حوله بأعداد كبيرة ليشرح ويوضح لهم صحيح مسلم[2] وبث العلم وذلك في حضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم ، وكان المقري كثيرا مايطرح أسئلة على طلبته لاختبار معلوماتهم وإثارة التشوق بينهم إلى المعرفة ، فإن لم يهتد المسؤول إلى الجواب الصحيح يتدخل الشيخ المقري لبيان وجه الصواب في المسألة ، وكانت مواضعه متنوعة ومختلفة[3]، ويظهر أن الفاسيين أنزلوا المقري مكانة رفيعة وبوأوه ما يستحق من التقدير والاحترام ، حيث نظم أحد شعرائهم تقييدا في التنويه به ، ساق منه حفيده- أي حفيد المقري- الأبيات التي علقت بحفظه وهي:

إذا ذكرت مفاخر أهل فاس ذكرنا من أتى من تلمسان

وقلنا: هل رأيتم في قضاة تشبيها للفقيه العدل ثان

إلى أن قال :

ونفس العلم إن شانت لشخص فما للمقري في العلم شاني[4]

إن مساهمة الشيخ المقري في تنشيط الحياة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 هـ 13و14م ، تعتبر مساهمة متميزة وواسعة وثرية ، ويظهر ذلك من خلال عطائه العلمي ، حيث كان غزيرا في الفترة التي انتصب فيها مدرسا ومفسرا ، خاصة في المدرسة المتوكلية في فاس ، وفي الجامع الأعظم بغرناطة ، فقد بهر طلبة المغرب والأندلس بسعة اطلاعه وكثرة حفظه وعمق آرائه[5]، وكان الشيخ المقري التلمساني مرجعا للعامة وللسلطان في بلاد المغرب الأقصى ، يتوجون إليه باستفتاآتهم لمعرفة الحلال والحرام

[1]- محمد كمال شبانة، المدن الثقافية الإسلامية، فاس، مجلة دعوة الحق، العدد 253، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1985، وزارة الأوقلف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب ، ص 90.

[2]- إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط 1972، ص 64.

[3]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 282 ، وأيضا : محمدبن الهادي أبو الأجفان ، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني ، الدار العربية للكتاب ، 1988، ص ص 96-97.

[4]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 340.

[5]- محمد أبو الأجفان ، المرجع السابق ، ص169.

وبيان حكم الله ، والكثير من هذه الفتاوي تحتفظ بها موسوعة المعيار المعرب للونشريسي* ضمن الفتاوي المغربيةوالأندلسية[1] ، وتخرج على يديه أعلام مشهورين منهم لسان الدين بن الخطيب ، و الوزير أبو عبد الله ابن زمرك** ، و الأستاذ العلامة أبو عبد الله القيجاطي ، و الشيخ القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي الزموري*** ، و ابن خلدون ، و الشيخ النظار أبو إسحاق الشاطبي **** و غيرهم كثير[2] .

و-**الشريف التلمساني**: (ت771هـ/ 1369م) : يعتبر علامة تلمسان بل إمام بلاد المغرب قاطبة كان عالما بعلوم جمة من المنقول والمعقول ، وبلغ رتبة الإجتهاد وكاد بل هو أحد العلماء الراسخين وآخر الأئمة المجتهدين[3] ،كان مائلا للنظر والحجة ، أصوليا متكلما جامعا لكثير من العلوم العقلية إرتحل إلى تونس ثم رجع إلى تلمسان حيث انتصب للتدريس ونشر العلم [4]، ونظرا لشهرته ومكانته العلمية احتفى به السلطان أبو عنان المريني (749-759 هـ/ 1348-1358 م) وجعله من خواص مجلسه العلمي الذي كان يضم كبار المشايخ والعلماء وولاه قضاء فاس[5] ،وفي هذه المدينة انتصب الشريف التلمساني للإقراء والتدريس ، فبث العلم وملأ به المغرب وكان الإقراء عند أبي عبد الله الشريف من عظيم اهتماماته ، وفرط عنايته ، وكان الطلبة في وقته أعز الناس وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا وأكرمهم مجلسا[6] ، حيث كان نسيج وحده وفريد عصره في كل طريقة ، انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب وضربت إليه إباط الإبل شرقا وغربا وكانت تأتيه الأسئلة من غرناطة فيرد عليها ، وكان الفقيه الكبير موسى العبدوسي شيخ فقهاء فاس في

---

*- الونشريسي (ت 914هـ/1511م) هو أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة تتلمذ على شيوخ تلمسان، وفي سنة 847هـ انتهبت داره وفر إلى فاس فاستوطنها ، له تآليف كثيرة منها المعيار المعرب على فتاوي علماء إفريقية والأندلس و المغرب ، أنظر : نيل الابتهاج : ص 135.

[1]- محمد أبو الأجفان ، المرجع نفسه ، ص 172.

**- ابن زمرك ت 792هـ/1390م هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف، الكاتب المشهور، أصله من شرق الأندلس، أخذ عن كثير من الشيوخ والعلماء في الأندلس وفاس ، أنظر : جذوة الاقتباس ،ج1، ص 312 .

***- أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي الزموري المعروف بنقشابو ، هو الشيخ الفقيه القاضي العدل المحدث الرواية ، تتلمذ على يد شيوخ فاس ، له تآليف معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب ، أنظر : جذوة الاقتباس ، ج1، ص 238.

****- أبو إسحاق الشاطبي (ت 790 هـ/1388 م) الإمام العلامة المحقق المجتهد ،كان أصوليا و مفسرا و فقيها ، إماما مطلقا ، له القدم الراسخ و الإمامة العظمى في الفنون ، وله تأليف جليلة ، منها كتاب الموافقات في أصول الفقه ، أنظر : نيل الابتهاج ، ص ص 48 - 52

[2]- المقري ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص341 .

[3]- أبو القاسم الحفناوي ، المرجع السابق ، ج1، ص 107.

[4]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 165 .

[5]- نفسه ، ص 165، وأيضا : تعريف الخلف، ج1 ، ص 108، بغية الوعاة ، ج 1، ص 21.

[6]- الشريف التلمساني ، المصدر السابق ، ص 105.

عصره يبحث عما يصدر من أبي عبد الله الشريف التلمساني من تقييد أو فتوى فيقيده بالرغم من أنه – أي العبدوسي –كان أسنى من الشريف التلمساني[1] .

دخل على الشريف التلمساني مرة بفاس طالب فسأله عن حاله ، فذكر له ، أنه قرأ القرآن بالقرويين فما أعطاه أحد شيءا فتأسف الشيخ لحاله ، وفي الغد بعث الشريف التلمساني أربعة من طلبته بأربعة قراطيس ودعا لهم فعرف الناس حاله فانثالت عليه العطايا[2] .

إن ما تميز به الشريف التلمساني من علم غزير وكفاءة علمية بارزة وطريقته الخاصة في التعليم جعلت كثيرا من الطلبة في مدينة فاس وشيوخها يتحلقون حوله ، حيث أقبل عليه كثيرا من الناس والتفوا حول دروسه وحلقاته على اختلاف طبقاتهم ، فملأ المغرب علوما ومعارف ، وتخرج على يده عدد كبير من الطلبة والعلماء البارزين منهم : إبناه عبد الله (ت 792هـ/ 1390م) و عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م) وأبي إسحاق الشاطبي (ت 790هـ/1388م) وابن زمرك (ت 792هـ/1390م) وخطيب القرويين ابن عباد* (ت 792هـ/1389م)حيث انتفعوا به قراءة ونسخا وتأليفا ، فضلا عن مراسلاتة العلمية مع كبار علماء و شيوخ الأندلس كأبي سعيد بن لب * ولسان الدين بن الخطيب[3] .

ز– ابن مرزوق الخطيب : (ت781هـ/1379م) : المشهور بالجد والخطيب ،كان يعتبر من أكابر فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي ، ومن أبرز الشخصيات في المائة الثامنة للهجرة ، وكان آية في فنون الدين والعلم والأدب والسياسة ، وكان له طريق واضح في الحديث يقول عنه ابن قنفذ (ت 810هـ/1407م) أسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة[4] ، اشتمل عليه السلطان أبو الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) إشتمالا خلطه بنفسه وجعله مفضي سره وإمام جمعه

---

[1]– – التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ص 434 ، وأيضا : مفتاح الوصول ، ص 78 .

[2]– ابن مريم ، البستان ، ص 167 ، وأيضا : الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، ، ص 218 ، عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ج2 ، ص 331 .

*– ابن عباد (ت 792هـ/ 1390م) : هو محمد بن يحي بن إبراهيم بن مالك النفزي الحميري الشهير بابن عباد ، الخطيب الصوفي ، خطيب القرويين أصله من رندة ، وله تآليف حسنة ، منها التنبيه والرسائل ، أنظر : جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص 315 .

*– سعيد بن لب (ت 791 هـ/ 1389 م) هو محمد بن سعيد بن أحمد بن لب بن حسن ، من علماء غرناطة ،كان خطيبا و أستاذ راوية ، قال في الإحاطة كان فاضلا جميل العشرة ،كريم الصحبة ، مبسوط الكف ، و كانت له مشاركة في الفقه و القراءة و غيرها ، أنظر ترجمته في : نيل الإبتهاج ص ص 460 -461 .

[3]– الشريف التلمساني ، المصدر السابق ، ص 85 ، وأيضا : تعريف الخلف ، ج1 ، ص 110، الفتح المبين ، ج2 ، ص 182.

[4]– ابن قنفذ ، المصدر السابق ، ص ص 373– 374.

وخطيب منبره وأمين رسالته[1]، وبعد وفاة أبو الحسن المريني ، وفي عهد خليفته السلطان أبو عنان (748-749هـ/1348-1359م) حافظ ابن مرزوق على المكانة المرموقة التي كان عليها سابقا ، وأصبح من المقربين من السلطان أبو عنان ، حيث نظمه هذا الأخير في أكابر مجلسه[2].

لقد اشتهر ابن مرزوق الخطيب بعلمه الواسع في الحديث والفقه وغيرهما ، وأخذ عنه مالا يحصى من رجال المغرب والأندلس ، وقد اشتغل بالتأليف فكتب المسند وغيره[3]، وأدى دورا كبيرا في الحياة السياسية للدولة المرينية وشؤونها الثقافية حيث أبان عن كفاءة علمية كبيرة[4] .

ح- **عبد الله بن محمد التلمساني** (ت792هـ/1390م) : هو الإمام العلامة المحقق الحافظ الجليل المتفنن ابن الإمام العلامة الحجة النظار الأعلم أبي عبد الله الشريف ، أخذ العلم على يد كبار المشايخ بفاس مثل أبوه الشريف التلمساني ، وابن مرزوق الخطيب ، وأبي عمران العبدوسي وأحمد القباب* اشتغل بالكثير من العلوم في حياة أبيه الإمام ودرس فيها وقرأها وعلمها[5]، وكان من جملة الطلبة المتحلقين حول أبيه ، فكانوا إذا بحثوا في شيء أو مسألة ما أمرهم الشيخ بالتقييد فيها تدريبا لهم ، وكان يحضر مجلسه كبار الفقهاء ، حيث صدرت منه أجوبة وردود تشهد العقول بصوابها وحسنها حتى يقوم بعض الشيوخ ويقبله بين عينيه[6]، ثم جلس مجلس أبيه بعد موته ، وحضر من كان يحضر أباه الدرس والمجلس ، ولم يتخلف أحد ممن كان يحضر مجلس أبيه بعد موت هذا الأخير ، فجرى على مذهبه نظرا ونقلا وتحقيقا ، واعترف له علماء وفقهاء فاس بتقدمه ، حتى كان القاضي علي أبو الحسن المغربي يقول أنتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه لحسن تقريبه وبسطه ، ثم انتقل للجامع الأعظم ، فقرأ فيه الأحكام الصغرى لعبد الحق ** وابن الحاجب الفرعي ، وكان طلبة فاس يحضرون مجلسه ، وكان هؤلاء الطلبة – أي الفاسيين – من شأنهم حفظ المسائل والنقل على عاداتهم خلاف عادة التلمسانيين فيحضره الفريقان فيوفى لكل واحد منهم

---

[1]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 391.

[2]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص 451 ، وأيضا : العباس السملالي ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 14 .

[3]- المرابط الترغي ، المرجع السابق ، ص ص 617،618.

[4]- محمد بن أحمد بن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب 1985،ص 125

*- أحمد القباب (ت 779هـ/1377م) أحمد بن قاسم بن عبدالرحمان الجذامي ، يعرف بالقباب من صدور أهل فاس ، إمام فقيه نبيه جيد النظر سديد الفهم ، ولي الفتيا بمدينة فاس ، وله نوازل مشهورة ، وولي القضاء بجبل الفتح ، أنظر : جذوة الاقتباس ، ج1 ، ص 123 .

[5]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص 226 .

[6]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 118 ، و أيضا : نيل الابتهاج ، ص 226 .

**- عبد الحق (ت581هـ/1185م) هو عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي ، رحل إلى بجاية واختارها وطنا فألف التأليف وصنف الدواوين وولي الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم ، وولي قضاء بجاية مدة قليلة ، له الإمامة الكبرى في الحديث والأحكام الصغرى فيه ، أنظر ترجمته في : عنوان الدراية ص ص 41-42.

مطلبه ، وذكر ابن صالح الفاسي أنه كان في جماعة من طلبة العلم الفاسيين يختبرونه في الحفظ وصحة نقله ، فيأتون بالتقييد وغيره من الكتب التي ينقل منها ، فإذا قال أبو محمد اللخمي ، نظر الذي يكون بيده منهم فيه فيسرد نصه ولا يغير منه حرفا ، وكذلك كل شرح حتى اعترفوا له بالحفظ والثبات والتحقيق[1] ، ثم بعد فراغه من النقل أخذ في الترجيح والتوصية ونظرا لانشغاله الكبير بالإقراء والتدريس قيل فيه أنه لم يكن في المغرب أكثر اجتهادا منه في الإقراء وانتفاع الطلبة ، حيث ارتحلوا إليه من بجاية و تلمسان وغيرهما من مدن المغربين الأوسط والأقصى[2].

ط- محمد ابن الفتوح التلمساني (ت818هـ/1415م) : وصفه الشيخ ابن غازي* في كتابه بالشيخ الفقيه الصالح الزاهد ولي الله تعالى ، نشأ في تلمسان ، ثم انتقل إلى فاس[3] لدراسة الفقه والتعمق فيه ويعتبر ابن الفتوح التلمساني أول من أشاع مختصر خليل** بمدينة فاس ، وفي فترة إقامته بفاس انتصب هذا الشيخ العالم للتدريس والإقراء حيث كان يدرس ألفية ابن مالك بالمدرسة المتوكلية[4] ، ثم عرضت عليه رئاسة التدريس للفقه بمدرسة العطارين فلم يقبلها ، ثم ارتحل إلى مدينة مكناسة الزيتون والتي تصدى فيها لتدريس صحيح البخاري عند خزانة الكتب من مسجدها الأعظم ، وكان بينه وبين شيخ الجماعة أبي محمد عبد الله العبدوسي*** ود و إخاء وكل منهما كان يفيد صاحبه[5].

إثراء النقاش الفكري:

---

[1]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 119، وأيضا : نيل الإبتهاج ، ص 227.

[2]- المصدر نفسه ، ص 119، و أيضا : نيل الإبتهاج ، ص227 ، معجم أعلام الجزائر ، ص 71 .

*- ابن غازي ت 919هـ/1513م هو محمد بن أحمد ابن غازي العثماني الفقيه ، الخطيب الأستاذ المشارك المحدث خطيب جامع القرويين ، صاحب التآليف الحسنة ، منها الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، توفي بفاس ، أنظر : جذوة الإقتباس ، ج1 ، ص 320.

[3]- المصدر نفسه ، ص 264 ، و أيضا : نيل الإبتهاج ، ص ص 497- 498 ، عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج2 ، ص 334 .

**- خليل (ت749هـ/1348م) : هو خليل بن إسحاق المالكي ، كان رحمه الله ، صدرا في علماء القاهرة مجمعا على فضله وديانته ، أستاذا ممتعا من أهل التحقيق ، مشاركا في فنون من العربية والحديث والفرائض فاضلا في مذهب مالك ، تخرج بين يديه جماعة من الفقهاء والفضلاء ، توفي بالطاعون أنظر ترجمته في : الديباج ، ص 186.

[4]- ابن غازي المكناسي ، المصدر السابق ، ص 116، وأيضا : ابن زيدان ، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، تحقيق علي عمر ، الطبعة الأولى 2008 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ج3 ، ص ص 676-677 .

***- عبد الله العبدوسي (ت849 هـ/1445م) : هو عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد ابن معطي العبدوسي الفقيه الخطيب بجامع القرويين ، كان أكثر عمله فقه الحديث ، وولي الفتيا بفاس ، نقل الونشريسي في معياره جملة صالحة من فتاويه ، أنظر : جذوة الإقتباس ،ج2 ، ص 425.

[5]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص 498 ، وأيضا : الروض الهتون ، ص 118، ابن زيدان ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص677 .

إن مساهمة ودور علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي والفكري في المغرب الأقصي خلال القرنين 7و8هـ/13و14م لم يقتصر على الإقراء والتدريس ، بل كانت هناك جلسات وحلقات ذكر ومناظرات شاركت فيها نخبة من علماء المغرب الأوسط ، كانت بمثابة محور ورافد آخر لإزدهار الحركة العلمية والثقافية في المغرب الأقصى خلال الفترة المذكورة ، وفيما يلي أهم تلك المساهمات والسجالات الفكرية التي كان فيها علماء المغرب الأوسط طرفا فيها :

أ- **ابن خميس وطلبة سبتة** : عندما نزل ابن خميس (ت 708هـ/1309م) مدينة سبتة بقصد الإقراء والتدريس فيها ، إلتف حول مجلسه العلمي عيون طلبة هذه المدينة ، وألقوا عليه مسائل في غاية الصعوبة في محاولة منهم لإختبار ذكائه وفطنته وسعة إطلاعه[1] ، وقد تضمنت هذه المسائل عشرة مقاطع أو جمل من باب معرفة علامات الإعراب ، وكانت على الشكل التالي :

- الأولى: أنتم يازيد تغزون.
- الثانية: أنثى ياهندات تغزون.
- الثالثة: أنتم يازيدون وياهندات تغزون.
- الرابعة: أنتن ياهندات تخشين.
- الخامسة: أنتن ياهند تخشين.
- السادسة : أنت يا هند ترمين .
- السابعة : أنتن يا هندات ترمين .
- الثامنة : أنتن يا هندات تمحون أو تمحين .
- التاسعة : أنت يا هند تمحين أو تمحون ، كيف تقول .
- العاشرة : أنتما تمحوان أو تمحيان ، كيف تقول .

و هل كل هذه الفعال مبنية أو معربة ؟ أو بعضها مبني و بعضها معرب ؟ و هل كلها على وزن واحد أم على أوزان مختلفة ؟ علينا بالسؤال ، و عليك التمييز ، لنعلم الجواب ، فأجابهم ابن خميس بأن قال : إنما يسأل عن هذا صغار الولدان ، فقال الفتى : فأنت دونهم إن لم تجب ، فانزعج الشيخ و قال : هذا سوء أدب ، و نهض منصرفا إلى مدينة غرناطة[2]، و قد جزم غير واحد بأن ابن خميس لا يجهل مثل هذه المبادئ ، فقد وصفه ابن الخطيب (ت776 هـ/1374م) بأنه كان نسيج وحده عارفا بالمعارف

[1]- المقري ، أزهار الرياض ، ج2 ، ص 297 .

[2]- المقري ، أزهار الرياض ، ج2 ، ص ص ، 297 - 299 .

القديمة قائما على العربية و الأصلين و أقدر الناس على اجتلاب الغريب[1] ، و هذا مثال يبرز جانبا من جوانب دور و مساهمة علماء المغرب الأوسط في تنشيط الحياة الثقافية و الأدبية في المغرب الأقصى خلال الفترة المدروسة.

ب- امتحان أبو عيسى موسى ابن الإمام و الشريف التلمساني للشيخ الصرصري : عندما انتهى السلطان أبو عنان المريني (749–759 هـ/1348– 1358م) من بناء مدرسته المتوكلية بفاس عين فيها الشيخ الصرصري يقرئ فيها الفقه[2] ، و لما ذاع صيت هذا الأخير و تملكه العجب من نفسه و رفض أن يتلقى العلم من غيره أو يأخذ الرواية عن سواه[3] ، وجه إليه أبو عنان المريني من يسأله و يختبره في مسائل التهذيب التي انفرد باتقانها و حفظها و طالبه بتحقيق ذلك و إتقانه و حسن تلقيه و كان من انتدبه إليه أبو عيسى موسى ابن الإمام (ت749 هـ/ 1348م) أو الشريف التلمساني (ت771 هـ/1369م) أو هما معا ، فطالباه بتحقيق ما أورده من مسائل عن ظهر قلب على المشهور من حفظه و بدون الإستعانة بالمراجع و المصادر ، فانقطع انقطاعا فاحشا ، و لما اظجره ذلك نزل عن كرسيه ، و انصرف في غاية القبض ، و لما اشتهر ذلك عنه استدعاه السلطان أبو عنان المريني و قال له : أنا أمرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم ، و ما عند الناس ، و تعلم أن دار الغرب هي كعبة كل قاصد ، فلا يجب أن تتكل على حفظك ، و تقتصر على ما حصل عندك ، و لا يمنعك ما أنت فيه من التصدي عن ملاقاة من يرد من العلماء و التنزل للأخذ عنهم[4].

ج- نشاط المقري في المجلس السلطاني : من المتعارف عليه أن مجالس سلاطين بني مرين كانت تجري فيها ندوات علمية رفيعة ، ذلك أن هؤلاء السلاطين كانوا يتخيرون من كبار المشايخ والعلماء من يعمر مجالسهم العلمية[5] ، وكان الشيخ المقري (ت 759هـ/1359م) أحد هؤلاء العلماء الذين ساهموا في تنشيط وإثراء الحياة العلمية والفكرية ، حيث تذكر المصادر التاريخية أن الشيخ المقري كان يحضر مجلس السلطان أبا عنان (749-759هـ/1348-1358م) لبث العلم ، وكان مزوار الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان قام له هذا الأخير وجميع من في مجلسه إكراما لنسبه الشريف إلا الشيخ المقري فنظر نقيب

---

[1]- نفسه ، ج2 ، ص301 .

[2]- نفسه ، ج3 ، ص 27 .

[3]- عبد الكريم التواتي ، السلطان أبو عنان المريني ، مجلة دعوة الحق ، العدد 262 ، يناير و فبراير 1987 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، الرباط ، ص 49 .

[4]- المقري ، أزهار الرياض ، ج3 ، ص 28 .

[5]- محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ-1213م/869هـ-1465م) الطبعة الثانية 1987 دار القلم للنشر والتوزيع الكويت ، ص 337 .

الشرفاء إلى الشيخ المقري وقال له: مالك لاتقوم كما بفعل السلطان وأهل مجلسه إكراما لجدي وشرفي ، فنظر المقري إليه وأجابه قائلا: أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد وأما شرفك فمظنون ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة ، ولو قطعنا بشرفك لأقمنا هذا من هنا وأشار للسلطان أبي عنان وأجلساك مكانه[1]، وقد طال الجدل بين العلماء في إثبات الشرف ، ومنهم من إعتبر رأي المقري هفوة لا تتناسب مع جلال قدره ، وأعلن المقري مرة أخرى رأيه في كون الشريف مظنون في عهده ، عندما كان يشرح صحيح مسلم بين يدي السلطان أبي عنان المريني وبحضرة فقهاء وعلماء فاس ، حتى وصل إلى حديث الأئمة من قريش ، فقال: الجمهور أن الأئمة من قريش وغيرهم متغلب ، واتجه إلى السلطان بقوله : لا عليك فإن القرشي اليوم مضنون ، أنت أهل للخلافة إذا توفرت فيك بعض الشروط ، فلما انصرف من الدرس بعث له السلطان ألف دينار[2].

لقد كان المقري مرجعا للعامة وللسلطان يتوجهون إليه باستفتاءاتهم لمعرفة الحلال والحرام ، وبيان حكم الله ، والكثير من هذه الفتاوي تحتفظ بها موسوعة المعيار المعرب للونشريسي ضمن الفتاوي المغربية والأندلسية[3] ، و خلال إقامته بفاس انتفع به عدد كبير من طلبة المدينة.

د- نشاط ابن المسفر الباهلي: (ت744هـ/1344م) هو الشيخ العلامة محمد بن يحي الباهلي البجائي المعروف بالمسفر، عالم بجاية وفقيهها وقاضيها ، كان مستعملا في السفارة إلى فاس[4] ، وعندما نزل هذه المدينة زاره بعض طلبتها وتحدث معهم في مسائل عدة منها مسألة وقعت في زمن ناصر الدين المشدالي فيما يخص بعض الكلام في تفسير سورة الفاتحة فنقلوا ما حدثهم به إلى الشيخ الآبلي (ت757هـ/1356م) الذي وضح لهم المسألة ، وعندما رجعوا إلى ابن المسفر طلب منهم تقييد ذلك بعد أن استحسن جواب الآبلي[5] . وخلال إقامته بمدينة فاس لقي ابن المسفر الشيخ أبا الحسن الصغير المعروف عند أهل إفريقية بالمغربي صاحب التقييد على المدونة ، و تحدث معه في الفقه و أعجب بسعة اطلاعه و تفقهه الكبير[6] .

---

[1]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص 426 ، وأيضا : الإحاطة ، ج2 ، ص ص 191- 226 ، نفح الطيب ، ج5 ، ص281 .

[2]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 282 ، وأيضا : نيل الإبتهاج ، ص 426.

[3]- محمد بن الهادي أبو الأجفان ، المرجع السابق ، ص 172.

[4]- ابن القاضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 296 ، وأيضا : معجم أعلام الجزائر ، ص 31.

[5]- المقري ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص 246، وأيضا : نيل الإبتهاج ، ص 413.

[6]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص 402 .

هـ- نشاط الشريف التلمساني (ت771 هـ/ 1369م) : إن نشاط الشريف التلمساني كان متميزا في المغرب الأقصى لما اتسم به من علم واسع و اطلاع كبير ، و يظهر ذلك من خلال القصية التي دارت أحداثها في مجلس السلطان أبو عنان المريني ، و التي تتلخص في أن السلطان أبو عنان لما طلب من الشيخ أبو عبد الله المقري بإقراء التفسير ، امتنع هذا الأخير عن ذلك و أشار إلى أن أبو عبد الله الشريف أولى منه بذلك ، ففسر أبو عبد الله الشريف بحضرة كافة علماء المغرب مجلسا في دار السلطان[1] ، فأثنى عليه أبو عنان المريني ، و قال : إني لأرى العلم يخرج من منابت شعره ، و قد شارك الشريف التلمساني في الجلسات و النقاشات الفكرية التي كان يسهر على تنشيطها سلاطين بنو مرين ، فقد ذكر بعض فقهاء فاس للسلطان أبي عنان المريني أن الشريف التلمساني غير متبحر في الفقه حسدا ، فبعث السلطان حينئذ للفقهاء ، فحضروا بين يديه ، و أمره بقراءة حديث إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم ، يختبر به حاله في الفقه ، فأخذ فيها من غير نظر فأول ما قال في هذا الحديث خمس و عشرون فرقة فسردها ، ثم تكلم على أخذها من الحديث و ترجيح ما رجح كأنه يمليها من كتاب ، فلما رأى السلطان أبو عنان المريني عظيم فقهه وسعة إطلاعه ، أقبل على الطاعنين قائلا: هذا الذي تشيرون بقصوره في الفقه[2]. وكان الشيخ موسى العبدوسي (ت 776هـ 1374م) كبير فقهاء فاس يبحث عما يصدر عن أبي عبد الله الشريف من تقييد أو فتوى فيقيده عنده وكان لسان الدين الخطيب (776هـ/1374م) كلما ألف تأليفا بعث به إليه وعرض عليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه[3].

وفي عهد الشريف التلمساني كثرت المراسلات والمناظرات العلمية في شتى العلوم والفنون ، فقد وردت على الشريف التلمساني مراسلات من مختلف الأقطار والأمصار متضمنة لمسائل وإشكالات في شتى الميادين العقائدية والفقهية والأصولية والفلسفية ، فكان يجيب عنها مما يدل على مكانته العلمية المتميزة بين فقهاء وعلماء عصره خلال هذه الفترة[4].

و- مناظرة العقباني للقباب: لقد كان من مظاهر اتساع وتنوع النشاط والحياة الفكرية في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، إنعقاد جملة من المناظرات العلمية والفكرية بين كبار الشيوخ والعلماء في بلاد المغرب الإسلامي ، وقد شارك عدد من علماء المغرب الأوسط في هذا النقاش العلمي خاصة في المجال

[1]- الشريف التلمساني ، المصدر السابق ، ص 69 ، و أيضا : نيل الإبتهاج ، ص ص 435 - 436 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 70 ، وأيضا : نيل الإبتهاج ، ص437.

[3]- محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، ص 171.

[4]- الشريف التلمساني ، المصدر نفسه ، ص ص 37 - 38 .

العقائدي المرتبط بالفتوى ، بالإضافة إلى بعض المسائل والإشكالات التي تطلبت من العلماء والشيوخ إبداء الرأي فيها ، وقد كان نصيب علماء المغرب الأوسط في هذه المسائل على قدر كبير من الأهمية والتنوع ، فهناك من أشار إلى أنه من بين الشخصيات العلمية التي زارت مدينة تازى الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله ابن إبراهيم الأبلي التلمساني (ت757 هـ/1356م). حيث إلتقى في هذه المدينة بالشيخ ابن بري* و أبي عبد الله الترجالي وجرت بينهما مساجلات أدبية[1]، غير أن المناظرة الشهيرة التي وقعت بين الشيخ العقباني (811 هـ/1408م) والإمام القباب (ت778 هـ/1376م) هي التي حضيت باهتمام كبير وبالغ من لدن المؤلفين وكبار المشايخ والعلماء نظرا للسمعة العلمية الكبيرة والرسوخ في العلم التي حصل عليها هذان العالمان ، وهي المناظرة التي تضمنت الإجابة على مجموعة من المسائل ، مثل مسألة تجار أهل البز مع الحاكة بمدينة سلا المحروسة والتي وقع فيها الكلام عليها بين الإمامين المذكورين. هذه المسائل وغيرها جمعها العقباني في مؤلف وسماه لب اللباب في مناظرة القباب[2].

أما في مجال الإفتاء ، فيظهر أن علماء وفقهاء المغرب الأوسط كان لهم شأن كبير في هذا المجال ، حيث نشط عدد كبير من هؤلاء العلماء الحياة الدينية والفقهية ، ليس فقط في بلاد المغرب الأقصى وإنما في كامل بلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس ، وقد تضمنت موسوعة كتاب المعيار المعرب للونشريسي (ت 914هـ/1508م) عددا كبيرا من فتاوي فقهاء ورجال الدين للمغرب الأوسط وقد نشط هذا الأمر إبنا الإمام ، أبو زيد عبد الرحمان (ت743هـ/1342م) وأبو موسى عيسى (ت749هـ/1348م) والشيخ العلامة الآبلي (ت757هـ/1356م) والمقري (ت 759هـ/1359م) والشريف التلمساني (ت771هـ/1369م) والإمام العقباني (ت 811هـ/1408م) .

– بيوتات العلم التلمسانية والبجائية في المغرب الأقصى و دورهما الثقافي و العلمي :

إن الفضل في الإشعاع الثقافي التي شهدته بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م بقدر ما يرجع الفضل فيه إلى جهود علماء المغرب الأوسط ومساهمتهم ، فإنه من جانب آخر لا يمكن أن نهمل

---

*– ابن بري : أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن التازي الشهير بابن بري ، أحد المهرة في العلوم العربية ، و القراءات ، و كان كاتبا بليغا لغويا عروضيا متفننا في كثير من العلوم ، و له خط بارع و نظم جيد ، و هو صاحب الدرر اللوامع في قراءة نافع ، توفي في 731 هـ/1331 م أنظر ترجمته في : عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، ج1 ، ص 209 .

[1]– محمد بن أحمد الأمراني ، مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية والفقهية ، دعوة الحق العدد 286 ، سبتمبر، أكتوبر نوفمبر 1991 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية ، ص ص 119– 120.

[2]– أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج5 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ودار الغرب الإسلامي 1981، ص 297 .

الدور الكبير والهام الذي قامت به البيوتات العلمية من مدينتي تلمسان وبجاية خلال فترة تواجدها في المغرب الأقصى خلال الفترة المذكورة ، وقد نوهت المصادر التاريخية بالدور والمساهمة العلمية والثقافية لهذه البيوتات العلمية ، وفيما يلي أهم هذه البيوتات:

أ- **بيت ابن الدراج التلمساني في سبتة** : لقد كانت مدينة سبتة من مدن المغرب الأقصى التي جلبت إليها أنضار علماء ومشايخ بلاد المغرب الأوسط ، حيث انتقل إليها وأقام فيها عدد من العلماء ، كان من أبرزهم علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير*(ت 676هـ/1277م) والذي نفع الله به أهل سبتة وغيرهم[1]، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الكتامي (ت697هـ /1298م) والذي ذكره صاحب كتاب الذيل والتكملة – ابن عبد الملك المراكشي- وقال عنه : بأنه لقيه بسبتة وحاضره كثيرا وشاهد من ذكائه وفطنته ما يثير العجب[2]، وكذلك عبد العزيز بن إبراهيم الهواري (ت701هـ/1301م) والذي أخذ عنه كثير من شيوخ سبتة وطلبتها[3]، بالإضافة كذلك إلى الشاعر ابن خميس (ت 708هـ/1308م) والذي تصدى هو الآخر للإقراء والتدريس بهذه المدينة[4].

إن مدينة سبتة خلال الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، كانت تزخر بعديد من بيوتات العلم مثل بيت بني عزفة وبيت الشرفاء الحسينيين وبيت بني عبد المؤمن الحضرمي ، وإلى جانب هذه البيوتات كان هناك بيت علمي وهو بيت بني الدراج ، وأصل هذا البيت من تلمسان ، وقد اقتصر أبناء هذا البيت على خدمة العلم ، فلم يتلبسوا بشيء من الخدمة الرسمية[5]، وقد اشتهر من هذا البيت محمد بن أحمد بن عمر ابن الدراج الأنصاري ، والذي أشار إليه صاحب كتاب اختصار الأخبار عندما عرج على ذكر من دفن بمقبرة المنارة في سبتة[6] ، وابن الدراج هذا كان من كبار فقهاء المذهب المالكي ، أصله من تلمسان ونشأ بسبتة تحت كفالة أميرها أبو القاسم محمد بن أحمد العزفي (607-677هـ/1211-1279م) ، ثم انتقل إلى

---

*- علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير(ت 696هـ/1277م) من أهل تلمسان ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الخضار ، من أهل تلمسان كان رحمه الله معتمدا في تجويد القرآن ذاكرا بخلاف الأئمة ، متصرفا في ذلك متقدما فيه ناصحا في التعليم ، أقرأ بسبتة إلى غاية وفاته ، أنظر ترجمته في: الذيل والتكملة ، السفر الثامن ، القسم الأول ، ص 558.

[1]- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ، السفر الثامن، القسم الأول، ص 558.

[2]- نفسه ، ص 558 .

[3]- عبد الله المرابط الترغي ، المرجع السابق ، ص ص 609- 610.

[4]- مجموعة من المؤلفين، معجم مشاهير المغاربة ، ص 169 .

[5]- عبد السلام شاقور ، من بيوتات سبتة في القرن الثامن ، دعوة الحق ، العد 286 ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر 1991، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية ، ص ص 104،105.

[6]- ابن القاسم الأنصاري ، المصدر السابق ، ص 19.

فاس فأتم دراسته على أعلام مشيختها ودرس بها[1] ، ثم شد الرحال إلى مدينة سلا ليتولى القضاء فيها ، و قد كان لابن الدراج رأي عندما اختلف فقهاء سبتة وفاس في مسألة تقديم القاضي على المحجورين بين قاضي سبتة الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي (ت749 هـ/1348م) وقاضي فاس أبو حامد بن أبي العباس أحمد بن قاسم الفهري المعروف بابن البقال ، و قد استحسن الفقهاء و رجال الدين في المغرب الأقصى رأي ابن الدراج التلمساني[2].

ب- بيت الونشريسي: أصل هذا البيت العلمي من قبيلة توجين بالمغرب الأوسط ، ارتحل جدهم عطية من توجين بالمغرب الأوسط واستقر ببلاد المغرب الأقصى في كنف الدولة المرينية على عهد السلطان أبي يعقوب يوسف (685-706هـ/1286-1306م) وسكن بحوز مكناسة[3]، وكان أفراد هذا البيت من الفقهاء حيث اشتهر منهم :

1- سليمان الونشريسي (ت 705هـ/1305م) وهو الإمام المقريء بمدينة فاس بجامع الأندلس أخذ الفقه عن القاضي إبراهيم اليزناسي* وقرأ عليه الأستاذ أبو عبد الله الرندي كتاب الجلاب[4] وقد شغل سليمان الونشريسي كرسي الإقراء في جامع الأندلس ، وهو منصب كان مخصصا لكبار الأساتذة والشيوخ الذين كانوا يدرسون أمهات المصنفات في مختلف العلوم والفنون ، ومما يدل على أهمية هذا المنصب هو أن صاحب كرسي الإقراء يتم تسميته من قبل السلطان المريني شخصيا ، وكان كرسي سليمان الونشريسي يقوم على التفريغ والمدونة[5].

---

[1]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 75.

[2]- الونشريسي ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 462

[3]- ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص ص 366 -367 ، وأيضا : معجم أعلام الجزائر ، ص ص 244- 245.

*- إبراهيم اليزناسي ، هو إبراهيم بن عبد الله بن أبي زيد بن أبي الخير اليزناسي الفقيه العالم الصالح أعيان تلامذة الشيخ أبي الحسن الصغير، كان مفتيا بفاس، كان حيا بعد 740هـ/1339م ، أنظر ترجمته في : جذوة الإقتباس ، القسم الأول ، ص 86 .

[4]- ابن القاضي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 515- 516 ، وأيضا : نيل الإبتهاج ، ص ص 183- 184.

[5]- يوسف الكتاني ، ظاهرة الكراسي العلمية ، دعوة الحق ، العدد 244 ، يناير 1985، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب ص ص 102، 103.

2-الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي (ت790 هـ/1388م) : كان فقيها عدلا من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه ، من ذوي السذاجة والفضل، يقرض الشعر[1] وكان من عدول مكناسة المبرزين ومدرسي جامعها الأعظم ، أخذ عنه خاتمة محدثي المغرب أبي البركات بن الحاج البلفيقي (ت 773هـ/1371م)، تولى قضاء مكناسة وسلا[2] ، كما تولى مهمة التدريس في المدرسة التي بناها أبو يوسف المريني (685-706هـ/1286-1306م) في قصبة مكناسة والتي تعرف بمدرسة الشهود ، ويقال لها كذلك مدرسة القاضي أبو علي الحسن بن عطية الونشريسي[3] وقد وقعت له قضية مع عدول مكناسة ذلك أن السلطان أبا عنان المريني (748-759هـ/1348-1358م) أمر بالإختصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة كتب فيهم إسم الشيخ الحسن بن عطية الونشريسي ، فشق ذلك على بعض شيوخ العدول المؤخرين لحداثة سنه ، فلما علم تشنيعهم صنح رجزا ورفعه إلى مقام السلطان ، ومنه هذه الأبيات :

نبدأ أولا بحمد الله ونستعينه على الدواهي
ثم نوالي بالصلاة والسلام على النبي دونه كل الأنام
خليفة الله أبا عنان لا زال في خير مع الأمان
عبدكم نجل العطية الحسن قد قيل لا يشهد إلا أن يسن
وهو في أمركم المعهود من جملة العشرة الشهود
نص عليه أمركم تعيينا وسنه قارب أربعين
على الفرائض له أرجوزة أبرز في نظامها إبريزة

ويقال أنه لما وصلت هذه القصيدة للسلطان أقره على ذلك[4].

واشتهر كذلك من هذا البيت العلمي مشايخ وعلماء أجلاء منهم عثمان بن عطية ، ويونس بن عطية الونشريسي وهو أحد أساتذة لسان الدين بن الخطيب (776هـ/1374م) الذين لقيهم بمدينة مكناسة ، وكانت له عناية بفروع الفقه وولي القضاء بقصر كتامة ، والفقيه المدرس الأستاذ في فن العربية أبو علي عمر بن عثمان الونشريسي[5].

---

[1]- التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 158.

[2]- ابن الأحمر ، نثير الجمان ، ص 368 ، وأيضا : الإتحاف ، ج3 ، ص ص 10-11.

[3]- ابن غازي المكناسي ، المصدر السابق ، ص ص 87-88.

[4]- التمبكتي ، المصدر السابق ، ص 160، وأيضا : نفح الطيب ، ج5 ، ص ص 253- 254 ، الروض الهتون ، ص 92.

[5]- المقري ، نفح الطيب ،ج5 ، ص351.

ج- بيت بني الزواوي : وهم أصهار ابن الحاج القاضي ، وبيتهم من البربر من قبيلة زواوة الذين هم بحوزة مدينة بجاية ، وهم بيت فقه وتعليم للقرآن وكتابه ، واشتهر من هذا البيت الفقيه الكاتب محمد بن علي الزواوي[1] والذي نعته ابن خلدون بإمام المقربين بالمغرب[2]، ارتحل لطلب العلم حيث نزل مدينة فاس وتفقه فيها على مشيختها وكان إماما في القراءات لا يجارى وله صوت من مزامير آل داوود ، وكان من حسن صوته يصلي بسلطان وقته[3].

صناعة التأليف:

[1]- ابن الأحمر ، بيوتات فاس الكبرى ، ص 10.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج7 ، ص 513.

[3]- ابن القاضي ، المصدر السابق ، ج1، ص 122، وأيضا : نيل الابتهاج ، ص 92 ، معجم أعلام الجزائر، ص 161.

إن دور ومساهمة علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي والعلمي الذي عرفته بلاد المغرب الأقصى لم يكن مقتصرا على الإقراء والتدريس فحسب ، بل يرجع هذا الأمر كذلك إلى المصنفات والمؤلفات المختلفة التي وضعها علماء المغرب الأوسط في شتى العلوم النقلية والعقلية ، ذلك أن القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، تميز بوفرة الإنتاج في التاريخ والسياسة و الأدب و الدين و المنطق ... وتفوقه إذا قسناه بالفترة التي سبقتها أو التي تلتها[1]، وبالتالي فإن هذه المصنفات ساهمت بلا شك في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأقصى خاصة ، وذلك نتيجة رحلة عدد كبير من علماء المغرب الأوسط واستقرارهم في مدنه مثل فاس و مراكش وتازة وسبتة ، حتى أنه أصبح من علماء المغرب الأوسط من يعرف بالفاسي أو المكناسي ، ومما يدل على ذلك هو أن الخزائن العلمية بالمغرب الأقصى لا تزال تحتفظ بعدد من أصول المخطوطات الأصلية أو بعض النسخ للمؤلفات والمصنفات التي وضعها علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

وما تجدر الإشارة إليه ، وهو أن المصنفات التي وصلتنا أخبارها منها ما هو موجود ، ومنها ما فقد لعدة أسباب ، لذا سنقتصر على ذكر أهم المصنفات التي وضعها علماء المغرب الأوسط والتي كان لها الأثر الواضح في تبلور الحركة الثقافية والفكرية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م والتي كانت نبراسا لكثير من طلبة وشيوخ بلاد المغرب ، ومن أشهر المؤلفين الذين وضعوا مصنفات هامة نذكر منهم :

أ- **مؤلفات المقري** (ت759هـ/1359م) : لقد أسهم أبو عبد الله المقري في إثراء المكتبة الإسلامية بعطاء هام ، إذ كانت له آثار نافعة ، وقف عندها حفيده بقوله : التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام[2] ، ومن المعلوم أن المقري شارك في مختلف العلوم الإسلامية تأليفا وتدريسا ، لذا كانت مؤلفاته متنوعة لا تنحصر في تخصص معين[3] ، حيث ألف في التفسير والفقه والأصول والنحو والأدب والمنطق ومن أبرز كتبه القواعد الذي اشتمل على ألف ومائتي قاعدة ،قال الونشريسي(ت

[1]- عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص 135.

[2]- المقري ، أزهار الرياض ، ج1، ص4.

[3]- أبي عبد الله محمد المقري ، القواعد ، تحقيق ودراسة أحمد بن عبد الله بن حميد ، الجزء الأول ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، السعودية ، ص 72.

914هـ/1508م) في حقه ، إنه كتاب غزير العلم ، كثير الفوائد ، لم يسبق إلى مثله[1] ، وكتاب المحاضرات الذي يشتمل على إفادات ذات مواضيع متنوعة في مختلف الفنون ، والكثير منها منقول عن بعض العلماء ، وتظهر أهمية الكتاب في أنه يزود قارئه بثقافة عامة ويؤهله للمناظرات والمحاضرات وإثراء المجالس بما يفيد ويجدي وقد وقف حفيده المقري على نسختين منه في المغرب[2] ، وكتاب الطرف و التحف و هو في غاية الحسن قال عنه الونشريسي ، رأيت منه العجب العجاب و كتاب شرح جمل الخونجي وحاشيته بديعة جدا على مختصر ابن الحاجب الفقهي ، فيها أبحاث وتدقيقات لا توجد في غيرها ، ومن أشهر كتبه في التصوف الحقائق والرقائق[3] ، وهو من الحسن بمكان لا يلحق وقد شرحه الشيخ الصالح سيدي أحمد زروق المكناسي*.

ب- مؤلفات الشريف التلمساني (ت771هـ/1370م) : لقد حضي الشريف التلمساني بمكانة متميزة بين علماء وكبار مشايخ عصره، وقد ذكره مؤلفي كتب التراجم والطبقات بأوصاف عديدة تدل على رجاحة عقله وسعة إطلاعه وتفقهه الكبير، حيث تذكر هذه المصنفات أنه كان نسيج وحده وفريد عصره في كل طريقة ، انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب وضربت إليه إباط الإبل شرقا وغربا بالإضافة إلى كونه إماما محققا نظارا[4] ، وقال ابن عرفة (ت 803هـ/1400م) في حقه أن غايته في العلم لا تدرك ، ولما ذكر له موته قال: لقد ماتت بموته العلوم العقلية[5]، أما في مجال التأليف فلم يصلنا عن أبي عبد الله الشريف رغم غزارة علمه وسعة إطلاعه من خبر تأليفه سوى القليل نظرا لشدة عنايته بالإقراء والتدريس ، ولكن بالرغم من ذلك فإن ما ألفه من كتب جمعت بين المنقول والمعقول وفتاوى علمية أحيت ذكره ، وخلدت اسمه وأكدت عظمة شخصيته العلمية[6]، ويأتي في طليعة كتب الشريف التلمساني المهمة كتاب :

---

[1]- المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص 284.

[2]- نفسه ، ص 285.

[3]- المصدر نفسه ، ص 310 ، وأيضا : معجم أعلام الجزائر ، ص ص 312- 313.

*- أحمد زروق (804-870هـ/1401-1465م) هو أحمد بن سعيد المكناسي الفقيه الخطيب جامع القرويين بمدينة فاس ، وكان يقرئ بالمدرسة المتوكلية ، أنظر ترجمته في : جذوة الإقتباس ، ج1، ص 128.

[4]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ص 166-167.

[5]- نفسه ، ص 170.

[6]- الشريف التلمساني ، المصدر السابق ، ص 117.

مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، الذي انتفع به عدد كبير من طلبة ومشايخ بلاد المغرب الإسلامي ، وألف كذلك شرح جمل الخونجي* و هو من أجمل كتب الفن انتفع به العلماء و الطلبة كثيرا ، وأكبو على قراءته وتدبره ونسخه في معظم مناطق بلاد المغرب الإسلامي[1].

ج- مؤلفات ابن مرزوق الخطيب : حصل ابن مرزوق الخطيب على مكانة عالية عند السلطان أبي الحسن المريني نتيجة لموهبته و نبوغه المبكر ، فقد عينه السلطان خطيبا بجامع العباد ، و عندما أثبت كفاءة عالية أصبح من المقربين من السلطان حيث عينه خطيبا في مسجده ، ثم كاتبا لسره ، و أخيرا أستاذه الذي أفاده في حله و ترحاله ، و أبرم باسم مخدومه معاهدة صلح مع ملك قشتالة[2].

لقد كتب ابن مرزوق الخطيب مؤلفات عدة ، كان من بينها إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب و كتاب شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي ، و من بين الكتب المهمة التي ألفها جنى الجنتين في شرف الليلتين ، و هو كتاب برهن فيه مؤلفه عن ثقافته الواسعة و عن قدرته على المناظرة و الغوص في علمي الأصول و الفروع و لا غرابة في ذلك فابن مرزوق كان له علم في هذا الميدان ، و خلاصة ذلك أن المؤلف عقد مقارنة بين ليلة القدر و ليلة المولد النبوي للمفاضلة بينهما ، فانطلق بعيدا يحلق في أجواء فسيحة بحثا عن الحجج و الأدلة لتدعيم موقفه و تعزيز رأيه ، و الواقع أن الأمر يتعلق ببحث طريق جديد في منهجه ، أصيل في بابه فريد من نوعه ، لم يسبق لأحد على ما في علمنا ، أن عالجه بمثل هذا الأسلوب ، فكان موضوعا من مواضيع الاجتهاد لا من مواضيع النقل[3].

بالرغم من أن الظروف السياسية لم تساعد ابن مرزوق كثيرا بل خانته في أحيان أخرى ، حيث دخل السجن في زمن السلطان أبو عنان المريني ، و اضطر إلى الارتحال إلى تونس ، على أن لنا في هذه

---

*- الخونجي (ت 646هـ/1248م) هو محمد بن نامارو بن عبد الملك الخوخي ، أبو عبد الله ، أفضل الدين ، عالم بالحكمة والمنطق ، فارسي الأصل انتقل إلى مصر وولي قضاءها له كتاب "كشف الأسرار عن غوامض الأفتار" و"الجمل" أنظر ترجمته في : الأعلام ، ج7 ، ص 122.

[1]- نفسه ، ص 120، وأيضا : البستان ، ص 173.

[2]- ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص 24 .

[3]- محمد ابن شقرون ، من مظاهر وحدة الثقافة بين دول المغرب العربي ، الخطيب ابن مرزوق ، مجلة المناهل ، العدد الأول ، السنة الأولى ، نوفمبر 1974، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ، المغرب ، ص 133 .

الشخصية جانبا مشرقا حافلا بالأعمال و المواقف الخالدة من خلال المصنفات التي تركها و التي لا تزال ماثلة إلى العيان تشهد لصاحبها بجهوده الجبارة في خدمة الثقافة الإسلامية و شؤون الفكر ، ذلك أنه رغم التقلبات التي عرفها ، و رغم التنقلات التي قام بها داخل المغرب و خارجه ، فإن مؤلفاته الأدبية و العلمية تدل على طول باعه ، و سعة اطلاعه ، و كبير إلمامه بشؤون الثقافة العربية و تاريخ الإسلام فهو فقيه في الأصول و الفروع ، و عمدة في الحكام .

و مهما يكن من أمر فإن ابن مرزوق برهن بأسلوبه العلمي عن اطلاع واسع و دقيق ، و أبان عن قدرة عجيبة على استنباط الأحكام و الاستدلال بالحجج الموضوعية ، فكتاب جنى الجنتين يحوي من الأحاديث و الأحكام الفقهية و الأخبار و السير و النوادر و الطرائق و علم الكلام و أيام العرب و العجم و شؤون الخلاف بين المذاهب الفقهية ، ما يجعلك تطمئن إلى ثقافته الواسعة و المتنوعة .

إن ابن مرزوق من أعظم الشخصيات المغربية التي ربطت بين دول المغرب الإسلامي بل حتى المشرق برباط ثقافي متين ، بتأثيرها في هذه الدول و بتأثرها بها إلى حد تفاوتت درجاته حسب الظروف ، فهو نموذج من نماذج الهوية المغربية في حقبة معينة من تاريخها ، أخذ من هذه البيئة و أعطاها و اتصل بعلمائها و فقهائها فأفادهم و استفاد منهم[1].

[1]- محمد ابن شقرون ، المرجع السابق ، ص 140 ، أنظر كذلك : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المسلسلات ، إعتناء إحسان عباس ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية 1982 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص ص 521 -522 .

د- **مؤلفات ابن قنفذ** (ت809هـ/1406م): من المعروف أن ابن قنفذ مكث في بلاد المغرب ثمانية عشرة سنة ، زار خلالها مدن عديدة مثل مراكش وسلا ، وتولى قضاء دكالة سنة 769هـ/1367م وخلال هذه الإقامة الطويلة كان له نشاط علمي بارز ، حيث حصل على علوم كثيرة واعتنى بلقاء الصالحين و أهل العلم ، وألتف حوله طلبة العلم[1].

لقد اعتنى ابن قنفذ بالتأليف ، حيث يظهر ذلك من خلال مجموعة المؤلفات التي كتبها في علوم مختلفة ومن هذه المؤلفات: شرح الرسالة في أربعة أسفار سماه "تقريب الدلالة في شرح الرسالة" وشرح الخوخي في جزء صغير سماه "تلخيص العمل في شرح الجمل" في المنطق، وشرح تلخيص ابن البناء العددي سماه "حط النقاب عن وجوه الحساب"[2]، وكتاب "تسهيل الطالب في تعديل الكواكب" قال في وصفه لم يهتدي أحد إلى مثله من المتقدمين[3] ، وقد اقتصرنا على هذه المؤلفات لفائدتها العلمية خاصة في ميدان الحساب والمنطق والفلك.

هـ- مؤلفات سعيد العقباني: (ت 811هـ/1408م) يعتبر العقباني من أكابر فقهاء المالكية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، انتقل بين مدنه وحواضره العلمية والثقافية مثل بجاية و تلمسان و فاس ، لذا كان يعتبر أحد أقطاب العلاقات العلمية الوثيقة بين المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي ، وكان من بين العلماء الذين ساعدوا على تنقل الأفكار بين مختلف مناطق بلاد المغرب ، وبصفة خاصة بين كبريات مدنه ، وهذا بالرغم من الوضع السياسي المضطرب آنذاك[4].

يعتبر سعيد العقباني من بين الرياضيين الذين ألفوا بعض الكتب في الحساب في القرن 8هـ/14م حيث كتب "شرح تلخيص أعمال الحساب" لابن البناء (ت721هـ/1321م) ، الذي يعتبر زيادة على مضمونه الرياضي المحض ، وسيلة لدراسة تاريخ الرياضيات في بلاد المغرب الإسلامي ، ومن آثاره

[1]- عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 268.

[2]- العباس ابن إبراهيم السملالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 224- 225

[3]- عادل نويهض ، المرجع نفسه ، ص 269.

[4]- يوسف قرقور ، العالم الرياضي السعيد العقباني التلمساني (ت 811هـ/1408م) مجلة الوعي العدد 3 و4 أفريل وماي2011 ، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 86.

كذلك "شرح الحوفية" في الفرائض على مذهب الإمام مالك ، وكتاب "شرح أرجوزة ابن الياسمين"* في الجبر والمقابلة[1].

إن المؤلفات والمصنفات التي وضعها علماء المغرب الأوسط خلال القرنين7 و8هـ/13و14م ساهمت بلا شك في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية ليس في بلاد الغرب الأقصى فحسب وإنما في معظم جهات بلاد المغرب الإسلامي ، وعليه فإن هناك مؤلفات عديدة في مختلف العلوم النقلية والعقلية لعلماء المغرب الأوسط كان لها الأثر الواضح في نهضة العلوم و الثقافة خلال هذه الفترة ، وكانت مرجعا مهما للطلبة و العلماء لا تزال تحتفظ بها خزائن الكتب في المغرب الأقصى ، و قد حاولنا في هذه الدراسة أن نتطرق إلى المؤلفات و المصنفات التي وضعها علماء المغرب الأوسط الذين ارتحلوا إلى المغرب الأقصى لأن هناك مؤلفات أخرى لا تقل أهمية عن تلك التي ذكرناها و التي تم تأليفها من طرف علماء المغرب الأوسط الذين استقروا في بجاية أو تلمسان ، دون أن ننسى بعض المؤلفات التي كتبها علماء و مشايخ المغرب الأوسط الذين ارتحلوا إلى بلاد المشرق و استقروا هناك ، ذلك أن هذه المصنفات كانت بلا شك متداولة في أرجاء البلاد الإسلامية وقتئذ ، و لعل هذا ما يبرز جانبا من تاريخنا الثقافي خلال الفترة المذكورة من جهة ، و من جهة أخرى مد جسور التواصل بين بلاد المغرب و المشرق الإسلاميين والذي كان فيه نصيب لعلماء المغرب الأوسط حظ فيه.

*- ابن الياسمين (ت 601هـ/1204م) هو عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين، الفقيه الحاسب ، في أهل فاس ، بربري الأصل من بني حجاج أهل قلعة فندلاوة ، أخذ عن أبي عبد الله بن قاسم علم الحساب و العدد ، له أرجوزة في الجبر ، توفي ذبيحا بمراكش ، أنظر : ابن أبي زرع الفاسي الذخيرة السنية ، ص39.

[1]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 106، وأيضا : معجم أعلام الجزائر ، ص ص 237- 238 .

خاتمة

إن دور ومساهمة علماء المغرب الأوسط في الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م تعتبر من الأهمية بمكان ، نظرا لدور هؤلاء العلماء في تمتين الروابط الثقافية بين المغربين من جهة، ومن جهة ثانية إثراء وتنشيط الحركة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة ، والتي ستكون نتائجها وانعكاساتها واضحة المعالم خلال القرن التاسع الهجري ، والفضل في ذلك يرجع بالأساس للفترة السابقة موضوع هذه الدراسة.

إن الصلات الفكرية والثقافية بين بلاد المغرب الأوسط والمغرب الأقصى لم تتعرض إلى هزات عنيفة كتلك التي شهدتها الحياة السياسية ، وأقصد هنا تلك الحروب العديدة بين بني عبد الواد في المغرب الأوسط وبني مرين في المغرب الأقصى ، بل على العكس من ذلك ، فإن أحد الاعتبارات التي زادت في تعميق العلاقات الثقافية بين المغربين كانت تلك التطورات السياسية، حيث كان في كل مرة يتمكن سلاطين بنو مرين من بسط سيطرتهم على المغرب الأوسط وخاصة حاضرته مدينة تلمسان، كانوا ينظرون بعين الاحترام و التقدير إلى علماء المنطقة ولا يدخرون جهدا في البحث عنهم وتقريبهم من البلاط المريني ومجالسهم العلمية التي كانت تظم كبار الشيوخ والعلماء وقتئذ ، والذين كان من ضمنهم عدد كبير من علماء المغرب الأوسط خاصة في عهد السلطان أبي الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م) وخليفته أبا عنان (749-759هـ/1348-1358م).

إن التواصل الثقافي والعلمي بين المغربين الأوسط والأقصى لم يقتصر فقط على توافد وارتحال علماء المغرب الأوسط إلى بلاد المغرب الأقصى ، بل هناك من علماء المغرب الأقصى من شد هو الآخر الرحال نحو بلاد المغرب الأوسط لزيادة تحصيلهم العلمي ، مما ساهم في تعزيز الصلات الثقافية وزيادة الاحتكاك بين علمائه ، و مد جسور التواصل الثقافي الذي سينعكس بلا شك في ازدهار الحياة الثقافية و الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة ، وفي هذا الصدد فإن المؤلفات والمصنفات التاريخية تبين أنه تشكلت مجموعة من الفقهاء في المراكز الثقافية في بلاد المغرب خلال هذه الفترة، فبدأنا نسمع عن فقهاء فاس وفقهاء تلمسان وفقهاء بجاية... وبالتالي كان هناك حوار ثقافي وعلمي بين هؤلاء الفقهاء وكانت هناك مراسلات علمية تتم بين مدينة وأخرى ، وقد شارك في هذه المراسلات والمناظرات الفقهية والعلمية علماء من بلاد المغرب والأندلس ، مما يدل على درجة التأثير والتأثر الحاصل في المنطقة ككل.

إن الموقع الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط جعلها ملتقى التيارات الفكرية والثقافية ، وبالتالي كانت استفادة مدنه خاصة مدينتي تلمسان وبجاية كبيرة وعظيمة، وهذه الاستفادة هي التي نقلها علماء المغرب الأوسط إلى بلاد المغرب الأقصى ، وهذا الأمر هو الذي جعل مدينتي بجاية وتلمسان مقصد الطلاب وكبار شيوخ

بلاد المغرب الإسلامي ، مما يبرز جانبا كبيرا من الدور الذي اضطلع به علماء ومشايخ المغرب الأوسط خلال القرنين 7و8هـ/13و14م .

إن ارتحال علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى بقدر ما ساهم في زيادة الإشعاع الثقافي والعلمي وتنشيط الحياة الثقافية ، بقدر ما ساهم كذلك في زيادة التحصيل العلمي لعلماء المغرب الأوسط الذين توافدوا على المغرب الأقصى وذلك في إطار ما يسمى بالرحلة في طلب العلم ، ومما يلاحظ في هذا الصدد أن علماء المغرب الأوسط لم يقتصر نشاطهم على الإقراء والتدريس وتولي القضاء ، وإنما هناك بعض من هؤلاء العلماء مثل الآبلي والمقري أبديا بعض الملاحظات حول طريقة التعليم ومؤسساته ووجها في هذا الخصوص انتقادات للمؤسسات التعليمية الرسمية التي أنشئت خلال هذه الفترة ، هذه الآراء والانتقادات ساهمت إلى حد ما في بلورة اتجاه جديد في الحقل الثقافي لم يكن لبلاد المغرب الإسلامي عهد به ، و هو الأمر الذي دفع بابن خلدون (ت 808هـ/1406م) فيما بعد إلى أن يفرد فصولا في مقدمة كتابه العبر يشخص فيه حال التعليم و يقترح المنهجية المناسبة للمعلم و المتعلم .

إن القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، هو بالنسبة لبلاد المغرب الفترة التي شهدت إنتاج غزير ومتنوع عبرت عنه المصنفات والمؤلفات التي وضعت في هذه الفترة ، ولم يكن يحدث هذا الأمر لولا العناية الكبيرة والفائقة التي حرص على رعايتها سلاطين بنو عبد الواد في تلمسان وبنو مرين في فاس وهي الرعاية التي أثمرت في الأخير بعطاء علمي غزير شارك فيه علماء المغرب الأوسط بمصنفات ومؤلفات في الدين والتاريخ والمنطق والحساب وكانت مرجعا مهما للطلاب والشيوخ في ذلك الوقت.

ما يمكن الإشارة إليه هو أن بلاد المغرب الأوسط والأقصى عرفت خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين 13و14م زخما ثقافيا كبيرا و بالأخص القرن الثامن الهجري ، و الذي أجمع كثير من المؤرخين والكتاب الذين تناولوا هذه الفترة بالدراسة والتحليل ، على أنها تمثل مرحلة متقدمة في تطور الفكر وازدهار الحركة الثقافية و التي ساهمت في تكوينها و بلورتها نخبة من علماء المغرب الأوسط و كذلك المغرب الأقصى ، و في هذا الخضم استطاع كل طرف أن يؤثر ويتأثر بالطرف الآخر فكان ذلك عاملا مهما بالنسبة للحركة الثقافية والعلمية التي عرفت نشاطا ملحوظا ، وإنتاجا وافرا ومتنوعا ، لم يسبق أن عرفته وشهدته بلاد المغرب من قبل ، وبالنظر إلى ما شهدته بلاد المغرب بعد هذه الفترة خاصة خلال القرن 9هـ/15م يمكننا أن نقول بأن الفضل في ذلك يرجع إلى الفترة التي تناولناها بالدراسة في هذا الموضوع وهي فترة القرنين 7و8 هـ/ 13و 14م.

الملاحق

فهرس الأماكن

(أ)

- أبلة :.....65
- أزمور :..... 73
- أستجة :..... 22
- آسفي :..... 58 ، 75
- إشبيلية :..... 4، 22، 56
- أغمات :..... 60
- إفريقية :.....4،5 ، 7، 9،10،11، 12، 13، 14، 21، 92
- أكادير : .....27،30،39 ،53، 54، 57، 60، 61، 73، 82
- الأرك :.....3
- الإسكندرية :..... 56،71
- الأنـــدلس :.....3، 4، 14، 19، 20، 21،22، 23،25،55،58،59،60،65،67،68،70،72،74،82،84،87،94

(ب)

- باب الجيزين :..... 72
- بجايـــة :.....9، 10، 11، 12، 13، 26، 30، 34،35،37،38،52،53،54،57،61،62،65،68،70،74،76،77،88،92،95،99،105،106
- برشك :..... 63
- برقة :..... 3
- بني سلامة :..... 38
- بونة :.....10، 13

(ت)

- تادلا :..... 17
- تاكرارت :..... 27
- تاوريرت :..... 71
- ترني (جبل) :.....12
- تلاغ :..... 18، 19
- تلمســـان :.....5، 6، 7، 8، 9، 10،11، 12، 13، 16، 19، 20، 21، ،26،27،28،29،30،31،32،33،34،35،37،40،43،44،52،54،55،

88،85،83،82،81،79،77،76،74،73،72،70،69،68،67،66،65،64،63،62،61،60،58،57،56
106،105،96،95،

- تنس :..... 57،12
- تونس :.....10، 13، 21،50،53،54،57،60،63،67،69،70،71،76،52،85،103
- تيارت :..... 38

(ح)

- الحجاز :..... 70

(ج)

- جامع الأندلس :..... 97،46،42
- جامع الحمراء (فاس):.....43
- جامع الحمراء (غرناطة) :..... 78،65
- جامع الزهر :..... 43
- جامع سيدي أبي الحسن التنسي :..... 28
- جامع الشرفاء :..... 43
- جامع فاس الجديد :..... 45
- جامع القرويين :.....71،46،45،43،42
- الجامع الكبير بتازة :..... 44
- جامع الكتيبة (مراكش) :..... 44
- جامع الموحدين :..... 71
- الجزائر :..... 63،32،11 ،10
- الجزيرة الخضراء :.....4، 22، 23
- جليانة :..... 22

(د)

- درعة :..... 17
- دكالة :..... 105،73
- دمشق :..... 67،58

(ر)

- الرباط :.....44،17
- رباط الفتح :..... 17 ،16
- رباط تازة :..... 100،94،43،17،15

- رياح (قبائل) : 15

(ز)

- الزاب :.....5، 9، 12، 14
- زاوية أبي مدين بالعباد :..... 34
- زاوية أبي يعقوب :..... 34
- زاوية سيدي الحلوي :..... 34

(س)

-سبتة:.... .....42،21 ،43،45،50،56،57،58،59،62،67،76،77،89،95،96، 100
- السرسو :.....8، 9
- سجلماسة :.....5، 14، 15، 17، 19
- سلا :..... 43،17 ،58،71،73،74،94،96،97،105

(ش)

- شالة :..... 43
- الشام :..... 57،65،68،70
- شريش :..... 22
- شلف :..... 10،11

(ص)

- الصحراء :..... 5

(ط)

- طريف :..... 22،23،64،66،70
- طنجة :..... 3،21،43

(ع)

- العباد :..... 33،34،43،70
- العراق :..... 65
- العقاب :.....3، 14،15، 21،23
- عقبان :..... 74
- العلويين :..... 68

(غ)

- غرناطة :..... 19،22 ،40،59،60،67،70،84،90

(ف)

- فازار :..... 16
- فـــــاس :.....10، 13، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 33،40،41،43،44،45،46،47،48،50،53،55،57،58،60،61،62،65،66،67،69،70،71،72، 73،74،76،77،79،80،81،82،83،84،85،87،90،91،92،93،96،97،99،100،105
- فاس الجديد :.....43،45
- فرنسا :..... 32،33
- فكيك : 15

(ق)

- القاهرة :..... 57،65،71
- قرطبة :..... 4،23،48
- القرويين :.....40،41،50،85
- قسنطينة :..... 10، 11، 13،64
- قطيانة :..... 22
- قشتالة :..... 22،70
- القيروان :..... 20،10،48،66

(ك)

- كلوني (متحف) :..... 32

(م)

- مالقة :..... 58
- مجريط :..... 23
- مدرسة أولاد الإمام :..... 28،30
- المدرسة البوعنانية :..... 47،50 ،83،84،88،90
- المدرسة التاشفينية :..... 73
- مدرسة الحلفائيين :..... 45
- مدرسة دار المخزن : 45
- مدرسة سيدي الحلوي :..... 34
- المدرسة الشارية :..... 45
- مدرسة الشهود : 97
- مدرسة الصهريج :..... 46

- مدرسة العباد :..... 103،33
- مدرسة العطارين : ..... 88،74،46
- المدرسة المصباحية :..... 46
- المدرسة اليعقوبية :..... 32
- المدية :..... 12
- المدينة : ..... 57، 67
- مديونة :..... 15، 16
- مراكش :.....3، 5، 7، 12، 14، 17، 18، ،43،46،60،63،66،73،74،81،100،105
- المرية :..... 59
- مسجد إبراهيم المصمودي :..... 28
- مسجد أبي مدين :..... 29،33
- المسجد الأعظم (بجاية):..... 37
- المسجد الأعظم (تاكرارت):..... 27،28،34،33،32
- مسجد أولاد الإمام :..... 28
- المسجد الجامع (أكادير):..... 27
- مسجد حسان :..... 44
- مسجد سيدي الحلوي :..... 29،30
- المشرق :..... 63،67، 68، 70، 81، 82، 104، 106
- مصر :..... 56،67،68،70،71
- مكة :..... 57،65،67
مكناسة: .....،15،42،71،73،74،88،97،98
- مليانة :..... 60
- ملوية :..... 15
- المنصورة : .....8،20

(ن)

- ندرومة : 62

(و)

- وادي أم الربيع :..... 17
- وادي إيسلي :..... 7،19
- وادي سبو :..... 15

- وادي غفو :..... 18
- وانشريس :..... 9
- وجدة :..... 7
- وهران :..... 74
- وادي ملوية :..... 15، 16

فهرس الأعلام

(أ)

- إبراهيم الأبلي :..... 27 ، 29، 38 ، 47 ، 52 ، 55 ، 62 ، 65 ، 66 ، 69 ، 73 ، 74 ، 78 ، 81 ، 82 ،92،95،94
- إبراهيم بن أبي بكر التلمساني :.....58
- إبراهيم بن إسماعيل بن علان :..... 6
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام :..... 72
- إبراهيم بن عبد الرفيع :..... 70
- إبراهيم بن محمد المصمودي:..... 73،74
- إبراهيم بن موسى المصمودي :..... 38
- إبراهيم الثغري : 69
- إبراهيم اليزناسي :..... 97
- ابن أبي الربيع :..... 59
- ابن أبي زرع :..... 49
- ابن الأحمر(أبو الوليد) :..... 72
- ابن الأحمر (محمد حاكم غرناطة) :..... 19،20، 22، 23
- إبنـــــا الإمـــــام :..... 25،28
،29،30، 53، 55، 61، 62، 63، 65، 67، 68، 70، 74، 76، 79، 80، 94
- ابن بري :..... 94
- ابن بطوطة :..... 47، 50
- ابن البناء :.....37، 50، 63، 66، 74، 81، 105
- ابن تومرت :..... 44
- ابن الحاج الفاسي :..... 47، 49، 58
- ابن الحاج القاضي :..... 99
- ابن الحاجب :..... 77، 87، 101، 103
- ابن خلدون عبد الرحمن :.....14،27،
29، 33، 35، 38، 47، 48، 52، 53، 62، 64، 66، 67، 69، 76، 82، 84، 86، 99
- ابن خلدون يحي :..... 66
- ابن خميس :..... 37، 54، 55، 59، 60، 89،90، 95
- ابن الدراج :..... 58، 95، 96

- ابن دقيق العيد :..... 65
- ابن رشد :..... 49
- ابن رشيد :..... 50، 77
- ابن زمرك :.....69، 84، 86
- ابن زكري :..... 27
- ابن الشاط :..... 45
- ابن صالح الفاسي :..... 87
- ابن الصباغ المكناسي :..... 66، 82
- ابن صعد :.....73
- ابن ظفر :..... 25
- ابن عباد :..... 86
- ابن عبد الملك المراكشي :..... 49، 95
- ابن عذاري :..... 49
- ابن عرفة :..... 66، 76، 102
- ابن العطار :..... 37
- ابن غازي :..... 88
- ابن الفحام :..... 38
- ابن قنفذ : .....37، 73، 86، 105
- ابن مالك :..... 49
- ابن مرزوق الحفيد :..... 33، 68، 73، 74
- ابن مرزوق الخطيب :..... 29، 33،
34، 37، 39، 44، 66، 70، 72، 82، 86، 87، 103، 104
- ابن مريم :..... 54
- ابن منصور المغراوي :.....49
- ابن هانئ :..... 49
- ابن الياسمين :..... 74، 106
- أبو إسحاق إبراهيم :..... 57، 61
- أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي :.....28، 37، 79
- أبو إسحاق التلمساني :..... 37
- أبو إسحاق الحفصي :..... 12، 70

- أبو إسحاق الشاطبي :..... 69، 84، 86
- أبو البركات الباروني :.....66
- أبو البركات ابن الحاج البلفيقي :.....71، 97
- أبو بكر بن طلحة :.....56
- أبو بكر بن عبد الحق المريني :.....16، 17
- أبو بكر بن محيو :.....15، 19
- أبو تاشفين عبد الرحمن الأول :.....9، 13، 26، 32، 64، 65
- أبو ثابت :..... 10، 11
- أبو ثابت الزعيم :..... 32
- أبو جعفر بن الزبير :.....64
- أبو حازم الغرناطي :..... 49
- أبو حامد بن أبي العباس أحمد بن القاسم الفهري :.....96
- أبو الحسن بن الشيخ :.....50
- أبو الحسن التلمساني :..... 57
- أبو الحسن التنسي : 37
- أبو الحسن الزيات :..... 59
- أبو الحسن الصرصري :..... 42، 90
- أبو الحسن الصغير :..... 42، 57، 60، 61، 79، 92
- أبو الحسن الغافقي الشاري :..... 45
- أبو الحسن علي بن جابر :..... 59
- أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الحرالي :..... 38
- أبو الحسن علي الخزاعي :..... 72
- أبو الحسن المريني :.....9، 10، 13، 20، 21، 23، 29، 33، 39، 43، 44، 46، 50، 55، 62، 63، 64، 66، 68، 70، 79، 80، 81، 86، 103
- أبو حفص عمر المرتضى :.....7، 16، 17، 18، 19
- أبو عمارة (أحمد بن مرزوق) :.....12
- أبو حمو موسى الأول :..... 12، 25، 28، 30، 55، 63، 65، 81
- أبو حمو موسى الثاني :..... 11، 25، 28، 32، 34، 38، 69
- أبو الخطاب عمر بن دحية :..... 77
- أبو دبوس :.....5، 18

- أبو الربيع سليمان الونشريسي :..... 42، 97
- أبو زكريا السراج :.....72
- أبو زكريا السطيفي :..... 38
- أبو زكريا يحي الحفصي :..... 7، 11، 12
- أبو زيان ابن أبو يوسف يعقوب المريني :..... 21
- أبو زيان محمد الأول :..... 8
- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد :.....28، 30، 31، 37، 55، 61، 62، 63، 65، 79، 80، 94
- أبو زيد اللجائي :..... 50، 73
- أبو سالم المريني :..... 71
- أبو سعيد بن لب :..... 86
- أبو سعيد عثمان :.....6
- أبو سعيد عثمان الأول :.....8، 12، 20، 19، 28، 32، 54، 59، 72
- أبو سعيد المريني :..... 9، 13، 15، 20، 39، 45، 46
- أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصولتي :..... 46
- أبو عامر :..... 20
- أبو العباس أحمد بن أحمد المشوش :..... 62
- أبو العباس أحمد بن عمران :..... 68
- أبو العباس أحمد بن مرزوق :..... 61
- أبو العباس أحمد الزواوي :..... 39، 64، 78، 80
- أبو العباس أحمد بن أحمد المروري :..... 58
- أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي :..... 50
- أبو العباس الغبريني :..... 37، 38، 54
- أبو العباس القباب :..... 73، 87، 94
- أبو عبد الله بن الحكيم :..... 59
- أبو عبد الله ابن مرزوق : 37
- أبو عبد الله بن النجار التلمساني :..... 38، 55، 62
- أبو عبد الله الباروني :.....60
- أبو عبد الله بن شعيب الدكالي :..... 63
- أبو عبد الله بن عبد الكريم الحدودي :..... 42
- أبو عبد الله بن هدية القرشي :..... 68

- أبو عبد الله التجيبي :..... 56
- أبو عبد الله الترجالي :..... 94
- أبو عبد الله التميمي القلعي :.....37
- أبو عبد الله الرندي :..... 97
- أبو عبد الله الزواوي :..... 68
- أبو عبد الله السبتي : 59
- أبو عبد الله السلاوي :..... 32
- أبــو عبــد الله الشــريف :..... 28، 32، 37، 66، 68، 73، 77، 81، 85، 87، 90، 92، 93، 95، 102
- أبو عبد الله الشوذي الحلوي :..... 29، 34
- أبو عبد الله الغافقي :..... 45
- أبو عبد الله القيجاطي :..... 84
- أبو عبد الله القيسي :..... 69
- أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر القرطبي :.....59
- أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي الزموري :.....84
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام :..... 61، 63
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي :..... 68، 91
- أبو عبد الله محمد بن هلال :..... 62
- أبو عبد الله محمد بن يوسف :..... 68
- أبو عبد الله المستنصر :..... 12
- أبو عزة زيدان :..... 6
- أبو علي بن أحمد المليانى :..... 60
- أبو علي بن الأزرق :..... 42
- أبو علي بن الحسين :..... 68
- أبو علي ناصر الدين المشدالي :..... 53، 61، 62، 77، 92
- أبو علي الونشريسي :..... 71، 98
- أبو عمران العبدوسي :..... 49، 73، 87
- أبو عنان المريني :.....10، 11، 29، 34، 40، 42، 43، 47، 55، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 74، 78، 82، 83، 85، 86، 90، 91، 92، 93، 98 ، 103
- أبو فارس عبد العزيز الملزوزي :..... 49

- أبو القاسم السبتي :..... 73
- أبو القاسم العزفي :..... 21، 58، 67، 96
- أبو محمد خلف الله :..... 61
- أبو محمد عبد الحق بن الربيع :..... 38
- أبو محمد فضيل المقري :..... 59
- أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي :.....61
- أبو محمد عبد الله العادل :..... 4
- أبو محمد عبد الله العبدوسي :..... 88
- أبو محمد اللخمي :..... 85
- أبو مدين شعيب :.....29، 33، 34
- أبو مروان محمد بن أحمد الباجي :..... 58
- أبو موسى عمران المشدالي :..... 25، 31، 32، 62
- أبو موسى عيسى ابن الإمام :..... 28، 30، 31، 55، 61، 62، 63، 65، 76، 79، 81، 90، 94
- أبو يعقوب(والد السلطان أبو حمو موسى الأول) :..... 28، 32
- أبو يعقوب يوسف المريني :..... 8، 21
- أبو يعقوب يوسف المنصور :..... 3
- أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجزري :.....56
- أحمد بن الحسن المديوني :.....68
- أحمد بن زاغو :..... 74
- أحمد أبو العباس النقاوسي :..... 37
- أحمد بن محمد اللمطي :..... 29
- أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي :..... 64
- أحمد زروق :..... 101
- أحمد المليانى :..... 60
- الأدارسة :..... 27
- إدريس الثاني :..... 41
- الأشرف (سلطان المماليك) :..... 71

(ب)

- البخاري :..... ..... 86، 88
- بنو توجين :..... ..... 9، 71، 97

- بنو حفص :..... 7، 10، 11، 12، 13، 53، 54، 60
- بنو راشد :..... 6
- بنو زيان :..... 9،10، 28، 30، 79
- بنو عبد الواد :..... 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 19، 20، 21،23، 33، 52، 53، 54، 56، 59، 63، 72
- بنو العزفي :..... 59، 96
- بنو مرين :..... 5، 7، 9، 11، 13،14، 15،16، 17، 18، 19، 20، 21،23، 26، 33، 38، 40، 41، 45، 46، 47، 48، 49، 52، 53، 54، 55، 56، 65، 66، 67، 70، 78، 80، 91، 93
- بنو مطهر :..... 6
- بنو واسين :..... 14، 15
- بنو ومانو : 6
- بنو يزناسن :..... 12
- بنو يلومي :..... 15
- بهلولة :..... 15

(ت)

- تقي الدين ابن تيمية : 64

(ث)

- ثابت بن منديل :..... 19

(ج)

- جابر بن يوسف :..... 6
- جلال الدين القزويني :..... 64، 68

(ح)

- الحسن بن جابر بن يوسف :..... 6
- الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي :..... 97، 99
- الحسن الوزان :..... 32، 44

(خ)

- خلوف المغيلي :..... 66
- خليل بن إسحاق المالكي :.. ..... 74، 77، 88
- الخونجي :..... 101، 102، 105

(د)
- الدون نونيو دي لارا :..... 22
(ر)
- الرشيد (خليفة الموحدين) :..... ..... 4، 12
- روجي لوتورنو :..... 43
- رياح (قبائل) :..... 15
(ز)
- زناتة :..... ..... 5، 14،16
- الزناتي :..... 49
- زواوة :..... ..... 62، 99
- زيري بن حماد :..... 63
(س)
- سانشو :..... 22،23، 40، 45
- سبويه :..... 49
- السعود بن خرباش :..... 16
- سعيد العقباني :.....62، 66، 73، 74، 76، 82، 94، 95، 105
- السعيد (الخليفة الموحدي) :..... 16
(ش)
- شرف الدين الزواوي :..... 37
- الشريف الرهوني :..... 64
(ص)
- صنهاجة :..... 73
(ع)
- عائشة بنت الجيار :..... 50
- عبد الحق :..... 38، 56، 87، 103
- عبد الحق الهسكوري :..... 73
- عبد الرحمن بن الشريف :..... 69
- عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس :..... .....4، 12، 43
- عبد السلام التونسي :... ..... 27، 69، 76
- عبد العزيز بن إبراهيم الهواري :..... 95

- عبد الله بن أجروم :..... 49
- عبد الله بن الشريف :..... 69، 86، 87
- عبد الله بن القاسم المزوار :..... 46
- عبد الله المحاصي :..... 69
- عبد المؤمن بن علي الكومي :..... 3
- عبد الواحد المخلوع :..... 4
- عبد الوهاب بن علي بن نصر :..... 57
- عثمان بن جرار :..... 10
- عثمان بن عطية الونشريسي :..... 98
- عثمان بن يوسف :..... 6
- علاء الدين القوني :..... 64
- علي أبو الحسن المغربي :..... 90
- علي بن أبي طالب :..... 87
- علي بن سليمان القرطبي :..... 64
- علي بن عبد الكريم التلمساني :..... 57
- علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير : 95
- عيسى الحجي :..... 70

(ف)

- فرنسا :..... 31، 32
- فشتالة : 15
- الفونسو :..... 4
- الفونسو العاشر :..... 22

(ق)

- قاسم العقباني :..... 74
- قريش :..... 91

(ك)

- كزولة :..... 4

(ل)

- لسان الدين بن الخطيب :..... 67، 68، 69، 71، 84، 86، 90، 93، 98

(م)

- مالك (الإمام) :..... ..... 74 ، 106
- مالك بن المرحل :..... 49، 64
- المازوني :..... 72
- المأمون (الخلفة الموحدي) :..... 62
- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام : 31
- محمد بن إبراهيم الغساني :..... 56
- محمد بن أبي بكر الأنصاري :..... 38
- محمد بن أبي زرع :..... 43
- محمد بن أبي سعيد :..... 11
- محمد بن إدريس البياسي :..... 4
- محمد بن سعيد الرعيني الفاسي :..... 77
- محمد بن سليمان السطي :..... ..... 39، 69
- محمد بن الفتوح التلمساني :. ..... 74، 77، 88
- محمد بن عبد الله الأنصاري :... 59
- محمد بن عبد النور الندرومي :.... ..... 62، 78
- محمد بن علي الزواوي :..... 99
- محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم التميمي :..... 65
- محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي : ..... 67، 95
- محمد بن محمد بن علي البقال :..... 50
- محمد بن مسعود الكتامي :..... 58
- محمد بن ورزين :..... 15
- محمد بن يحي المسفر الباهلي :..... 61، 92
- محمد بن يوسف :..... 9
- محمد حسن السبتي :..... 49
- محمد السنوسي :..... 34
- محمد صلى الله عليه و سلم : ..... 58، 72، 73
- محمد المنوني :..... 47
- مديونة :..... 15
- المرابطون :..... ..... 6، 7، 44، 55
- مرين بن ورتاجن :..... 14

- مسلم (الإمام) :..... 83، 91
- مسوفة :..... 6
- مغراوة :..... 9، 10، 19
- المغرب الأدنى :..... 11 ،13
- المغرب الأقصى :.. 7، 11، 14، 15،17، 20،23،21، 25، 34، 39، 40، 41، 43، 44، 45، 48، 49، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 64، 66، 67، 69، 70، 71، 73، 76، 77، 78، 79، 81، 82، 84، 88، 89، 92، 94، 95، 96 ، 97، 100، 106
- المغرب الأوسط :.....3، 5، 7، 9، 10، 11، 12،15،13، 20، 25، 26، 27، 28، 30، 34، 35، 37، 38، 52، 53، 54، 55، 56، 59، 60، 62، 64، 70، 71، 72، 76، 77، 88، 89، 94، 95، 97، 100، 106
- المغيلي :..... 27
- منصور المشدالي :..... 68، 70
- المقري :..... 32، 47، 52، 55، 67، 82، 83، 84، 91، 92، 95، 101
- الموحدون :.. 3، 4، 5، 6، 7، 11، 14 ،15، 16، 17، 18،19، 21، 30، 44، 49، 53، 54، 55
- موسى العبدوسي :..... 73،85 ،93
- ميمون الفخار :..... 49

(ن)

- النصارى :.....3،4، 17، 21، 22،23، 40

(هـ)

- هوارة :..... 15

(و)

- الواثق (سلطان بني عبد الواد) :..... 73
- الونشريسي (عبد الواحد) :... ..... 63، 72، 84، 92، 94، 101

(ي)

- يحي بن داوود :..... 11
- يعقوب بن عبد الحق المريني :.....5، 17، 18، 19، 20، 22، 23، 25، 40، 43، 45، 63، 79، 97
- يغمراسن بن زيان :..... 6، 7، 12، 16، 17، 18، 19، 20، 22، 27، 57
- يوسف بن تاشفين :..... 27
- يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي :.. 61
- يوسف بن يعقوب المريني :.... ..... 29، 57، 58، 60

- يوسف المنتصر بالله :..... ..... 4، 15
- يونس بن عطية الونشريسي :..... 98

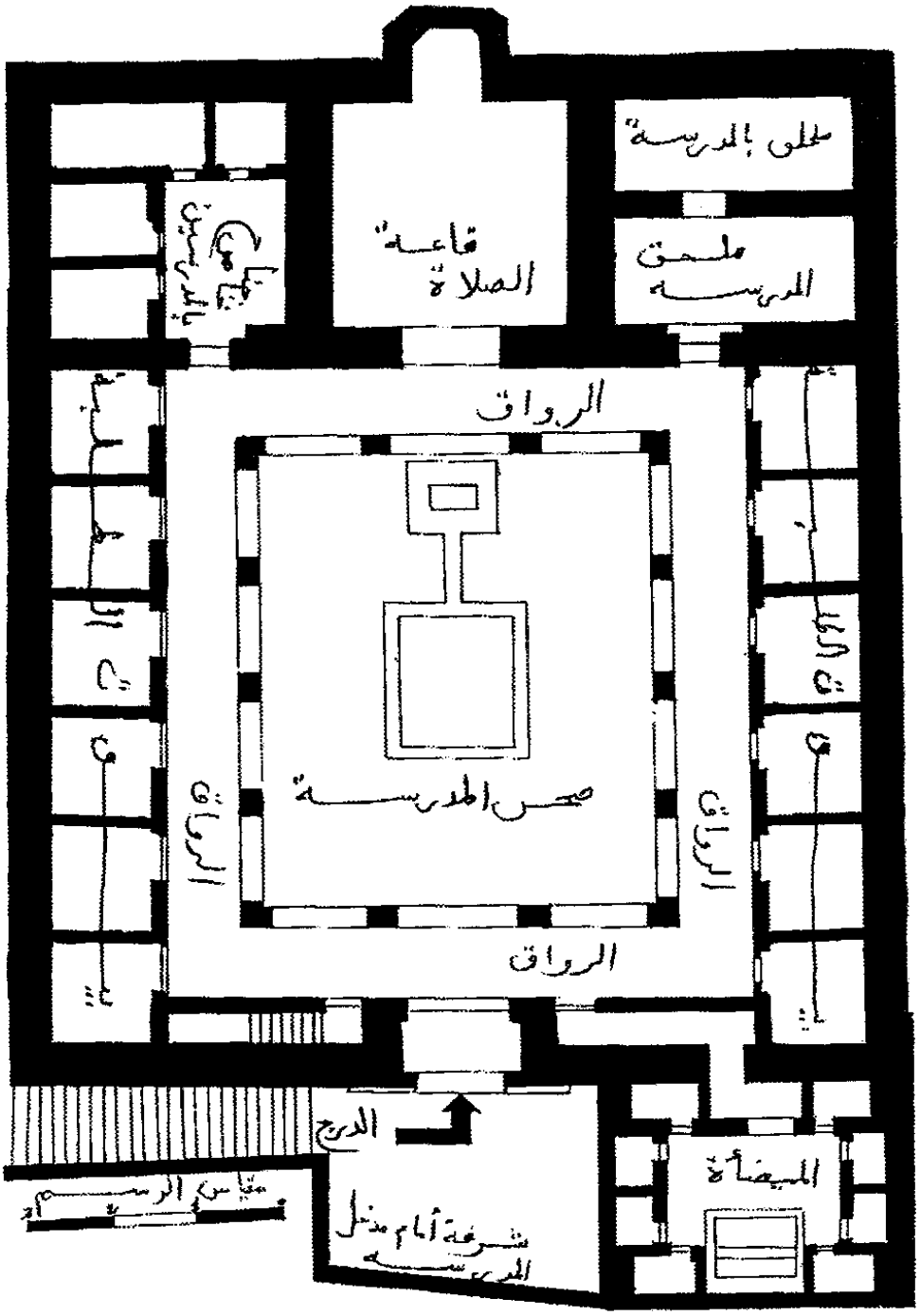

الشكل 1 : مخطط مدرسةالعباد .

صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص 190.

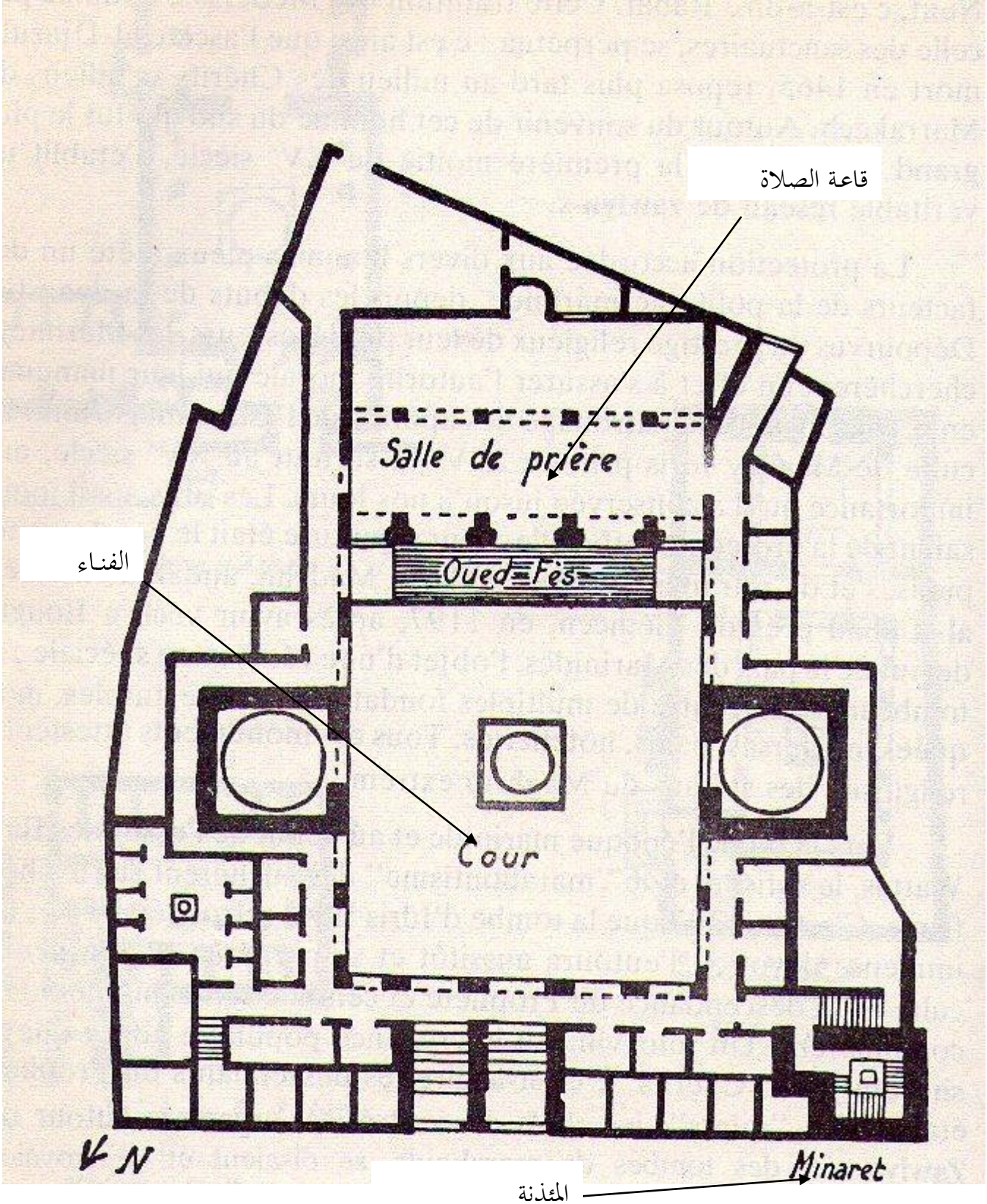

الشكل 2 : المدرسة البوعنانية.

Atallah (D) op cit , p 314.

مملكة فاس
إقليم الريف
إقليم الغرب
إقليم الرباط
إقليم تامسنا
إقليم
فاس
مكناس
تازة
وزان
الرباط
سلا
القنيطرة
العرائش
طنجة
تطوان
شفشاون
وزغة
البرانس
صفرو
عين الأسنام
أم ربيعة
أم الربيع
أبي رقراق
بوقراق
المنصورة
الخميسات
تمسنا
وادي زيز

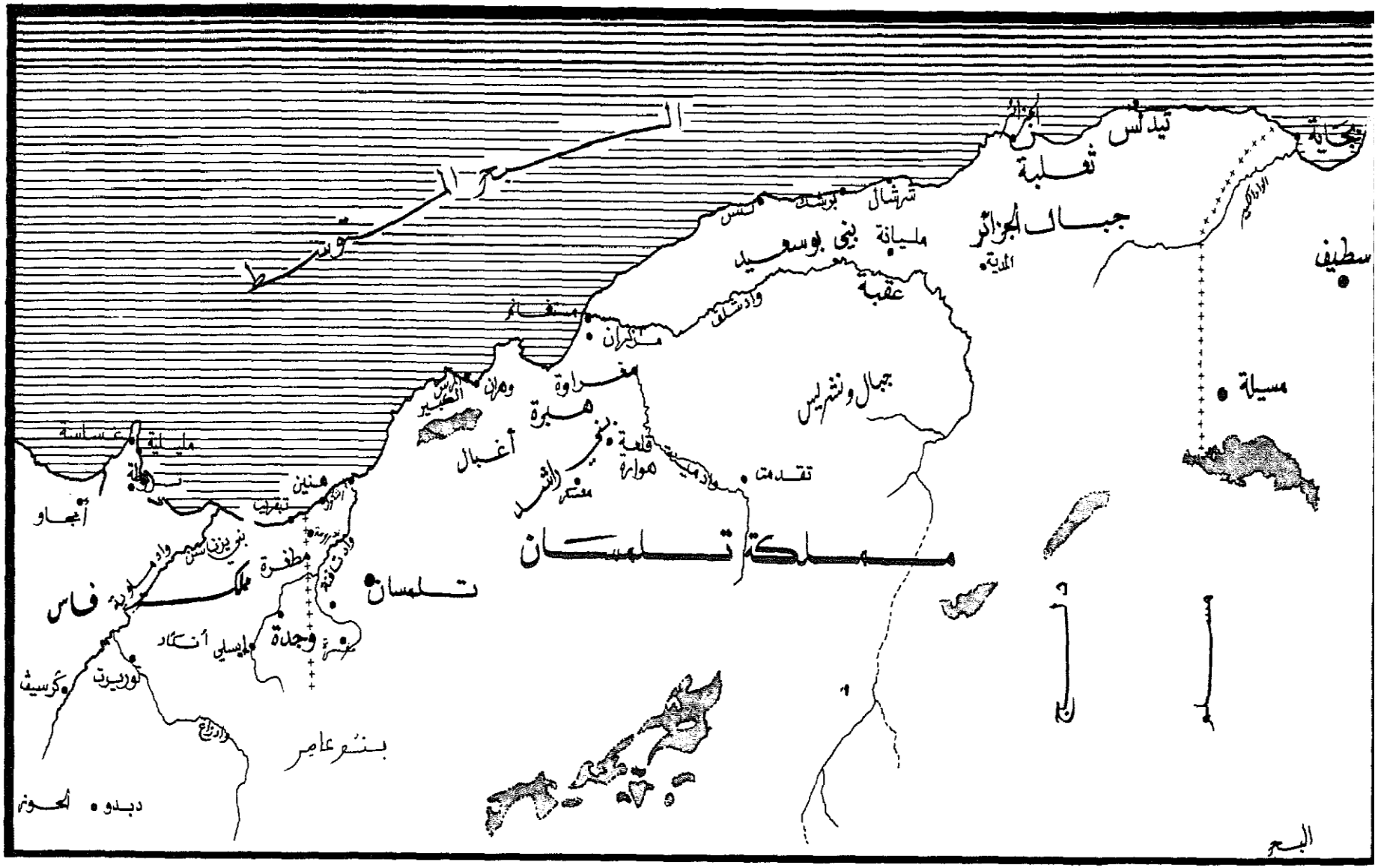

مملكة تلمسان

المصـادر :

- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل (ت 810 هـ/ 1408 م)

– نثير الجمان في شعر من نظمني و إياه الزمان ، حققه و قدم له محمد رضوان الداية ، الطبعة الثانية مؤسسة الرباط ، بيروت 1987 .

– بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

- ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي (ت 756 هـ/ 1355 م)

– رحلة ابن بطوطة المسماة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، قدم له وحقق و وضع خرائطه و فهارسه عبد الله التازي ، منشورات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط 1997.

- ابن أبي زرع : علي بن عبد الله الفاسي (ت 726 هـ/ 1326 م)

– الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

– الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة و النشر ، الرباط 1972 .

- ابن الحاج النميري : إبراهيم بن عبد الله بن محمد (ت 774 هـ/ 1372 م)

– فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة و إعداد محمد ابن شقرون ، الطبعة الأولى 1990 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي (ت 852 هـ/ 1448 م)

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت 1993 .

- ابن الخطيب : لسان الدين (ت 776 هـ/ 1374 م)

– الإحاطة في أخبار غرناطة ، حقق نصه و وضع مقدمته و حواشيه محمد عبد الله عنان ، الطبعة الأولى 1977 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

– رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية 1316 .

- ابن خلدون : أبو زكريا يحي بن محمد (ت 780 هـ/ 1378 م)

– بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر 1903 .

- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن عمر (ت 808 هـ/ 1405 م)

– ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ضبط المتن و وضع الحواشي و الفهارس خليل شحاذة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت 2000 .

– التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا ، عارضه بأصوله و علق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي ، وزارة الثقافة ، الجزائر 2007 .

- ابن الزيات التادلي : أبو يعقوب يوسف (ت 617 هـ/ 1220 م)

– التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد التوفيق ، الطبعة الثانية 1997 ، منشورات كلية الآداب و الرباط .

- ابن الشاط : القاسم بن عبد الله

– الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق الشريف أبي علي بن أبي الشرف ، تحقيق إسماعيل الخطيب ، منشورات جمعية البعث الإسلامي ، تطوان ، المغرب 1986

- ابن عبد الملك : أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت 703 هـ/ 1303 م)

– الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، تقديم و تحقيق و تعليق محمد بن شريفة ، أكاديمية المملكة المغربية 1984 .

- ابن غازي : أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت 919 هـ/ 1513 م)

– الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، طبعة 1952 ، الرباط .

– الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، دراسة و تحقيق عطا أبورية ، سلطان بن مليح الأسمري الطبعة الأولى 2007 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

- ابن فرحون : برهان الدين (ت 799 هـ/ 1397 م)

– الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة و تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان الطبعة الأولى 1996 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1996 .

- ابن القاضي : أحمد بن محمد بن أحمد (ت 1025 هـ/ 1616 م)

– جذوة الإقتباس في من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1973 .

– ذيل وفيات الأعيان المسمى ، درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقق محمد الأحمدي أبو النور الطبعة الأولى ، دار التراث ، القاهرة 1971 .

- ابن قنفذ : أبو العباس أحمد القسنطيني (ت 810 هـ/ 1407 م)

– الوفيات ، حققه و علق عليه عادل نويهض ، الطبعة الرابعة ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت 1983 .

– الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم و تحقيق محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي الدار التونسية للنشر 1968 .

– شرف الطالب في أسنى المطالب ، تحقيق عبد العزيز صغير دخان ، الطبعة الأولى 2003 ، مكتبة الرشد ، السعودية .

- ابن مرزوق : أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 781 هـ/ 1379 م)

– المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 .

- ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيا 1014 هـ/ 1605 م)

– البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، و قف على طبعه و اعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1908 .

- الأنصاري : محمد ابن القاسم السبتي

– اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية الرباط 1983 .

- التنبكتي : أحمد بابا (ت 1032 هـ/ 1624 م)

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، الطبعة الأولى 1989 منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس .

- التنسي : محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ (ت 899 هـ/ 1493 م)

– نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، حققه علق عليه محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 .

- الجزنائي : أبو الحسن علي (كان حيا 760 هـ/ 1359 م)

– جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية 1991 .

- الحميري : محمد بن عبد المنعم السبتي (نهاية القرن 9 هـ/ 15 م)

الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مكتبة لبنان 1984 .

- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ/ 1505 م)

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية 1979 دار الفكر .

- الشريف التلمساني : أبو عبد الله محمد (ت 771 هـ/ 1369 م)

– مفتاح الوصول إلى معرفة الفروع على الأصول و يليه مثارات الغلط في الأدلة ، دراسة و تحقيق

محمد علي فركوس ، الطبعة الأولى ، المكتبة المكية ، مؤسسة الريان للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان 1998.

- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك

– الوافي بالوفايات ، تحقيق و اعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان 2000 .

- العبدري : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 7 هـ/ 13 م)

– الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات 2007

- العمري : شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 749 هـ/ 1349)

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة 2002 .

- الغبريني : أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704 هـ/ 1304)

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الطبعة الثانية الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981 .

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، حققه و علق عليه عادل نويهض الطبعة الثانية 1979 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1979 .

- القرافي: محمد بن يحي بن عمر.

– توشيح الديباج وحمية الابتهاج، تحقيق علي عمر، الطبعة الأولى 2004، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

- القلصادي : علي بن محمد بن محمد القرشي الأندلسي (ت 891 هـ/ 1486)

– رحلة القلصادي ، دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع 1978 .

- القلقشندي : أبو العباس أحمد

– صبح الأعشى في صناعة الإنشى ، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1915 .

- مخلوف : محمد بن محمد

– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية و مكتباتها ، القاهرة 1349 .

- المراكشي : محي الدين عبد الواحد (ت 7هـ / 13 م)

– المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة 1963 .

- المقري : أحمد بن محمد التلمساني (ت 1401 هـ/ 1631 م)

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1988 .

– أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه و حققه و علق عليه مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة 1939 .

- المقري : محمد بن محمد بن أحمد (ت 758 هـ/ 1357 م)

– القواعد ،تحقيق ودراسة أحمد بن عبد الله بن حميد ، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، السعودية .

- مجهول

– الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه سهيل زكار و عبد القادرزمامة ، الطبعة الأولى 1979 ، نشر و توزيع دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء .

– الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق سعد زغول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة العراق .

- النباهي : أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ت 8 / 14 م)

– المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث الثقافي ، الطبعة الخامسة منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت 1983 .

- الوادي آشي

– برنامج ابن جابر الوادي آشي ، تقديم و تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 1981 .

- الوزان : حسن بن محمد الفاسي (ت 957 هـ/ 1552 م)

– وصف إفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 1983.

- الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914 هـ/ 1511 م)

- المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية و الأندلس و المغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية و دار الغرب الإسلامي 1981

المراجع:

- ابن شقرون محمد بن أحمد :

– مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب 1985.

- أبو الأجفان : محمد بن الهادي .

– الإمام أبو عبد الله المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب 1988.

- الأنصاري : محمد جابر .

– التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق في أثار ابن سعيد المغربي ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992.

- بن سودة: عبد السلام بن عبد القادر.

– دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ضبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات، الطبعة الأولى 1998، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1998.

- بورويبة رشيد ، موسى لقبال ، عبد الحميد حاجيات ، عطاء الله دهينة ، محمد بلقراد

– الجزائر في التاريخ ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني ، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

- بوعزيز يحي :

– المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، الطبعة الأولى 2002 ، منشورات ANEP الجزائر .

- التازي عبد الهادي :

– التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، عهد بني مرين و الوطاسيين ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب 1988.

- الترغي عبد الله المرابط:

– فهارس علماء المغرب ، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطورات 1999.

- الجيدي عمر :

– مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ، الطبعة الأولى 1993 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط

- الجيلالي عبد الرحمن محمد :

– تاريخ الجزائر العام ، الجزء الثاني ، الطبعة الرابعة ، دار الثقافة بيروت ، لبنان1980 .

- حاجيات عبد الحميد :

– أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982.

- حجي محمد :

– موسوعة أعلام المغرب ، الطبعة الأولى 1996، دار الغرب الإسلامي ، بيروت.

- الحفناوي: أبي القاسم محمد .

– تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بييرفونتانا الشرقية في الجزائر سنة 1906.

- الخوند مسعود :

– الموسوعة التاريخية و الجغرافية ، الجزء الأول ، دار رواد النهضة للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، لبنان.

- الزركلي خير الدين :

– الأعلام ، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 2002.

- السائح حسن :

– الحضارة الإسلامية في المغرب ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء 1986.

- السلجماسي: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد .

– إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، الطبعة الأولى 2008 مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة.

- السملالي: العباس ابن إبراهيم .

– الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية 1990 ، المطبعة الملكية الرباط.

- الشيخ أبو عمران ، ابن إبراهيم مالحة ، إحدادن زهير، الإدريسي علي ، حلمو جلول ، علواش علي ، قاهر محمد الشريف ، سعيدوني نصر الدين

– معجم مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب ، الجزائر .

- الطمار محمد :

– الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983.

– تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981.

– تلمسان عبرالعصور ، دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 .

■ العبادي: أحمد مختار :

– مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع ، الإسكندرية 1983.

■ غلاب عبد الكريم :

– قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، عصر الإمبراطورية ، العهد التركي في تونس والجزائر الطبعة الأولى 2005 ، دار الغرب الإسلامي.

■ الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد :

– موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المغرب العربي بين بني حفص و بني زيان و بني مرين ، المجلد الثالث ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى 1994 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

■ فيلالي عبد العزيز :

– تلمسان في العهد الزياني ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002.

■ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني :

– فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المسلسلات ، اعتناء إحسان عباس ، الطبعة الثانية 1982 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

■ كحالة عمر رضا :

– معجم المؤلفين ، الطبعة الأولى 1993، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1993.

■ كنون عبد الله :

– ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة ، قدم له واعتنى به ورتب تراجمه إلى طبقات محمد بن عزوز ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان 2010.

– النبوغ المغربي في الأدب العربي ، الطبعة الثانية، طنجة 1960.

■ لوتورنو روجي :

– فاس قبل الحماية ، ترجمه إلى العربية محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان 1976.

– فاس في عصر بني مرين ، ترجمه نقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، بيروت 1967.

■ المراغي عبد الله مصطفى :

– الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، قام بنشره محمد علي عثمان، مطبعة أنصار السنة المحمدية 1947.

■ صالح بن قرية ، سامية بوعمران ، خالف محمد نجيب :

– تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر ، الجزائر 2007.

■ المطوي محمد العروسي :

– السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1986.

■ المنوني محمد :

– حضارة الموحدين ، الطبعة الأولى دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب1989.

■ مؤنس حسين :

– تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، الطبعة الأولى 1992 العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت لبنان.

– المساجد ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1981.

■ المومني رشيد والإدريسي محسن :

– رحلة في المثلث التاريخي لمدينة فاس ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة – إيسيسكو 1432هـ/2011 م .

■ الناصري: أبو العباس أحمد بن خالد :

– الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدارالبيضاء 1954.

■ نويهض عادل :

– معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية 1980، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، بيروت ، لبنان.

المجلات :

- ابن شقرون محمد :

– من مظاهر وحدة الثقافة بين دول المغرب العربي ، الخطيب ابن مرزوق ، مجلة المناهل ، العدد الأول السنة الأولى نوفمبر 1974 ، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط المغرب .

- الأمراني محمد بن أحمد :

– مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية والفقهية ، دعوة الحق العدد 286 ، سبتمبر، أكتوبر نوفمبر 1991 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية .

- بن عبد الله عبد العزيز :

– جوامع المغرب و مساجده ، مجلة دعوة الحق ، العدد 232 ، نوفمبر 1983 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية الرباط ، المملكة المغربية .

- بن علي محمد بوزيان :

– ظاهرة المختصرات في التراث العربي ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، السنة 13، العدد 49 ، أبريل 2005 ، دائرة البحث العلمي و الدراسات ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي.

- البوعبدلي المهدي :

– أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني (650-708هـ/1253-1309م) مجلة الأصالة السنة السادسة، العدد 49، 50 سبتمبر، أكتوبر 1977، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية الجزائر.

- حاجيات عبد الحميد :

– الحياة الثقافية بالجزائر في القرن الثامن الهجري، مجلة الثقافة ، السنة الرابعة والعشرون، العدد 119 مجلة تصدرها وزارة الإتصال والثقافة، الجزائر 1999.

- الحضري صالح مهدي عباس :

– النشاط الثقافي لعلماء بجاية الإفريقية من خلال كتاب عنوان الدراية، مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة العاشرة ، العدد 38 ، جويلية 2002 ، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث ، دبي.

- التواتي عبد الكريم :

– السلطان أبو عنان المريني ، مجلة دعوة الحق ، العدد 262 ، يناير و فبراير 1987 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، الرباط .

■ الدباغ محمد بن عبد العزيز :

– ملامح من حضارة مدينة فاس عبر التاريخ ، من عهد إدريس الثاني إلى عهد الحسن الثاني ، مجلة دعوة الحق ، السنة 30 العدد 1 ، مارس 1959 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط المملكة المغربية .

■ روم لاندو :

– جامعة القرويين بفاس ، تعريب محمد الخطيب ، مجلة دعوة الحق العدد الأول ، السنة الثانية سبتمبر 1958 ، وزارة عموم الأوقاف ، الرباط ، المغرب .

■ زمامة عبد القادر :

– المقري والمقري ، مجلة دعوة الحق ، السنة الرابعة عشرة ، العدد الخامس ماي 1971 ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الرباط، المغرب .

■ شاقور عبد السلام :

– من بيوتات سبتة في القرن الثامن ، دعوة الحق ، العد 286 ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر 1991، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية .

■ الشاهدي الحسن :

– الكشف عن الثقافة المغربية في عهد بني مرين ، مجلة دعوة الحق ، العدد 8 ، السنة 20 ، أوت 1979 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط .

■ شبانة محمد كمال :

– المدن الثقافية الإسلامية ، فاس ، مجلة دعوة الحق ، العدد 253 ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر 1985 وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب .

■ العافية عبد القادر :

– يوميات طالب بالقرويين في القرن التاسع الهجري ، مجلة دعوة الحق ، العدد الرابع ، السنة 29 وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب .

■ الفاسي محمد :

– الرحالة المغاربة وآثارهم ، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، العدد الثاني ، نوفمبر 1958، وزارة عموم الأوقاف ، الرباط ، المغرب .

- محي الدين عبد الحميد :

رواد المغرب في العلوم البحتة ، مجلة دعوة الحق ، العدد 286 ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر 1991 وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية .

- الكتاني يوسف :

– ظاهرة الكراسي العلمية ، مجلة دعوة الحق ، العدد 244 ، يناير 1985 ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط المغرب .

- محي الدين عبد الحميد :

– رواد المغرب في العلوم البحتة ، مجلة دعوة الحق ، العدد 286 ، سبتمبر ، أكتوبر ، نوفمبر 1991 وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، المملكة المغربية .

- معروف بلحاج :

– المجمع المعماري بالعباد، دراسة أثرية مقارنة، حولية المؤرخ، العدد الأول 2002 ، يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين ، الجزائر 2002.

- المنوني محمد :

– كراسي الأساتذة بجامعة القرويين ، مجلة دعوة الحق ، العدد الرابع ، السنة التاسعة ، فبراير1996 وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، الرباط .

- يختار الحسن :

– من أعلام الجزائر المنسيين القاضي ابن عطية الونشريسي، رسالة المسجد، السنة الرابعة، العدد الثالث ، مارس 2009 ، مجلة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.

الرسائل الجامعية :

- بكاي هوارية :

العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2007 .

- بوتشيش أمينة :

بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2007-2008.

- عبد القادر بن حامد :

مكتبات المساجد في حواضر شمال الغرب الجزائري وأثرها الثقافي دراسة ميدانية لبعض النماذج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2008.

- عبدلي لخضر :

الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 – 962 هـ/1236 – 1554) ، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي ، جامعة أبي بكربلقايد تلمسان 2004 – 2005

- محمد مكيوي :

الأوضاع السياسية و الثقافية للدولة العبد الوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633 هـ– 1236/ 737هـ– 1337) رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان 2000 – 2001 .

ندوات و ملتقيات :

- إسماعيل موسى :

المدرسة الفقهية المالكية في الجزائر ملامحها وشيوخها، أعمال الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي فقه النوازل في الغرب الإسلامي من تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الثقافة ولاية عين الدفلى، أيام 20/19/18 ربيع الثاني 16/15/14 أفريل 2009.

المراجع الأجنبية:

-Bargés J L'abbé,
Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De ce Nom , Sa topographie , son histoire , descriptions de ses principaux Monuments , Anecdotrs , l'égendes et Récits divers , Paris 1859
- Benabdellah Abdelaziz
L'art Maghrébin , Etude sur les différents aspects de l'art au Maroc et sur l'évolution historique de l'art maghrébin , publications de l'université de Rabat 1961.
-Benslimane : Joudia Hassar
Le passé de la ville de Sallé dans tous ses états, Histoire archéologie, archives, Maisonneuve et larose 1992 .
- Dhina, Atallah
Les états de l'occident Musulmans aux XIII^{e}, XIV^{e} et XV^{e} et Siècles. Institutions gouvernementales et Administratives, office des publications- Alger
- Gaudio Attilio
Fès joyau de la civilisation islamique, nouvelle Edition latinos 1982.
- Kaddache Mahfoud
L'Algérie Médiévale, Société Nationale d'Edition et de diffusion- Alger 1982
- Lachachi Hadj Omar
Le passé prestigieux de Tlemcen, Ancienne Capitale du célèbre Ya'Ghomrac'en, fondateur de la Nation , Editions Ibn-Khaldoun,Tlemcen 2002
- Laroui Latifa Benjelloun
Les bibliothèques au Maroc, Maisonneuve et larose 1990
- Rickens Samuel , Renaudeau Michel Xavier Richer
Le sud Marocain , ACR- Edition Internationale , Paris 1993.

- *Nabila Oulebsir ,*
Les usages du patrimoine , Monuments , musée , et politique coloniale en Algérie (1830-1930) Editions de la Maison des sciences de l'homme , Paris 2004 , p 152

- *Jacques Simon*
L'algérie au passé lointaine de Carthage à la Régence d'alger l'harmattan , Paris 2011
-Al Khammar (A) . Les medrasas mérinides de Meknes ,volume 11 Archéologie islamique , Revue publiée avec le concours du Centre de la recherche scientifique Maisonneuve et larose 2001 .

فهرس الموضوعات

الإهداء.....

المقدمة ..... أ

فصل تمهيدي

الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط و المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ/13و14م

الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين 3

تأسيس دولة بني عبد الواد.....5

7العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط ودول المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و8 الهجريين..... .....

العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8هـ الهجريين.....7

11العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والمغرب الأدنى خلال القرنين 7 و 8 هـ الهجريين .....

14الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرنين السابع والثامن الهجريين .....

تأسيس بني مرين وبني 14

العلاقات السياسية بين بني مرين و المغرب الأوسط 19

بني مرين والجهاد في الأندلس 21

الفصل الأول

الحياة الثقافية في المغرب الأوسط و المغرب الأقصى في القرنين 7 و 8 هـ/13 و 14م

ظروف وعوامل ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط في القرنين 7 و 8 هـ 25

المراكز و المؤسسات الثقافية في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 هـ 27

أ- المساجد 27

ب- المدارس 30

طريقة و منهجية التدريس في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و8 هـ 35

أصناف العلوم وأبرز الشخصيات الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين7 و8 هـ 37

أ- العلوم النقلية ..... 37 ب-

العلوم العقلية 38

الحياة الثقافية و العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و8 هـ 39

المؤسسات و المراكز الثقافية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م 41

أ - المساجد 41

ب- المدارس 44
طريقة التدريس في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ 48
أصناف العلوم 49
أ – العلوم النقلية 49
ب- العلوم العقلية 50

الفصل الثاني

الرحلة العلمية من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى في القرنين 7 و 8 هـ/13 و 14م

الرحلة في طلب العلم 52
الظروف السياسية 54
عينة من الرحالة 56
– أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان الجزري التلمساني 56
– محمد ابن إبراهيم الغساني 56
– أبو الحسن التلمساني 57
– أبو إسحاق إبراهيم التلمساني 57
– إبراهيم بن أبي بكر التلمساني 58
– ابن الدراج التلمساني 58
– محمد بن مسعود الكتامي 58
– محمد بن عبد الله الأنصاري التلمساني 59
– ابن خميس التلمساني 59
– أحمد المليانى 60
– أبو عبد الله الباروني 60
– أبو العباس أحمد ابن مرزوق 61
– محمد بن يحي المسفر الباهلي 61
– أبو موسى عمران المشدالي 62
– محمد بن عبد النور الندرومي 62
– ابن النجار التلمساني 62
– ابنا الإمام 63
– أبو العباس الزواوي 64
– أبو عبد الله التميمي 65

- الآبلي 65
- أبي عبد الله المقري التلمساني 67
- محمد بن محمد بن عبد الله الكتامي 67
- أحمد بن الحسن المديوني التلمساني 68
- أبو عبد الله الزواوي 68
- الشريف التلمساني 68
- ابن مرزوق 70
- أبي علي الونشريسي 71
- أبو الحسن علي الخزاعي التلمساني 72
- علي أبو الحسن التلمساني 72
- إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام التلمساني 72
- إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني 73
- ابن القنفد القسنطيني 73
- سعيد العقباني 74
- محمد ابن المفتوح التلمساني 74

الفصل الثالث

مساهمة علماء المغرب الأوسط في الحياة الثقافية في المغرب الأقصى في القرنين 7 و 8 هـ/ 13 و 14 م

الإقراء والتدريس 78
إثراء النقاش الفكري 89
بيوتات العلم التلمسانية والبجائية في المغرب الأقصى 95
صناعة التأليف 100
الخاتمة 107
الملاحق 111
المصادر و المراجع 133

ملخص

يكشف موضوع هذه المذكرة عن جانب من تاريخ بلاد المغرب الأوسط الثقافي ، و ذلك من خلال التطرق إلى دور علمائه في الإشعاع الفكري و العلمي الذي عرفته بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8هـ/13و14م ، و تحاول هذه المذكرة اقتفاء أثر و نشاط علماء المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة في ميدان التدريس و التأليف و إثراء النقاش الفكري ، كما تستهدف هذه الدراسة معرفة مدى مساهمة علماء المغرب الأوسط في مد جسور التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، و هذا بالرغم من الظروف السياسية السائدة وقتئذ.

العلماء – المناظرات – الرحلة العلمية – التدريس – حركة التأليف

Résumé

Le thème de ce mémoire discute de l'histoire culturelle du Maghreb central à travers la connaissance du rôle des Oulamas du Maghreb central dans l'épanouissement de la pensée et de la culture qu'à connu l'extrême Maghreb durant les siècles 7et8^{H},le 13 ^{eme} et14 ^{eme} Apres JC .

Durant la période étudiée, ce mémoire essaie de suivre l'itinéraire des activités des Oulamas dans l'enseignement, mouvements de l'écrit et enrichissement sur le débat de la pensée, et le renforcement des liens culturel entre les pays du Maghreb centrale et l'extrême Maghreb malgré les circonstances politique de l'époque.

Oulamas- querelle -tournée scientifique - l'enseignement - mouvements de l'écrit-

Summary

The topic of this dissertation deals with the cultural history of Middle Maghreb throngh the study of the role of its intellectual and cultural development which the Extreme Maghreb knew during the 7-8 centuries Hidjri,13-14 centuries AD. It gave an idea about the activity and achievement of Middle Maghreb's scholars in teaching, the art of composition as well as academic debates.

The dissertation is not only exposing the characteristics of the cultural and scientific life in the Islamic Maghreb and its scholars contributions, but also it an undoubdetly tries to find out how much the middelMaghreb's scholars participated in the intercultural exchange.inspite of all the political circumstances of that time.

Scholars - teaching - art of composition - debates - scientific trips